الأزمات النفسية ...

كيف تواجهها ؟؟؟

تقديم
الأنبا موسى

بقلم
د. مجدى إسحق

سلسلة دراسات علم النفس المسيحى ٤

الأزمـــات النفســـية . . .
كيــف تواجهها ؟

تقـــديم
نيافة الانبا موسى
اسقف الشباب

دكتـــور
مجـــدى اسـحق

الكتـــاب : الأزمات النفسية ... وكيف تواجهها ؟
الكـــاتب : د . مجدى أسحق
الطبعـــة : الأولى سبتمبر ١٩٩٠
النـــاشر : مكتبة أسقفية الشباب
الجمـــع : جي سي سنتر ــ مصر الجديدة
المطبعـــة : دار الطباعة القومية
رقم الايداع: ١٩٩١/٣١٣١

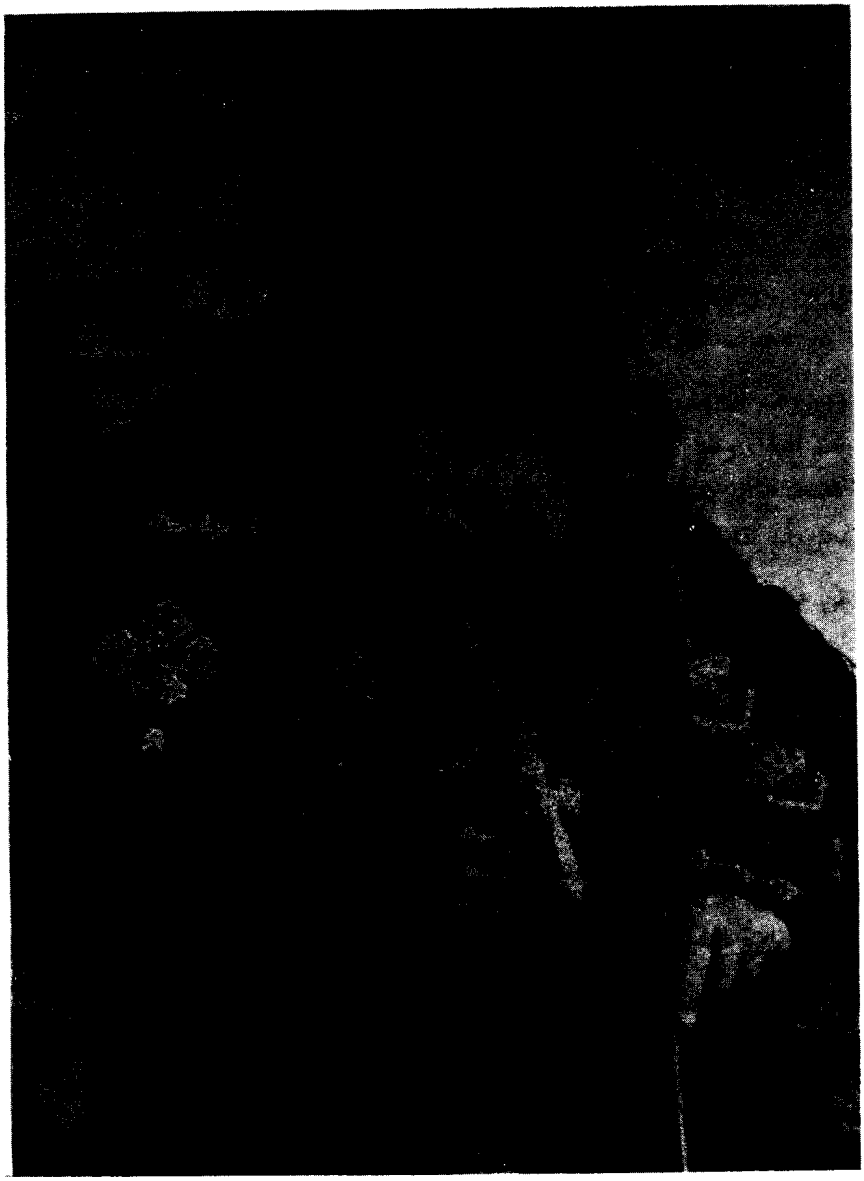

قداسة البابا المعظم الأنبا شنودة الثالث
بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

تقـــديـــم

كان الكتاب الأول من سلسلة علم النفس المسيحى ـــ يحدثنا عن « **يمكنك أن تهزم القلق** » ... وجاء الكتاب الثانى ليحدثنا عن « شخصيتك : اعرفها ـــ اقبلها ـــ طوّرها » ... وها هو الكتاب الثالث بين يدى القارىء عن « **الأزمات النفسية وكيف تواجهها** » .. ؟

ومعروف أن هذه الدراسات تجمع بين معطيات علم النفس ، والحياة المسيحية ، بما فيها من نعم الهية ، وفعل الروح القدس ، ويقين الايمان بالرب . إذ لا شك أن علم النفس بمفرده ، ربما استطاع أن يشخص ، ولكن علاجه سيظل قاصراً ومحدوداً بالإمكانيات البشرية ، التى لا يمكن أن تقاس بجوار امكانيات الله ، وعمل نعمته فينا ، بالايمان بالمسيح !!

من هنا كانت هذه الدراسات ذات أهمية خاصة للشباب ، وللإنسان المسيحى عامة ، إذ ترشده إلى حلول مسيحية علمية شاملة ، تربح نفسه المجهدة ، وتجعله قادراً على مواجهة كل أزمات النفس والحياة ، بنجاح وفاعلية !!

\+ + +

والكتاب الذى بين يدى القارىء الحبيب ، ينقسم إلى أربع أبواب :

١ ـــ الأزمات النفسية :

+ ماذا تعرف عنها ؟
+ هل هى خطر أم فرحة ؟
+ لماذا نفشل أمامها ؟
+ وما هى أسبابها ؟

٢ ـــ الاحزان والآلام ... لماذا ؟

+ الحزن .. لحن النداء الإلهى
+ حينما يغلق الله الباب ؟
+ كيف تتعامل مع الفشل ؟
+ هل للأشواك فوائد ؟

٣ ــ عندما يهاجمك الظلام :

+ خلف القضبان !
+ السجن ... منبر الكرازة
+ الذهاب إلى قلب العالم !
+ كيف تواجه الظلام ؟

٤ ــ أبواب الرجاء :

+ مع أنه .. فانى ابتهج !!
+ خطوات فى استخدام الحزن
+ إله الضعفاء ...
+ استثمار السعادة .

إنها دراسة روحية علمية شيقة ، تقودك إلى مواجهة فعالة للألم ، واستخدام بنّاء له ، وسعادة حقيقية فى المسيح .

الرب يبارك جهود د. مجدى اسحق ، ويبارك القارىء الحبيب ، بصلوات قداسة البابا شنودة الثالث ، ونعمة الرب تشملنا جميعاً

الأنبا موسى
الاسقف العام

مقدمة الكتاب

« أنتم ستحزنون ولكن حزنكم يتحول إلى فرح » (يو١٦ :٢٠)

لم أجد أجمل من هذه الآية لتكون مقدمة لهذه « الرسالة » . وأنا أسميها هكذا ــ أيها القارىء الحبيب ــ لأننى فعلاً أريدها « رسالة » خاصة بك ، وليس كتاباً تدرسه أو تقرأه . أريدها رسالة من الله تخاطب قلبك وعقلك ونفسك ، وتقدم لك فكر الله الشامل حول مواجهة أزماتك اليومية .

نعم .. إن هناك أحزان تواجه كل إنسان « أنتم ستحزنون » لكن هناك حقيقة لا تزول بمرور الزمان ، وهى أن كل حزن يجتاز بنا سوف « يتحول إلى فرح » إذا ما عبر بيدى القدير .

كيف تصيبنا الأحزان ؟
وماهى أنواع الأزمات التى تعصف بنا ؟
ولماذا نفشل أمام المشاكل ؟
وكيف يتحول الحزن والفشل بنعمة الله إلى فرح ؟
وكيف يمكنك أن تبتهج بالرغم من كل ما تعبر به من مآسى ؟

سوف تجد الإجابة على كل هذه الأسئلة عبر صفحات هذا الكتاب الذى بين يديك .

إن الفشل والحزن والضيق طرق باب كل سائرٍ تحت السماء والفرق بين إنسان وآخر هو أن واحداً فتح له الباب وتركه يستقر داخله ، والآخر خرج لمواجهته وعاد ظافراً ومحملاً بالبركات .

أرجو أن يساعدك هذا الكتاب على مواجهة أزماتك ومفشلاتك واحزانك بل أرجو ان تستخدمه لمساعدة اليائسين والمتألمين ، إذ يروا فيك أنموذجاً حياً على هزيمة الظلام .

إلهنا الحبيب قادر أن يستخدم كلمات هذا الكتاب لبركة حياتك **بشفاعة أمنا البتول الطاهرة مريم العذراء** ، وكل مصاف القديسين وبصلوات حضرة صاحب الغبطة والقداسة **البابا الأنبا شنوده الثالث** بابا الاسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية أدام الله حياته بركة وذخراً للكنيسة ، وشريكه فى الخدمة الرسولية أبى الأسقف المحبوب **نيافة الأنبا موسى** أسقف الشباب .

دكتـور

مجـدى اسحـق

الباب الاول

الأزمات النفسية

- ماذا تعرف عن الازمات النفسية ؟
- الأزمات النفسية ... خطر أم فرصة ؟
- لماذا نفشل أمام الأزمات ؟
- أسباب الأزمات النفسية

الفصل الاول

ماذا تعرف عن الأزمات النفسية ؟

« الأنسان مولود المرأة قليل الأيام
وشبعان تعباً » (أى ١٤ : ١)

« فإنى أحسب أن آلام هذا الزمان الحاضر لا تقاس بالمجد العتيد أن يستعلن فينا » ... (رو ٨ : ١٨)

ما أكثر الأحزان التى تصيب الإنسان ...

قال عنها أيوب فى القديم : **« ليت كربى وُزن ومصيبتى رُفعت فى الموازين جميعها لأنها الآن أثقل من رمل البحر »** (أى ٦ :١) ، وقال عنها أيضاً **« الإنسان مولود المرأة قليل الإيام وشبعان تعباً »** (أى١٤ :١) ووصفها يعقوب بقوله **« أيام سنى غربتى مئة وثلثون سنة قليلة وردية كانت أيام سنى حياتى »** (تك ٤٧ :٩) .

ومن أجل كثرة هذه الأحزان والآلام التى انصبت على البشرية كلها جاءنا المسيح **« رجل أوجاع ومختبر الحزن »** (أش ٥٣ :٣) ، ليحمل أحزاننا وأوجاعنا كلها (اش ٥٣ :٤ ومت ٨ :١٧) .

وبالرغم من أن البحث فى الأحزان والآلام وأسبابها قد تؤلم نفوسنا الرقيقة ، ورغم أن الحديث عن الرجاء والأمل هو هدف هذا الكتاب الذى بين يديك أيها الحبيب ، إلا أنه ينبغى لنا أن نلقى نظرة سريعة على أسباب المشاكل والضيقات لنتفهم الخلفية النفسية لها ، ولنتمكن بمعونة النعمة ، من مواجهتها والتغلب عليها .

ودعنى أوضح أولاً نقطة هامة ، هى أن كلمة « حزن » أو « ضيق » أو « مشكلة » أو « فشل » أو « إحباط » كلها كلمات نستخدمها فى تعبيراتنا الدارجة . أما فى البحث العلمى ، فهناك كلمة محددة تستخدم للإشارة الى كل هذه الكلمات السابقة وهى كلمة « أزمة » «asthma» أو «crisis» .

وكلمة أزمة ، هى كلمة مشتركة بين علم الطب وعلم النفس ، مع ملاحظة أن كلمة «asthma» تستخدم فى المجال الطبى ، وأن كلمة «crisis» تستخدم فى المجال النفسى ، هذا بالرغم من أن الكلمتين لهما نفس الترجمة العربية (١) .

وسوف نستعرض فيما يلى تعريف هذه الكلمة .

أولاً : التعريف الطبى

أستأذنك أولاً ــ أيها القارىء العزيز ــ أن استعرض معك التعريف الطبى للكلمة ، لأن فهمنا لهذا التعريف سوف يشرح لنا الكثير من المفاهيم الغامضة . فى الاستخدام الطبى لكلمة « أزمة » ، نطلق هذه الكلمة على الشخص الذى يصاب بنوبات «Paroxysms» (٢) من الإختناق (٣) أو ضيق التنفس .

وقد يكون سبب ضيق التنفس :

١ ــ إما تقلص الشعب الهوائية (٤)(أزمة ربو Bronchial asthma) بسبب التعرض لمواد مسببة للحساسية .

٢ ــ أو هبوط فى عضلة القلب يؤدى إلى ارتشاح فى الرئتين وفى الشعب الهوائية وبالتالى إلى الاختناق (أزمة قلبية cardiac asthma)(٥)

٣ ــ أو لأسباب أخرى (قليلة أو نادرة ، ولا يتسع الحديث هنا لذكرها) تؤدى إلى ضيق الشعب وبالتالى إلى نفس أعراض ضيق التنفس (٦)

وكل هذه النوبات السابقة قابلة للتكرار (٧)

ومن هذا التعريف يتضح أن الأزمة فى المفهوم الطبى تتسم بالتالى :

١ ــ أنها تأتى فجأة acule attack (٨)

٢ ــ أنها تدوم فترة من الزمن (طالت أو قصرت)

٣ ــ أنها تنتهى تماماً بعد هذه الفترة (٩) إذا ما تناول الإنسان العلاج المناسب .

٤ ــ أنها قابلة للتكرار إذا ما تعرض الانسان لنفس المسببات (١٠)

٥ ــ وأنها تؤدى إلى الإحساس بالإختناق أثناء حدوثها .

والآن ننتقل الى التعريف النفسى

ثانياً : التعريف النفسى

كلمة أزمة «crisis» فى المفهوم النفسى لا يختلف كثيراً عن المفهوم الطبى فكلمة أزمة تعنى فى التعريف النفسى « حدوث تغييرات فجائية تتناول أكثر من ناحية فى الكائن البشرى ، وتعرض الإتزان النفسى إلى الإهتزاز والتمزق (١١) ، كما أنها تعرض الإنسان للخطر (١٢)

والأزمات تتكرر ففى حياة الإنسان ، وتدوم فترة من الزمان ، يشعر أثناءها بالضيق والتوتر والحزن ، وربما بالفشل وباليأس ، وهى تختفى بعد ذلك لتعود للظهور فى فترات تالية (١٣)

ويمكن للأزمة أن تترك أسوأ الأثر فى النفس الإنسانية إذا لم يواجهها الإنسان ، ويتعامل معها ، ويتكيف مع أحداثها .

كما يمكن للأزمة أن تنتهى إذا تم مواجهتها ، بل يمكن أن تكون سبب نمو للإنسان ، وسبب نضوجه النفسى والإجتماعى والروحى .

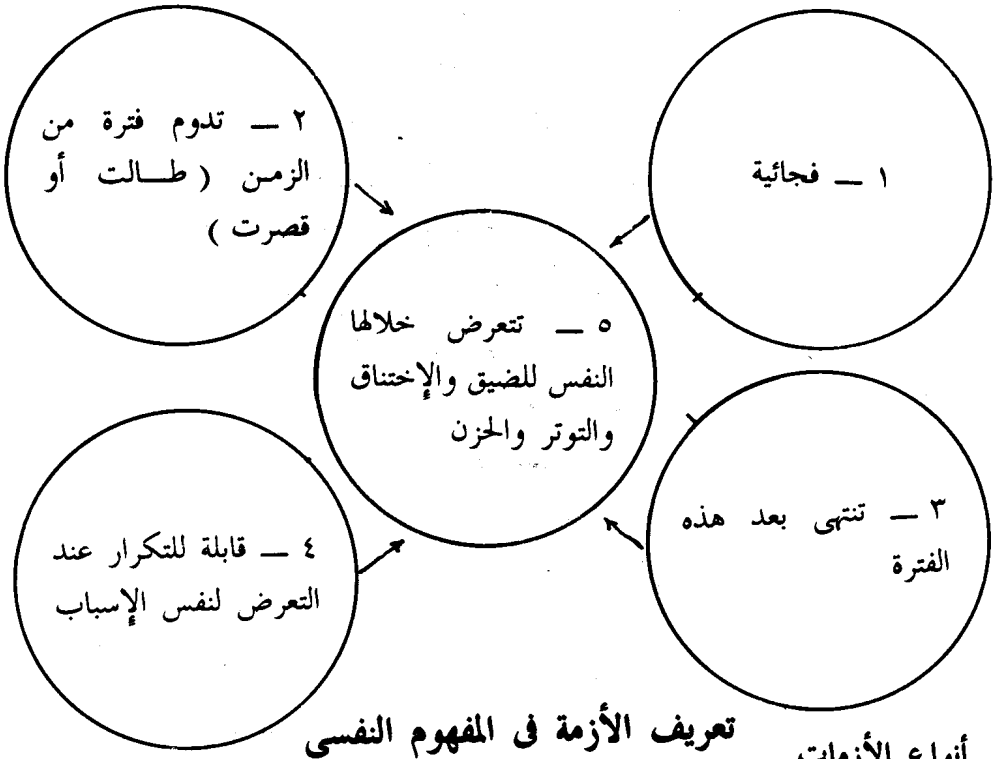

تعريف الأزمة فى المفهوم النفسى

أنواع الأزمات

ما أكثر أنواع الأزمات التى يمر بها الانسان .

وماأكثر ما بحث الدارسون فيها .

ولكن معظمهم اتفق على تقسيم الأزمات إلى ثلاثة أنواع رئيسية (١٤) ، وهى أزمات التطور ، والأزمات العارضة ، والأزمات الكيانية

وفيما يلى تفاصيل هذه الانواع الثلاثة

أولا : أزمات التطور Developmental crisis

وهى أزمات « طبيعية » ، تحدث أثناء فترات النمو الطبيعى للإنسان ومن أمثلة هذه الأزمات مايلى :

١ ــ أزمة الثلاث سنين (١٥) :

وهى تحدث فى تلك المرحلة التى تبدأ فى أواخر السنة الثانية من العمر وتمتد بطول السنة الثالثة(١٥) .

وفى هذه الفترة يبدأ الطفل بإستعمال كلمة « لا » بشكل مركز ، لأنه دخل فى سياق التحول عن نفسيه الطفل الصغير الذى لا يسعه إلا أن يفعل ما يطلبه منه والديه ، إلى تمييز ذاته الخاصة (١٦) ، كوسيلة لتأكيد شخصيته الطبيعية ٣

وتنشأ الأزمة هنا لسببين

ا ــ الصراع الذى ينشأ بين موقف الطفل فى عناده ورفضه للخضوع للسلطة الأبوية ، وبين رغبة الأبوين فى خضوعه وقبول مشيئتهم وتنفيذها .

ب ــ الصراع الداخلى الذى ينشأ بين الطفل ونفسه ، بين توقه للأستقلال وتأكيد ذاته ، وبين حنينه إلى تبعية الوالدين التى تضمن له الحياة والأمان معاً .

٢ ــ أزمة أوديب وأزمة الكترا(١٧) :

وأول من شرح هذه الأزمة هو عالم النفس النمساوى الشهير سيجموند فرويد Sigmund Freud . فتبعاً لدراساته ، قال أن الأطفال بين سن سنتين ونصف وست سنوات ، يدخلون فى صراع عنيف بين حبهم وانتمائهم لوالديهم ، ورفضهم إياهم .

ويفسر فرويد هذا الأمر ، بنشأة رغبة عنيفة عند الولد فى امتلاك والدته واحتلال مكان الأب فى المنزل . ويسمى هذه النزعة ، نزعة جنسية (١٨)

ونتيجة هذا الأمر تنشأ لدى الطفل غيرة حادة من الأب ، ورفض لوجوده . ويُسمى هذا الصراع لدى الولد « بأزمة أوديب » oedipal complex (١٩)

ونفس هذا النزعة تنشأ لدى الفتاة تجاه والدها ، وتسمى بأزمة الكترا «Electra complex» (١٩)

ويسعى الطفل « لا شعوريا » لحل هذا الصراع العنيف ، لسبب خوفه من العقاب عن طريق التوحد أو الإندماج أو التقمص Identification (٢٠) مع جنسه (الأب فى حالة الولد ، والأم فى حالة الفتاة) ، فيتقمص شخصيته ، ويتبنى مبادئه وسلوكياته ، وبالتالى يتخلص من عداوته تجاهه .

وفى رأى فرويد أن هذه الأزمة هى التى تساهم فى تشكيل ملامح الضمير الأولى (أو الأنا الأعلى Super Ego) فى تكوين الطفل الصغير (٢١) ، حيث يتبنى الطفل نفس مبادىء والديه وقيمهم .

ويرى فرويد كذلك ، أن فشل عملية الإندمّاج أو التقمص مع نفس جنسه «Gender identification» ، بسبب سوء التربية وغياب الحب والتفهم ، تؤدى إلى كثير من التوترات النفسية التى تحدث فى المستقبل مثل المشاكل العاطفية ، وصعوبة التكيف الإجتماعى ، والجنسية المثلية(٢٢) .

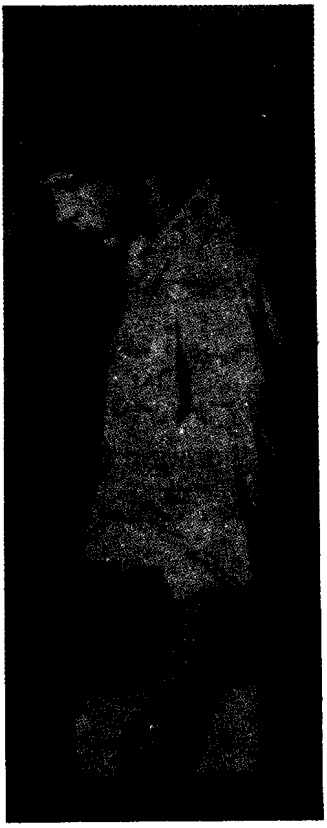

٣ ــ الأزمات الدراسية :

وهذه الأزمات كثيرة ومتعددة ، ومنها :

ا ــ أزمة دخول المدرسة : وهى تحدث للطفل فى أول أيام انفصاله عن أهله وذهابه للمدرسة ، نتيجة إحساسه بالوحدة وبالغربة داخل المجتمع الجديد

ب ــ أزمة التكيف الإجتماعى : وهى تتكرر كثيراً ، ليس فقط مع الطفل ولكن مع البالغين أيضاً ، فى كل مرة يتعرض فيها الشخص لمواجهة مجتمع جديد (مثل الانتقال من فصل لآخر . أو من سنة دراسية لأخرى ، أو من مدرسة لمدرسة أخرى أو من مرحلة دراسية لمرحلة تالية ، أو الإنتقال من المدرسة إلى الجامعة)

ج ــ أزمة الدراسة : وهى تحدث للطالب كلما وجد نفسه أمام مادة دراسية غير محبوبة لنفسه ، سواء بسبب صعوبتها ، أو بسبب عدم محبته لمدّرس هذه المادة .

وهذه الأزمات قد تصيب الولد الصغير أو البالغ بأعراض كثيرة [٢٣] منها الغضب ، أو الإنطواء أو الخوف الشديد من المدرسة School phobia [٢٤] أو الأعراض الجسدية مثل الصداع وآلام المعدة والطفح الجلدى أو التبوُّل الليلى Nocturnal Enuresis [٢٥] . وقد تؤدى فى حالة اهمال المواجهة والعلاج السليم — إلى رفض الدراسة والفشل والسقوط المتكرر [٢٦]

٤ — أزمة المراهقة

ويرى بعض العلماء أن المراهقة ليست أزمة واحدة ، بل سلسلة من الأزمات مجتمعة معاً[٢٧] ، وهذه الأزمات هى :

ا — أزمة النمو الجسدى : نتيجة ثورة الجسد الذى يقفز من شكل الصبى إلى شكل الرجل

ب — الأزمة العاطفية الجنسية : نتيجة ثورة الغدد الجنسية التى تؤدى بهرموناتها إلى مجموعة جديدة من المشاعر والحاجات النفسية والجسدية ، وما يتبع ذلك من صراعات وتساؤلات [٢٨] .

ج — أزمة التفكير : نتيجة لثورة الذهن الذى ينتقل من التفكير المحسوس الى التفكير التصورى أو المجرد [٢٩]

د — أزمة توكيد الذات والإستقلال والإكتفاء : نتيجة الرغبة فى التحرر من السلطة العائلية ، وتكوين علاقات عاطفية واجتماعية .

هـ — أزمة التكيف الاجتماعى : نتيجة رغبة المراهق فى دخول عالم الكبار ، وأن يكون له دوره فى المجتمع ، وتباين ذلك مع قلة خبرته وقصور نضوجه

و — الأزمة الدينية : ومسألة الإيمان بوجود الله ، وبالغيبيات ، والعقائد والمُسَلَّمات

ن — أزمة الهوية : ويعتبر أريكسون[٣٠] Erikson من رواد دراسة الهوية عند المراهق . وهذه الأزمة تتناول وجود المراهق ككل وعلاقة هذا الوجود بتحديات المجتمع : كيف يعيش تجربة الحب والجنس ؟ كيف يستطيع أن يواجه الجنس الآخر ويكتشف أسراره النفسية والجسدية ؟ ماذا يقول الآخرون عنه وكيف ينظرون إليه ؟ ما هو دوره الآن ؟ ومن يستطيع أن يكون فى المستقبل ؟

ل — أزمات حادة : مثل الإضطرابات النفسية الشديدة التى قد تدفع الشاب الصغير إلى الحزن والإكتئاب ، وأعمال العنف والعدوان

وكل هذه الأزمات تُعتبر طبيعية إذا لم تتخطَ حدودها ، وإذا قادت النفس إلى الإستقرار والهدوء والإتزان ، وتكوين المبادىء والإقتناع بها .

بل إن العلماء يرون أن الاشخاص الذين لا يجتازون هذه الأزمات ، لن يصبحوا شخصيات متطورة ومؤثرة فيما بعد (٣١)

٥ ــ الأزمات الإجتماعية

وهى تلك الأزمات التى تواجهنا كلما تعرضنا إلى مواجهات إجتماعية جديدة ، وما يتطلبه هذا الأمر من تكيف وإندماج وتعاون .

وهذا يحدث فى المواقف التالية :

ا ــ عند بدء الدراسة أو عند الإنتقال من مرحلة دراسية لأخرى (كما سبق وذكرنا فى الأزمات الدراسية)

ب ــ عند الاقدام على العمل لأول مرة ، أو عند الإنتقال من عمل لآخر ، وما يلزم ذلك من تعرف على أشخاص جدد والتعامل معهم .

ج ــ عند الخطوبة والزاوج : وما يتبع ذلك من محاولة للتكيف بين طباع شريكى الحياة .

د ــ عند الإنجاب : وما يصحب ذلك من محاولات للتكيف مع إحتياجات الطفل الصغير ، واحتمال مطالبه ، والترفق به والصبر عليه .

هـ ــ عند السفر أو الهجرة : ومواجهة المجتمع الجديد بكل متغيراته ومتطلباته .

و ــ عند الإقدام على خدمة جديدة ، أو عند التكريس للخدمة الرهبانية أو الكهنوتية أو العلمانية : وما يعقب ذلك من محاولة لأكتشاف الدور المحدد فى الخدمة ومحاولات الإندماج مع المجتمع الجديد .

ن ــ عند انتقال المسئولية إلى عاتق الإنسان نتيجة وفاة أحد أفراد الأسرة : كأن يتولى الشاب (أو الشابة) مسئولية المنزل عقب وفاة أحد الوالدين ، أو أن يتولى الأخ مسئولية أولاد أخيه عقب وفاة شقيقه .

ل ــ عند بلوغ سن التقاعد : وما يصاحب ذلك من الإحساس بالفراغ ، والوحدة والشعور بدنو الأجل وعدم القيمة .

عزيزى القارىء ...

كان كل هذا الحديث عن النوع الأول من الأزمات وهو « أزمات التطور » وهى تلك الأزمات التى نجتازها جميعاً عبر مراحل نمونا المختلفة .

ولعلك لاحظت أنها أزمات طبيعية ، تحدث لنا جميعاً . ويمكننا أن نرى أنه بدون هذه الأزمات لا يحدث أى تطور أو نمو للشخصية الإنسانية . فالشخصية تنمو « بالتحديات » و« المواجهات » أكثر مما تنمو بالدعة والراحة والسكينة . فالأزمات تعتبر درجات يرتقى عليها الإنسان نحو النضوج الروحى والنفسى . وقد أوضح لنا الرب عمل هذه الأزمات فى النفس بتشبيه جميل أورده فى سفر التثنية قائلا :

« كما يحرك النسر عشه وعلى فراخه يرف ويبسط جناحيه ويأخذها ويحملها على مناكبه هكذا الرب وحده اقتاده وليس معه أجنبى » (تث ٣٢ : ١١ ،١٢)

فالنسر ، حينما يريد أن يعلم أولاده فن الطيران ، إذ يرى أجنحتها قد نمت ، يحرك العش بعنف فتسقط الفراخ الصغيرة من أعلى العش وإذ يجد نفسه فى أزمة السقوط يحرك جناحيه بعنف كل هذا والأم ترقبه لتسعفه إذا لم يتمكن من التحليق . وبتكرار هذه « الأزمات » يتعلم النسر الطيران . ولولا هذه الدروس المؤلمة ، لما تمكن من التحليق . وبالمثل يقف الله من أولاده بحب ، يضعهم فى أزمات ومواجهات ، ليقتادهم نحو النضوج والنمو الروحى ، ويحاوطهم بجناحيه (مز٩١ : ٤) ليرفعهم ويشددهم وقت الحاجة .

كثيرون منا ، حينما يعودون بالذاكرة للوراء يتهمون الله بالقسوة بسبب تلك الأزمات المتنوعة ، غير عالمين أنه كان بجوارهم لحظة بلحظة (اش٢٨ :٢) يرقب نموهم ونضوجهم ، ويفرح بأولاده وهو يراهم يشبون عن الطوق منتظراً بلهفة اليوم الذى فيه يتسلمون منه المسئولية لخدمة النفوس وربح البعيدين

لكن ...

هناك نوع ثانٍ من الأزمات يجدر بنا الإشارة إليه وهو ...

ثانياً : الأزمات العارضة Accidental or Situational crisis

وهذا النوع من الأزمات يحدث عن حدوث خطر مفاجيء وغير متوقع . وهى تختلف عن النوع الأول من الأزمات ، فى أنها تأتى بصورة حادة وشديدة لأنها غير متوقعة . فوفاة الوالد ـــ مثلاً ـــ فى سن الشيخوخة ـــ هو أمرٌ « متوقع » لأنه يعبر عن مسار الحياة الطبيعى ، وقد يتهيأ الإنسان لإنتظاره ، خاصة إذا اجتاز الوالد فترة مرض طويلة . وتعتبر هذه الأزمة أزمة « تطور » لأنها تحدث عبر مراحل الحياة المختلفة .

أما فى حالة وفاة الإبن وهو فى ريعان شبابه بطريقة مفاجئة نتيجة حادث أليم ـــ مثلاً ـــ فهى أمر غير متوقع ، ويأتى مفاجئاً على النفس الآمنة . لذا ، تأتى الأزمة عنيفة ، ويستغرق الإنسان وقتاً أطول ليتكيف معها .

ومن أمثلة هذه الأزمات العارضة المرض المفاجيء ، التفكك الاجتماعى المفاجيء فقدان السمعة أو المركز الاجتماعى ، الفشل غير المتوقع فى المجال الدراسى أو الإجتماعى ، نكران الجميل من الأصدقاء ...

والكتاب المقدس حافل بأمثلة من الأزمات العارضة التى هاجمت أولاد الله عبر العصور ، مثل خيانة أخوة يوسف (تك ٣٧ :٢٨) وما حدث له فى مصر حينما أُلقى فى السجن ظلماً (تك ٣٩) ، ومثل وفاة أبشالوم ابن داود الملك مقتولاً بيد يوآب (٢صم ١٨ :٣٣) . أما أشهر الأمثلة ، فهى الأزمات الحادة التى اجتاحت أيوب حين فقد أولاده وثروته وصحته دفعة واحدة (أى١ :١٣ ـــ ٢ :١٣) حتى قال عن نفسه « ليته هلك اليوم الذى ولدت فيه » (أى٣ :٣) وقال كذلك « قد كرهت نفسى حياتى ... أتكلم فى مرارة نفسى » (أى١٠ :١) .

وهذه الأزمات ، رغم قسوتها الظاهرية ، إلا أنها مجال خصب لعمل النعمة فى النفس البشرية ، لتنقيتها وتحريرها من الخطية ، وصياغتها على صورة الله . فهى وإن كانت عارضة فى نظر الانسان إلا أنها مرتبة سابقاً من يد الله بمقدار ومقياس حكيم ، لتهذيب النفس وقيادتها فى الطريق الروحى ، الأمر الذى سندرسه بالتفصيل فى الفصول التالية

يبقى فى أنواع الأزمات ، النوع الاخير وهو :

ثالثاً : الأزمات الكيانية "أزمات الهوية - أزمات الوجود [**Existential crisis**

وهذا النوع من الأزمات قد يأتى منفصلاً ، أو قد يأتى متداخلاً مع الأنواع السابقة .

وفى هذا النمط المميز من الأزمات الكيانية ، يتساءل الإنسان عن « معنى وجوده » ، و« هدف حياته » ، وقيمة هذه الحياة . وتتابع عشرات الأسئلة المتعلقة بهذا الأمر : « من أنا ؟ » « لماذا أعيش ؟ » ما هو « دورى فى الحياة ؟ » « أين هو الله ومن هو ؟ » وقد يشعر الانسان بغياب طعم الحياة كلها ، وفقدان المعنى والهدف ، وينتابه الضيق والتوتر والحزن . وقد يجتاح النفس البشرية فى هذه الآونة نوعاً من القلق يسمى « القلق الكيانى » **«Existential anxiety»** (٣٢) وتظهر هـذه الأزمات على مسرح الحياة ، فى فصول متتابعة أهمها مايلى :

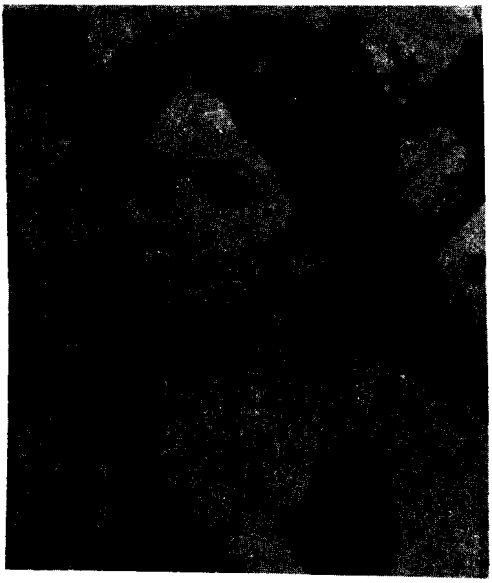

١ ــ **فترة المراهقة** : وهذه الفترة تمثل بالنسبة للنفس فترة « بحث عن الهوية » « والإنتماء » « والقيمة » . ولذلك يبدأ الشاب الصغير الذى بدأ يخطو خطواته الأولى نحو عالم الكبار ــ وهو فى نفس الوقت لا يزال يشعر بالأمان فى أحضان الطفولة ــ فى التردد والحيرة والتساؤل : « من أنا ؟ » « هل أنا صغير أم كبير ؟ » « كيف أحقق أهدافى ؟ » « ما هى قيمتى فى الحياة ؟ » « مَنْ مِنَ الناس أتبعه لأصل إلى تحقيق ذاتى ؟ » (٣٣)

٢ ــ **فترات الإحساس بالفشل** : عندما يفشل الإنسان فى اكتشافه لقدارته وامكانياته ، أو الإخفاق فى حسن توظيفها واستخدامها . وقد تزداد الحدة عندما يتعرض الانسان لفشل فى الدراسة أو فى العمل ، أو فشل أجتماعى(فى الأسرة ،

فى الزواج أو مع الأصدقاء) أو فشل روحى (مثل السقوط فى الخطية أو الفشل فى الخدمة) . وهنا يبدأ الإنسان فى التساؤل عن قيمته فى الحياة وعن معنى الحياة برمتها بالنسبة له أو بالنسبة للآخرين .

٣ ــ فترات المرض : بالذات إن كانت تعقبها آثار جسدية ثابتة كالتشوهات أو العجز .

٤ ــ عند وفاة أحد الأحباء : حيث يتذكر الإنسان قضية الموت ويتذكر أن عمره محدد على الأرض ، فيبدأ فى التساؤل عن قيمة الحياة وهدفها طالما كانت تنتهى بالموت . وسوف تظل قضية الموت هى الحاجز الأكبر الذى يصطدم به كل باحثٍ عن النجاح أو المجد أو الشهرة أو القيمة . فإن كنت سأموت فلماذا أتعب بعد وأنا أعلم أننى لن استمتع إلا بعمر محدد لا أعرف حتى عدد أيامه مهما طالت ؟ وسوف تبقى الأبدية هى الحل الذى يقدمه المسيح لكل نفس جائعة وتائهة تبحث عن الخلود ولن تستطيع الحصول عليه إلا بالعودة من الإغتراب الروحى إلى احضان الله المفتوحة .

كان هذا هو النوع الثالث والأخير من الأزمات .
وكما رأينا فهو يحاصر النفس فى فترات الإحساس بالضيق أو الفشل سواء أكان سببه المرض أو العجز أو الوفاة .

لكن تبقى قضية هامة يجب الإقتراب منها ونحن نحاول أن نفهم قصد الله من هذه « الأزمات الكيانية » . فقد تصيب هذه الأزمات النفس دون أسباب واضحة أو محددة ، والأعجب من ذلك أنها يمكن أن تصيب الانسان فى قمة نجاحه الأدبى أو المادى أو الإجتماعى .

والأمر العجيب أن تأتى هذه الأزمات للأنسان فى قمة نجاحه ! وهذا هو ما يطلقه علم الاجتماع الحديث على المجتمعات التى تتمتع بثراء حضارى واجتماعى كبير « أمراض الرفاهية » ويسمونها أحياناً « المشكلة أنه لا توجد مشكلة » .

ويحلل الباحثون هذا الأمر بقولهم أن السبب هو « الملل من النجاح » أو « الحاجة الى التجديد » أو الرغبة فى الإثارة والدهشة » . ولكن كل هذه التحليلات لا تجيب على السؤال الكبير الذى لم يستطع أحد الإجابة عليه : « كيف أشعر بالفراغ

وغياب القيمة والمعنى من الحياة ، وأنا فى قمة احتفالى بالنجاح الذى حققته فى الحياة ؟ إن كنت فقيراً أو فاشلاً أو فاقداً للحب والتقدير ، فتألمت وفقدت معنى الحياة فهذا أمر مقبول ومتوقع ، أما إن حصلت على كل ما أريد ، ثم وجدت أن الحزن لا يزال يظلل على حياتى ، فهذا ما لا أعرف له تعليلاً »

عزيزى إن هذا السؤال الذى حيَّر الكل ، له إجابة واضحة فى كلمة الله الحية التى بين يديك ، أن هناك احتياج عميق إلى الله داخلك ، لا تشبع النفس مهما بحثت بعيداً عنه . إن نفوسنا خلقت « به وله » (كو١ :١٦) ويطلق على هذا الفراغ النفسى العميق « الحاجة إلى الله » ، ويُطلق على القلق المصاحب لهذا الفراغ ، القلق الإسخاطولوجى (قلق ما بعد الموت «Finite -eschatological anxiety» (٣٤) . إن قلق البحث عن الخلود متأصل فينا جميعاً ، ذلك لأن الانسان خُلق خالداً ، وهو يبحث عن الخلود فى الحياة بلهفة وتتابع لا يعرف الكلل ، ومهما ارتوى من مجد الأرض يظل هذا التساؤل يقض مضجعه .

نعم ... إن الله هو الذى سمح بوجود هذه الأزمة فى النفس ليجتذبها إليه بواسطة التساؤل والجوع والحيرة . وعندما تعود النفس إلى الله ، يمنحها خلودها ويشبع فيها بحثها عن « اللانهائى » ، ويروى حاجتها« للبقاء » و« الإمتداد » و« الإستمرار »

سليمان الحكيم والأزمة الكيانية :

الملك سليمان هو أشهر من عانى من هذه الأزمة فى الكتاب المقدس . لقد وصل لقمة المجد والعظمة والثروة والسلطة (١مل٤ :٢١ ــ ٣٤) حتى أن السيد المسيح قال عن عظمته وهو يتحدث عن زنابق الحقل : « **ولا سليمان فى كل مجده كان يلبس كواحدة منها** » (مت٦ :٢٨ ، ٢٩) . بل أنه هو بنفسه حينما كتب سفر الجامعة وصف مجده قائلاً « **عظَّمت عملى . بنيت لنفسى بيوتاً ، غرست لنفسى كروماً ، عملت لنفسى جنات وفراديس وغرست فيها أشجاراً من كل نوع ثمر ... قنيت عبيداً وجوارى ... وكانت لى أيضاً قنية بقر وغنم أكثر من جميع الذين كانوا فى أورشليم قبلى ... جمعت لنفسى أيضاً فضة وذهباً ... اتخذت لنفسى مغنيين ومغنيات وتنعمات بنى البشر سيدة وسيدات . فعظمت وازددت أكثر من جميع الذين قبلى فى أورشليم ... ومهما أشتهته عيناى لم أمسكه عنهما** » (جامعة٢ :٤ ــ ١٠)

ولعلك ـــ أيها القارىء المبارك ـــ تتمنى أن تصل إلى ما وصل إليه سليمان ولعلك أيضا تظن أن سليمان كان سعيداً بما حققه .

لكن هذا لم يحدث ...

لقد أخذ كل ما أشتهى ، ولكن ظلت « أزمة الكيان » تعزف فى قلبه لحن الحزن . « ثم ماذا ؟ » ـــ « ماذا بعد كل ما حققت ؟ » ولذلك تجد الآية التالية مباشرة تحكى لنا هذا الحزن فى كلمات موجزة : « **ثم التفت أنا إلى كل أعمالى التى عملتها يداى وإلى التعب الذى تعبت فى عملى فإذا الكل باطل وقبض الريح ولا منفعة تحت الشمس** » (جا٢ :١١) . لقد بدأت التساؤلات ترتفع فى قلب سليمان « ما المنفعة من كل عملت .. أن كنت **سأموت** فما فائدة كل هذه الإنجازات »

لقد نسى سليمان إلهه ، وتوهم أن سعادته هى **فى أشباع رغباته وطموحاته** . وإذ ثارت فى قلبه العواصف والأحزان ، عاد من غربته إلى الله ، فكتب يقول عن الله أنه « **جعل الأبدية فى قلبهم** » (جا٣ :١١) ، وعن الحياة « الشهوة تبطل لأن الإنسان ذاهب إلى **بيته الأبدى** » (جا١٢ :٤) . لقد **استنار قلبه** ففهم أن أيامه على الأرض مهما طالت فهى مقدمة لحياته الابدية ، وللوطن الجديد الذى أعده الله لنا ، وأن فرحه لا يتم إلا بالرجوع إلى مصدر الحياة والخلود ، فكتب فى نهاية سفره الجميل يقول : « فلنسمع ختام الأمر كله اتق الله واحفظ وصاياه لأن هذا هو الإنسان كله » (جا١٢ :١٣)

إن هذا ليس أختباراً عاشه سليمان فقط ، ولكن **تذوقته** كل نفس **تغربت** عن سعادتها **ووجودها فى الله** ، ثم عادت اليه تائبة خاضعة لتشبع من دفء الوجود بقربه .

قارئى العزيز ...

بهذا أكون قد استعرضت معك شرح الأزمات الثلاثة التى تواجه الأنسان فى مسيرة غربته ، وقيمة كل نمط من هذه الأزمات ، والهدف الذى لأجله سمح الله لهذه الأزمات أن تحاصر النفس .

يتبقى لنا موضوع هام لنستكمل دراستنا وهو : **كيف يواجه الإنسان الأزمات النفسية عندما تهاجمه** ؟ وهذا هو موضوع الفصل القادم .

الفصل الثانى

الازمـــات النفســـية ...
خطر أم فرصة ؟

« كما تكثر آلام المسيح فينا كذلك
بالمسيح تكثر تعزيتنا أيضاً »
(٢كو١ :٥)

يكتب الله مستقيماً
حتى على خط معْوج
(مثل برازيلى)

مقدمة

كلمة أزمة فى اللغة الصينية «weijii»[٣٥] ، هى كلمة مركبة تتكون من شقين الشق الأول « خطر » **danger** والشق الثانى « فرصة » **opportunity**[٣٥]

CRISIS = DANGER + OPPORTUNITY

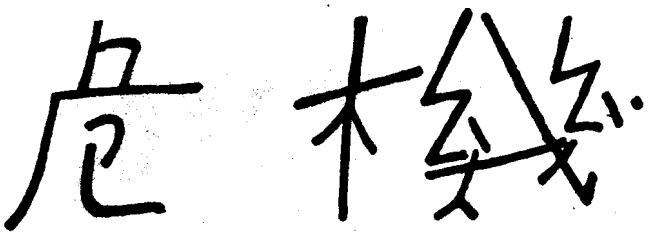

والحقيقة الهامة التى أريدك أن تدركها هى أن الأزمات ليست مجرد « ضيقات » تجتاح النفس ، ونتمنى أن تعبر علينا دون خسائر ، ولكنها فى الحقيقة فرصة هامة يجب استغلالها كأفضل ما يكون الإستغلال . فالرياح العاتية يمكننا الإنتفاع بها إذا عرفنا كيف نفرد قلوعنا بحكمة أمامها ، فبدلاً من أن تحطم السفينة يمكنها أن توجهها حيث يريد الربان الماهر الحاذق .

وهذا الأمر ، كفيل بأن يغير **نظرتك** بالكامل إلى **منحنيات الحياة** . ففى الطريق المسيحى لا وجود لشىء اسمه « **حائط المبكى** » ، إنما يوجد **إله** يستطيع أن يحول **الململات الى بركات** . « **واجعل من وادى عخور (أى وادى الإزعاج) باباً للرجاء** » (هو٢ :١٥)

إن الأزمات فيها الكثير من « الإزعاج » للنفس الآمنة ، **فهى** بحق تماثل وادى **عخور** لكن فى دائرة الروح يتحول « **الإزعاج** » والقلق إلى **رجاء** فى المسيح .

هناك قصة قديمة حدثت عام ١٨٩٥ ، تحكى عن بستانى يسكن فى ولاية فلوريدا بالولايات المتحدة تلفت بساتينه من جراء الصقيع الذى هاجم البلاد بشراسة .

فذهب إلى كوبا ليبدأ من جديد ، واستطاع أن يطور من برتقال محلى حامض المذاق نوعاً جديداً من البرتقال ، وابدع شجرة يمكنها أن تحمل **طوال السنة** . فكافأته الحكومة الكوبية بوسام على ما ساهم به فى تلك البلاد .
والمهم هنا أن **الكارثة** هى التى جعلته يبدأ **بداية جديدة** ، **والصقيع** هو الذى قاده إلى أمور أفضل .

يقول أحد العلماء « ليس من شيء اسمه طقس ردىء . كل ما فى الأمر أن هناك عدة أنواع من الطقس **الجيد** » . وهذه حقيقة هامة . فلا يوجد فى الحياة اليومية ما يُسمى طقس **ردىء** إلا إذا نظرت إليه **من هذه الزاوية** . والطقس لا يكون معاكساً وغير ملائم إلا إذا عجزت عن **تسخيره** لأغراض أسمى . فإذا رماك القدر بسيف هناك مكانان لا غير للأمساك به ــ **النصل أو المقبض** . فإذا أقبلت الضيقات عليك ففى قدرتك أن تمسكها « بنصل » **الرثاء الذاتى والإشفاق** على النفس ، **والتذمر والانزواء** والعزلة والاكتئاب ، فيجرحك ويمزقك إلى العمق . أما إن امسكتها من « المقبض » فسوف يمكنك **استخدامها** وتسخيرها لبنيان كيانك الانسانى . نعم إن روحك الداخلية هى التى سوف **تقرر** ما إذا كان الألم سوف يدفع بك إلى اليأس أو **العمل والابداع** .

ابتسامة أثناء النزول

هل يمكنك الإبتسام أثناء النزول فى وادى الضيق ؟

كثيرون يمكنهم ذلك وهم فوق قمم النجاح أو التفوق . لكن الفارق هو فى ما تحمله فى داخلك سواء كنت **صاعداً** أم **منحدراً** : إنه المسيح . لقد اقتبل المسيح الصليب وهو فى غمر السلام ، بل أكثر من ذلك كان يوزعه على المحيطين به « **سلامى** [**سلامى الخاص**] **أعطيكم** » (يو ١٤ :٢٧) .

إن الله له منهج غاية فى العمق فى تعامله معنا : فهو لا ينقذنا **من** الآلام ، بل **من خلال** الآلام . إن النارديين ، وهو أغلى أنواع الورود وأحلاها عطراً ، لا يظهر جمال شذاه إلا عندما **يحركه** البستانى ، وكذلك الألم يحرك **أعمق ما فى النفس** فتخرج **عطراً ونقاء وخدمة واتضاعاً ونمواً** .

طلوع الفجر

هناك درس هام ، يعرفه جيداً متسلقو الجبال . فقبيل طلوع الفجر على الجبال الشاهقة تهب ريح عاصفة قد تقتلع الأشجار وتدحرج الصخور من على جوانب الجبل . ولكن « هذه هى **طريقة طلوع الفجر** على الجبل » . ونحن كذلك ، قد يشرق فجرنا **وسط** العواصف والزوابع . فكثيراً ما تساهم الضيقات فى فصل « **التبن عن الحنطة** » . إن الصدأ **يتلف** المعدن ولكن طرقات المطرقة تزيده **صلابة** . وهذه حقيقة جديرة بالإهتمام ، لأن صدأ العيش الهادىء غير المضطرب قد **يتلف** حياتك ، أما **طرقات مطرقة الضيق** فهى **تجعلك أكثر** صلابة .

كيف تتعامل مع أزماتك ؟

ينقسم الناس إلى أربع فئات ، أثناء مواجهتهم لمشاكلهم النفسية ومؤثراتهم الداخلية ، ولنتبع سوياً هذه الفئات :

أولاً : الاحتفاظ بالأزمة Holding In the crisis

يلجأ عدد كبير من المتألمين إلى هذا الاسلوب . فهم « يغلقون على أنفسهم » ويستسلمون للعواصف الداخلية ، وللصراعات والتمزقات النفسية العميقة .

ومثل هذا الإنسان ، الذى يعانى من الأزمة ، ثم يغلق على نفسه ، ليجتر آلامه وحيداً منعزلاً ، يسهل التعرف عليه من الملامح التالية :

١ ــ النزوع إلى الوحدة والإنطواء والعزلة ورفض الإنفتاح على المجتمع .

٢ ــ أحلام اليقظة (والتى يجد فيها مجالاً خصباً لتعويض الفشل الذى يعانيه) .

٣ ــ الشرود الذهنى وقلة التركيز فى الأحاديث أو الدراسة .

٤ ــ إهمال العمل أو الأسرة أو الأستذكار ، وغياب الإهتمام بالحياة عموماً ، وما يصاحب ذلك من فشل دراسى أو إجتماعى .

٥ ــ التذبذب فى العواطف من الفرح الى الحزن المفاجىء ودون سبب واضح بسبب ترسب الصراع الدفين فى العقل اللاواعى ، وظهوره بين الحين والآخر على السطح حيث يسبب الحزن غير المفهوم .

٦ ــ القلق والتوتر والحزن .

٧ ــ كثرة الحركة وعدم الإستقرار .

٨ ــ احيانا يترجم القلق إلى أمراض نفس ــ جسدية psychosomatic-diseases

حيث تسعى النفس إلى تخفيف الضغط الحاد عليها بتحويل طاقة التوتر إلى « منفذ » أو « مخرج » جسدى ، فيتحول القلق إلى إرتفاع عصبى فى ضغط الدم أو توترات فى المعدة أو أرق ...

أما الأسلوب الثانى الذى يلجأ إليه الناس فى أثناء الأزمات فهو

ثانياً : التمرد على الأزمة Acting out the crisis

فى هذا الاسلوب ، يلجأ الإنسان إلى التمرد على كل القيم الروحية أو الإجتماعية أو الاخلاقية ، كرد فعل إنتقامى من نفسه أو من الآخرين وأحيانا من الله . ومن أمثلة ذلك مايلى :

١ ــ العنف والقسوة مع الآخرين ، ونقدهم وتجريحهم وتقليل قيمتهم سراً أو علناً . وربما يمتد العنف ليوجه ضد أقرب الأقربين من الأهل أو الأقارب أو الأصدقاء .

٢ ــ الإنحراف الاخلاق بكل صوره ، وقد يصل الأمر الى حد الجريمة .

٣ ــ التمرد الروحى على الله ، ورفض المبادىء والوصايا الإلهية ، ورفض الكنيسة والممارسات الروحية ، والثورة على السلطان الروحى ، وربما الهجوم على خدامها وآبائها .

وهذا التمرد على كل القيم ورفضها ، يعود إلى الأسباب التالية :

١ ــ تعويض الفشل : ومحاولة البحث عن القيمة وجذب اهتمام الآخرين ، والإحساس بالأهمية . فإن لم ينجح الانسان فى مواجهة الحياة ، فلينجح فى الثورة والخطية ، وبذلك يحقق لنفسه شيئاً من الكرامة الضائعة .

٢ ــ الإنتقام من المجتمع : بكسر قيمه ، وعقاب الآخرين بالتهجم عليهم وتجريحهم . وهذا الأسلوب هو نتيجة مباشرة لإقتناع الانسان أن الآخرين هم سبب فشله وأزماته وضيقاته . وهذا الأمر قد يكون صحيحاً فى بعض الأحيان . فقد يساهم بعض « مقاومى النجاح » فى تحطيم كثير من الطاقات الطموحة . ولكن العلاج المسيحى الحقيقى لا يتأتّى برد الهجوم بالهجوم ، وإنما يحتاج إلى كثير من الحكمة وضبط النفس ومراجعة الأساليب السابقة ، والبحث عن أبواب أخرى أو مجالات مختلفة ، والصبر والحنكة فى التعامل ....

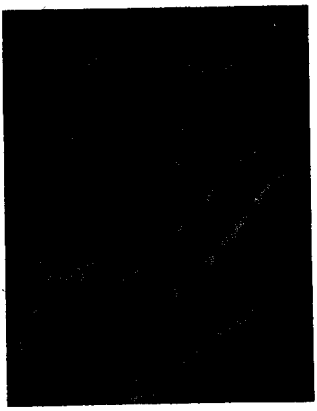

٣ ــ الإنتقام من « الله » : بكسر وصاياه ، والإنسان هنا قد يتجرأ ويتهم الله بأنه سبب ضيقه ومعاناته ، وبأنه لم يتدخل ليعينه أو ليعضده ، « **فيعاقبه** » بكسر وصاياه ورفض طرقه . وهذه حيلة من حيل النفس المخادعة ، فالله الرءوف ليس عنده شر ولا ظلمة البتة (١يو١ :٥) . وسبب معاناة الإنسان الوحيدة هى الخطية . **إن الخطية تحتوى فى نفسها العقاب نفسه** . فالله لم **يحكم** على آدم بالموت ، بقدر ما أن الثمرة التى أكلها كانت **تحوى الموت** . لذلك فى المفهوم الروحى ، نحن لا نؤمن أن الله يعاقب الانسان ، إنما الإنسان هو الذى يأكل من ثمرة زرعه الفاسد . فنحن نقرأ فى رسالة يعقوب « **لا يقل أحد إذا جرب إنى أجربَّ من قبل الله . لأن الله غير مجرب بالشرور وهو لا يجرب أحداً . ولكن كل واحد يُجرَّب إذا انجذب وانخدع من شهوته** » (يع١ :١٣ ، ١٤) ونقرأ أيضاً عن هلاك الأشرار « **أذهبوا عنى ... إلى النار الأبدية المُعَّدة لأبليس وملائكته** » (مت٢٥ :٤١) فالعقاب كان موجهاً للملائكة الساقطين ، وليس للإنسان ، ولكن اختيار الإنسان الحر هو الذى أغواه ليتبع طريق الشر ، فذهب بنفسه إلى الموت .

أما إذا سمح الله بتجارب لأولاده ، يسميها الكتاب **تأديبات** المحبة (عب١٢ :٥ ، ٦ ــ أم٣ :١١ ، ١٢) لينميهم فى الروح ويشركهم فى **قداسته** (عب١٢ :١٠) ويزكى **إيمانهم** (١بط١ :٦) . فهى صادرة من يد **متحننة** ، وتتناسب مع قامة الإنسان واحتماله (١كو١٠ :١٣) ومحددة **المدة والهدف** (رؤ٢ :١٠) ومكافأتها أرضية من المجد والكرامة والبركة (١بط٤ :١٤) وأبدية من **الاكاليل والابتهاج** (١بط٤ :١٣ ، رؤ٢ :١٠)

٤ ــ الإنتقام من النفس : جيد للإنسان أن يشعر أنه مسئول عن فشله . **فهذه** البصيرة الداخلية هى أول الطريق نحو الإصلاح والتقويم واكتشاف نقاط الضعف ثم البدء فى المثابرة نحو ما هو أفضل « **اذكر من أين سقطت وتب وأعمل الأعمال الأولى** » (رؤ٢ :٤) .

ولكن أحياناً ما ينحرف الإنسان نحو الانتقام من نفسه بما يسميه العلماء « العقاب الذاتى » «Self punishment» (٣٦) . فيتسبيح الإنسان الخطية ، ثم يستسلم لعذاب الضمير المثقل بالإثم ثم يكرر هذا الامر مراراً وتكراراً معاقباً **نفسه بنفسه** على خطاياه .

ما أسوأ ما يفعله الإنسان بنفسه !!

أن النفس هنا بحاجة ماسة إلى مراجعة موقفها من محبة الله . إن الله الذى يغفر ويسامح ، يدعو الإنسان كذلك أن **يسامح نفسه ويقبلها ويتصالح معها** ، ثم ينسى **ما وراء** ويمتد إلى **ماهو قدام** (فى٣ :١٣) . ولا يكسر دائرة العقاب الذاتى سوى جلسات **حاسمة** للتوبة فى محضر الله ، **وثقه فى دم المسيح الغافر** ، مع تشجيعات **صادقة** من **مرشد روحى أو أب أعتراف مختبر ومحنك** .

أما الأسلوب الثالث لمواجهة الازمات فهو

ثالثاً : الهروب من الأزمة Runing from the crisis

وهذا الأسلوب أكثرهم انتشاراً وشيوعاً . و« معتنقو » هذا الاسلوب وجدوا مخرجاً لأزماتهم الداخلية يختلف عن المنهج الأول والثانى . فهم لا « يحتفظون بمشاكلهم » لما يصاحب هذا الامر من الألم والضيق والقلق ، وهم أيضاً لا« يتمردون » على القيم الروحية أو الإجتماعية حرصاً على مظهرهم الإجتماعى . إنما هم يلجأون للهروب من مشاكلهم ، بل ومن أنفسهم ويحاولون تناسى هذه الصراعات بتجنب التفكير فيها أو مواجهتها .

ومن أمثلة أساليب الهروب مايلى :

١ ــ كثرة الخروج ولقاء الأصدقاء ، ليس من أجل تنمية العلاقات الإجتماعية أو الترفيه الإيجابى وتخفيف ضغوط الحياة براحة الذهن ، إنما لأجل قتل الوقت ونسيان الهموم .

ويأخذ الخروج هنا سمة « العادة » . فالإنسان لا يطيق الوحدة ، ويسعى للخروج « كمبدأ » ، حتى لو لم يكن له هدف واضح وبنّاء . وفى بعض الحالات المتقدمة من الصراعات النفسية قد يترك الإنسان المنزل ويهجر أسرته لفترة قد تقصر أو قد تطول .

٢ ــ انتشار ظاهرة « الترفيه السلبى » ، والذى يشمل كثرة مشاهدة المرئى (التليفزيون) أو السينما ، والذهاب لأماكن اللهو على اختلاف أشكالها .

ونحن هنا لسنا بصدد « تحريم » هذه الامور ، فهذا الأمر يحتاج لدراسة خاصة ومنفصلة ، إنما الحديث هنا عن « إدمان » هذه الإمور ، والتعلق بها لدرجة إهمال بقية جوانب الحياة الأخرى . والإنسان هنا يخرج من مشكلته **مؤقتاً** ، فهو يتجنب التفكير فى ضيقاته ويهرب من مواجهتها .

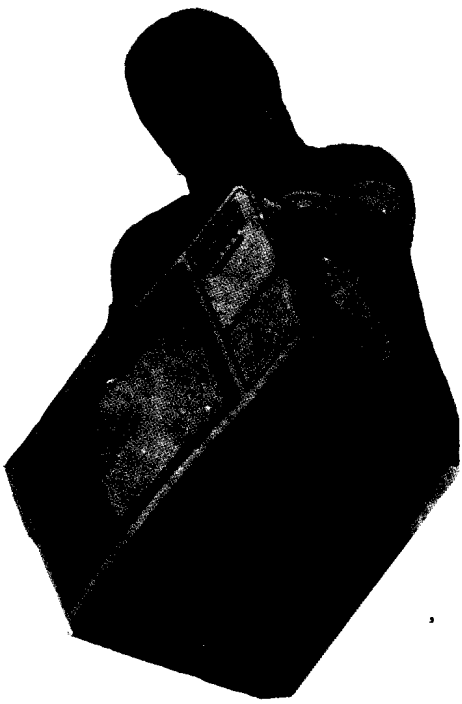

والاستغراق فى مشاهدة الأفلام يحمل كذلك أمراً آخر ، فالأنسان قد **يتوحد** مع شخصيات الروايات ، فيتخيل نفسه ذلك البطل المقدام الذى يحل كل أزماته بصورة إعجازية أبعد ما تكون عن الواقع . ويساعد على ذلك تركيز كل الإنتاج الروائى السينمائى على هذا النمط من الشخصيات الأسطورية الخارقة . وخطورة هذا الأمر تكمن **فى أكتفاء** الإنسان بهذه السلبية ، أو **الإستمرار** فيها بعد انتهاء الروايات فى صورة أحلام اليقظة ، **أو محاولة مواجهة أزماته** بهذه الطرق غير الموضوعية المقدمة له فى الروايات .

وفى كل هذه الأحيان يقل الضغط النفسى المصاحب للأزمات مؤقتاً ، ولكن تظل المشكلة قابعة فى العقل الباطن تنتظر المواجهة والعلاج .

٣ ــ الاستغراق فى الضحك والسخرية سواء من المواقف اليومية أو من الأشخاص ، و« ادمان » إلقاء الفكاهات أو الإستغراق فى اثارة الضحكات **بأى ثمن وبأى اسلوب** . ومرة أخرى ، نحن لا نتحدث عن اللطف أو الإبتسام كسمة أجتماعية ضرورية ، **وكفضيلة مسيحية** تخدم كل جوانب الحياة ، إنما نتحدث عن **حيلة لا شعورية** للهروب من الأزمة وتجنب مواجهتها . وينطبق هنا القول المشهور « إن اكثر الناس ضحكاً هم أكثرهم تعاسة » ، ذلك لأنهم **يخفون** تحت هذا القناع الضاحك **قلباً متألماً** ، ويحاولون الهروب من الأزمات « بإقناع » أنفسهم وبإقناع الآخرين أنهم **أكثر الناس سعادة !!**

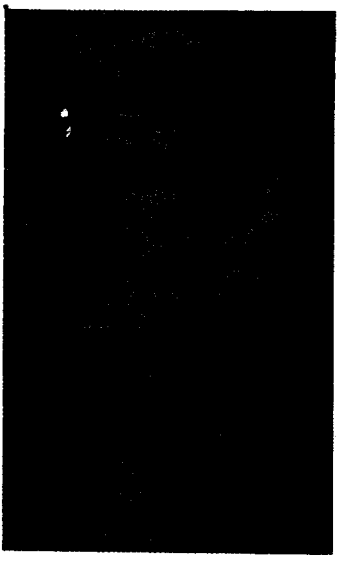

٤ ــ قد يصل الأمر فى الحالات الحادة ، والتى فقدت كل معونة روحية أو إجتماعية إلى **ادمان الخمر** أو **المخدرات** أو أى نوع من أنواع **الرذائل** أو العادات الرديئة لمحاولة النسيان . ويساهم فى حدوث هذا الامر أصدقاء السوء ، والرغبة فى « التجربة » والتشبُّه بالآخرين ، وقلة الخبرة والإرشاد وغياب الحب الأسرى أو الإجتماعى .

أما الاسلوب الاخير لمواجهة الأزمات ، فهو الأسلوب الإيجابى البناء وهو :

رابعاً : مواجهة الأزمة Facing the crisis

قد يكون هذا الأسلوب هو أقل الأساليب انتشاراً عند التعامل مع المشاكل أو الملمات . وهذا الأسلوب يحتاج وعياً كبيراً بأهداف الأزمات ، ويحتاج قلباً منفتحاً على **شخص المسيح** ، ليتفهم **حكمته** ، ثم يستلهم منه الخطوات **الصحيحة للاستفادة من الأزمة ، وتحويلها للخير ، ويشكر مقدماً** على اليدين الصالحتين اللتين تصنعان الخير دائماً لنفوسنا .

ولأن هذا الأمر كبير ، فقد أفردنا له **الأبواب التالية** من الكتاب لنناقش فيها **تفاصيل المواجهة الحقيقة للأزمات** .

+ + +

رأينا سوياً ــ قارئ المبارك ــ كيف أن الأزمات يمكن أن تُشكِّل أكبر الخطر على الكيان الإنسانى ، إذا ما احتفظ بها الانسان داخل نفسه ، أو تمرد عليها أو هرب منها . كذلك يمكن أن تكون الأزمات أكبر فرصة للنمو الحقيقى والنضوج الشامل .

ترى ماذا قررت ؟

هل ستصبح الأزمات خطراً عليك أم فرصة لحياة مباركة ومثمرة بنعمة الله ؟

الفصل الثالث

لماذا نفشل أمام الأزمات ؟

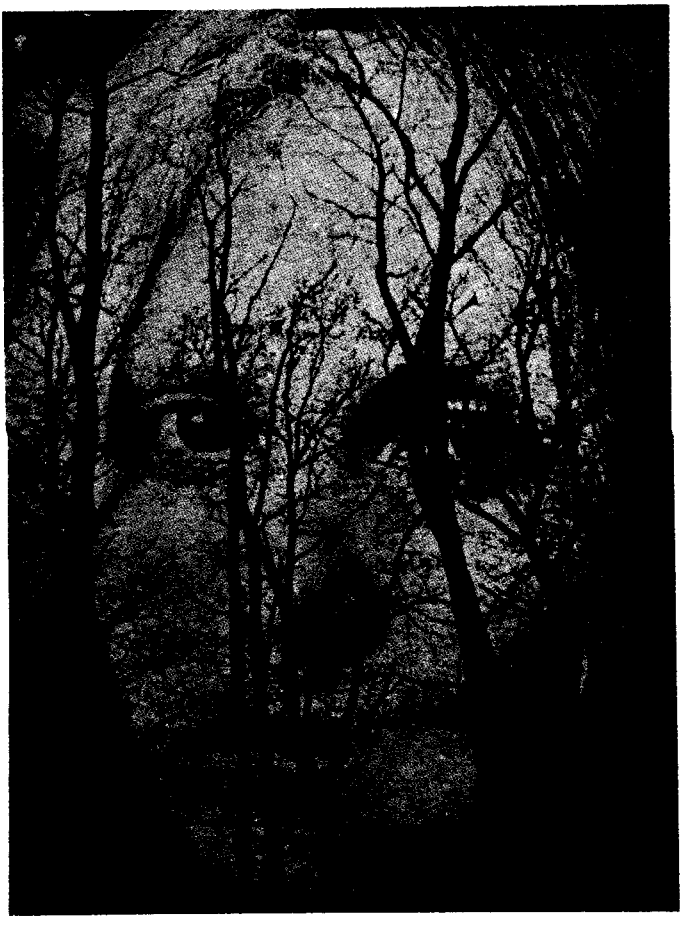

« لأن الله لم يعطنا روح الفشل ... »

(٢تى١ :٧)

« فوق كل تحفظ احفظ قلبك لأنِ منه
مخارج الحياة ... »
(أم ٤ :٢٣)

فى أحدث احصائية تم إجرائها فى الولايات المتحدة (٣٧) وجد الباحثون مايلى :

١ ــ أكثر من ٢٣٠ مليون روشته طبية للمهدئات وأدوية الأعصاب يتم صرفها فى العام الواحد .

٢ ــ أكثر من مليون شخص يصابون بنوبة قلبية سنوياً بسبب الضغوط النفسية .

٣ ــ واحد من كل عشرة من المواطنين يدمن الكحوليات .

٤ ــ أكثر من ٨ مليون يعانون من قرحة بالمعدة ، وأكثر من ٢٥ مليون مواطن مصاب بإرتفاع ضغط الدم .

٥ ــ أكثر من ٦٠ بليون دولار سنوياً تفقدها الدولة بسبب الأمراض الجسدية الناتجة من الضغوط العصبية .

٦ ــ الأزمات النفسية تقلل من مقاومة الجسد لأمراض كثيرة مثل الإلتهاب الرئوى ، والأمراض المتوطنة وبعض أنواع الشلل .

ويقول الباحثون أن السبب الأول للوفيات فى الولايات المتحدة بل وربما فى العالم كله هو الأزمات النفسية (٣٧)

وأود أن أعيد صياغة هذا التحليل معك : فالأزمات ليست هى المسئولة عن هذه النتائج الرهيبة ، **ولكن الإنسان نفسه** . نعم ، إن **الإنسان** الذى يواجه أزماته بطريقة خاطئة هو الذى **يكتب شهادة وفاته بيديه !**

إذن ليست **هى الأزمات** ، ولكن **رد فعلك أمام الأزمات** هو الذى يحدد ما سوف تفعله بك . فالإتجاه الذهنى للإنسان هو الذى سوف يقرر ماإذا كانت الازمة ستحطمه أم ستبنيه . ونستطيع إذن أن نتفق على عبارة هامة منذ الآن ، هى أن « الأزمة الحقيقية تكمن فى **ذهن الانسان** وليست فى **الظروف** المحيطة به » . فإذا

قبل الذهن **الإستسلام** ، فهذه هى بداية النهاية ، والإنهيار . أما الذهن القوى ، المشحون ايجابية وثقة وسلام واستناد على نعمة الله ، فهو الذى **يخلق** من الأزمات والضيقات **مجالات خصبة للنمو** والبركات والإبداع والحب .

وسوف أعود معك بعد قليل لدراسة هذا الأمر . أما الآن ، فأود أن أدرس معك بشىء من التفصيل العوامل التى تساهم فى تعاملنا السلبى مه الأزمات .

أولا : غياب التربية الأسرية السليمة

ا ــ القدوة الخاطئة : فسلوك الأب والأم أثناء مواجهة الأزمات ينطبع على نفسية الطفل الصغير ، **فيتشرب** الأسلوب الخاطىء منذ الطفولة ، ويتبع هذا المثال إلى أن يشب عن الطوق . فإنهيار الأب أمام أزمة ما ، وانطوائه وانعزاله يطبع هذا المثال فى شخصية ابنه الصغير ، **فيتمثل** به ، **ويتعود** على هذا المنهج كلما حاول مواجهة أزماته مستقبلاً .

لقد كان لإبراهيم موقفاً سلبياً أمام الأزمات التى قابلها . فكلما خرج من أرضه لأرض أخرى ، كان يدَّعى أن سارة امرأته هى أخته ، لأنها كانت حسنة المنظر ، وذلك خوفاً من أن يقتله الملك ليستبقى امرأته . ولقد تكرر هذا الأمر **مرتين** عبر حياة ابراهيم ، مرة مع فرعون ملك مصر . (تك١٢ :١٠ ــ ٢٠) ومرة أخرى مع أبيمالك ملك جرار (تك٢٠ :١ ــ ١٨) . **فهل تعلم ماذا حدث ؟** لقد **تعلم اسحق** بن أبراهيم **هذا الاسلوب الخاطىء** فى مواجهة الأزمات ، فتعلم الإدعاء ، وعدم الصراحة ، والخوف والسلبية ، فكرر **نفس** هذا الأمر مع أبيمالك ملك جرار (تك٢٦ :٧ ــ١١) وعلى العكس تماماً ، لقد واجه الرب يسوع « أزمة » الصليب بمنتهى **القوة** ورباطة الجأش ، فخرج بنفسه لليهود الذين أتوا ليمسكوا به (يو١٨ :٤) ، وقال لهم « **كنت معكم كل يوم فى الهيكل لم تمدوا علىّ الأيادى** » (لو٢٢ :٥٣) . لقد كان **يثق** فى خطة الآب الصالحة والكاملة ، ويرى الحكمة الشاملة التى سلمها له أبوه الصالح ، وكان يعلم بكل مايأتى عليه (يو١٨ :٤) إذ كان يرى **سرور** خلاصنا وفدائنا (عب ١٢ :٢) ولذلك عَبَرَ الصليب بكل هدوء وشكر ، بل وقدم لنا أروع أمثلة الحب فغفر لصالبيه « **ياأبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون** » (لو٢٣ :٣٤) **هل تعلم ماذا كانت النتيجة ؟ لقد طبع** المسيح اسلوبه على تلاميذه ، وسلَّم الكنيسة مفاتيح عبور الألم ، فنرى **استفانوس**

يواجه اليهود **بنفس القوة والشجاعة** ، ونراه وهو يُرجم من اليهود يجثو على ركبتيه ويصلى لأجلهم **بنفس كلمات الجلجثة « يارب لا تقم لهم هذه الخطية »** (أع ٧ : ٥٩ ، ٦٠) وهكذا **أثمرت** حياة المعلم العظيم فى حياة **أولاده وتلاميذه** .

ويحكى لنا التاريخ الكنسى كيف يساهم إيمان الآباء وثباتهم فى الشدائد فى حياة الأولاد وكيفية مواجهتهم للأزمات . فنقرأ عن الشهيدة رفقة التى عذبها القائد ديونيسيوس عذاباً شديداً ، فثبتت واحتملت ، وكانت **تشجع** أولادها (٣٨) . ونقرأ كذلك عن الأم دولاجى التى ما أن علمت أن أريانوس والى أنصنا الرهيب قد أمسك بأولادها الاربعة ، حتى هبت مسرعة إلى مكانهم لتشجعهم وتقويهم . فلما رأى الوالى ذلك استشاط غضباً ، وأمر بذبح أولادها على ركبتها الواحد تلو الآخر . وفيما كان الجنود يفعلون ذلك ، كانت الأم دولاجى **ترتل وتصلى ، وأخيراً نالت معهم اكليل الشهادة** (٣٩)

اذن ... قدوة الآباء هى **أول** الطريق لتسليم مفاتيح الأزمات للأبناء ، سواء بالسلب أو بالإيجاب .

ب ــ غياب الإهتمام الفردى : وهذا الأمر يُعد من **أخطر** الأمور التى تؤثر فى النفس فى سنوات النمو الأولى ، وتهدد سلام الطفل الصغير ، فبسبب ضيق الوقت ، وضغوط الأعباء الإقتصادية ، وكثرة غياب الوالدين عن المنزل ، أو بسبب كثرة الأخوة ، يغيب الاهتمام **الفردى** بالطفل ، ويُمسى الطفل وحيداً ضائعاً ، لا يجد من يتحدث معه أو يستفسر منه عن مشاكله وحلولها . وهذه الظاهرة منتشرة فى **كل** منازلنا هذه الأيام ... للأسف الشديد

فنحن قد اعتدنا على تدليل الطفل وحمله والإهتمام به واحتضانه فى سنوات المهد الأولى فإذا ما شب عن الطوق قليلاً وبدأ يعتمد على نفسه ، أو دخل المدرسة **يقل** الإهتمام به ، وكلما نما فى العمر واقترب من سن المراهقة **تزداد الفجوة بينه وبين والديه** ، فيصبح مجبراً على مواجهة أزماته العميقة **وحيداً** أو قد يلجأ إلى **اصدقائه** بخبرتهم **الضئيلة** ، وتكون النتيجة فى كل الاحوال **مؤسفة** للغاية ، إذ يتعود على اجترار مشاكله ، ويرفض مشاركة أحد ، وما يصاحب ذلك من نتائج نفسية وروحية قاسية .

جـ ــ كثرة التوبيخ والتقريع واللوم : وهذا الأمر يسبب للنفس **الفشل** ، ويغرس فيها الشعور **بالنقص** أمام المواجهات العادية . ونحن لم نتعود فى أسرنا على الأسلوب المتزن فى التربية : فالطفل ليس إلا انسان **محدود** الخبرة يواجه الحياة بامكانياته البسيطة . **وكثرة** الأوامر والتوجيهات والتقريع والقسوة ، لا تعطيه الفرصة ليواجه الحياة بنفسه ، ويتعلم عن طريق الإكتشاف ، والتجربة والصواب والخطأ . إن الخطأ « حق » مكفول للطفل ، ويجب أن نسنده ليكتشف **بنفسه** جوانب ضعفه فى جو من **الحب ، ثم نشجعه برقه ولطف وصبر ليتغير** . أما القسوة والعقاب فهى لاتخلق إلا نفوس ضعيفة خائفة مترددة . و« العجز النفسى » الذى نرسمه فى نفسية الطفل الرقيقة منذ صغره **يشب به** ، وينمو معه ، ويظل عالقاً معه إلى شبابه وشيخوخته .

د ــ الحماية المفرطة للطفل : وهذا نمط آخر من التربية الخاطئة . فالطفل يحتاج إلى اتزان دقيق وحكيم بين **الرعاية** من جانب والتدريب على **الاعتماد على النفس وتحمل المسئولية** من جانب آخر . وحينما يبالغ الآباء والأمهات فى الحماية المفرطة overprotection للأطفال ، فهنا تفقد النفس جزءاً هاماً من مكوناتها الرئيسية وهو الإرادة الناضجة والفكر الحر والإبداع **وقدرة اتخاذ القرار** . وهذا « البتر النفسى » الذى يحدث للطفل ، يجعله عاجزاً عن الإعتماد على نفسه ومواجهة توترات الحياة . فتجده يفشل بسهولة أمام الأزمات ، وينتهج الأساليب الخاطئة للتعامل معها . إن الطفل يحتاج أن تكون له « حياته الخاصة » ، والأب الحكيم والأم الواعية هى التى تعطى للطفل « قارباً يدخل فيه ، ويتجول به منطلقاً فى مساحة كبيرة من البحيرة » ، على شرط أن يمسك الأبوان **سوياً بالحبل** الذى يربط القارب للشاطىء ، ليجتذباه عند الشعور بأدنى خطر .

وهذه المساحة من الحرية ، تعطى الفرصة للطفل « أن يكون نفسه » ، والإرشاد الحكيم والتوجيه الأبوى **الحانى والحازم معاً** ، يضيف للطفل الخبرة اللازمة لقيادة النفس وضبطها دون كبتها أو تقييدها .

هـ ــ العلاقات الأسرية المحطمة : ولا حاجة بى إلى الإسترسال فى وصف هذا الأمر . فالفشل فى العلاقة بين الزوجين وكثرة الشجار ، يشعر الطفل بعدم الأمان ، ويغرس فيه الخوف من الحياة ، وهناك قاعدة نفسية هامة تقول أن التفكك

لأسرى ينشىء فى الطفل « تفككاً نفسياً » وهذا التمزق الداخلى هو السبب الأول فى كل ما يعانيه أولادنا فيما بعد . والانهيار الحاد أمام الأزمات ، يعود فى كثير من الأحيان إلى إنهيار أسرى سابق .

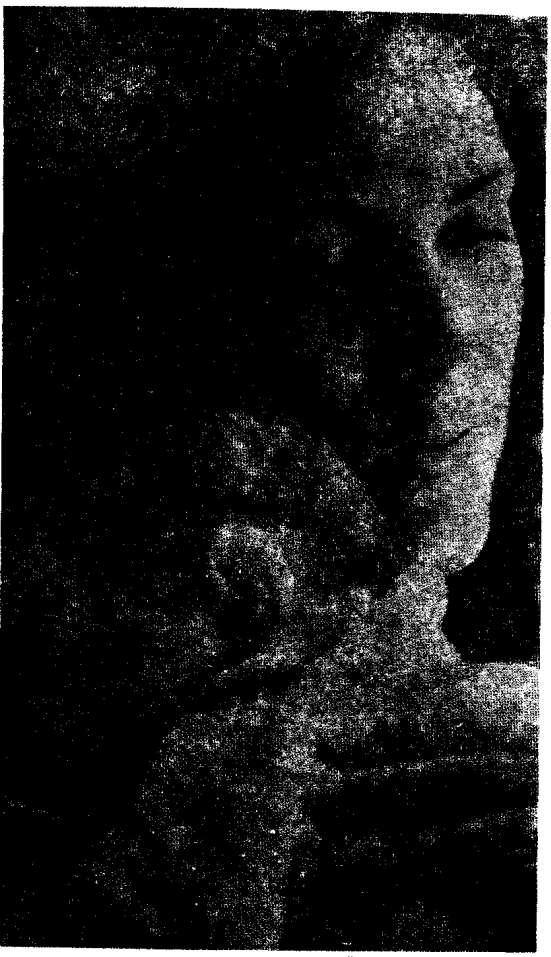

عزيزى الأب .. عزيزتى الأم .

هل وعيتما هذا الدرس جيدا .. ؟

لقد رأينا سوياً أن كل ما يدورفى المنزل من مشاكل اسرية ، وعدم محبة **ينعكس** على نفس ابنكما الصغير . ورأينا أن **القدوة** هى **أقوى** ما يؤثر فى حياة الإبن . فهل من خطوات **أمينة وصادقة** لتجنب هذه الأمور السلبية كلها ؟ هل تستيقظ **ضمائرنا** فندرك خطورة الحصاد **المرير** الذى نحصده من أولادنا إذا ما أهملنا الحب ونزعنا للذاتية والأنانية ؟ أرجو بنعمة الله أن تكون هذه الكلمات **دعوة** لكما لكى تُقدما **توبة صادقة** عن حياتكما الأسرية غير الأمينة ، ثم بداية لوقفة مخلصة مع النفس لفحصها وتعديل كل انحراف تربوى صدر منها **بعلم أو بجهل** ، وتكريس القلب لحب الأولاد حباً مسيحياً صادقاً **يخدم خلاصهم وحياتهم الأبدية** .

كان كل هذا الحديث عن السبب الأول من أسباب الفشل فى مواجهة الأزمات وهو سبب تربوى ، أما السبب الثانى فهو :

ثانياً : غياب الارشاد الروحى والنفسى الشامل :

إن أخطر ما يواجه الخدمة فى العصر الحاضر هو غياب الجو **المتكامل** للعناية بالنفوس بطريقة **شاملة ومتزنة** تخدم **كل** أبعاد الكيان الإنسانى ، ولتسمح لى عزيزى القارىء ، أن استعرض بعض أسباب هذا الأمر :

١ ــ الإهتمام بالجماعة على حساب الفرد : قد تتجه الخدمة فى الكنيسة إلى سمة « الجماعية » و« اللقاءات الكبيرة » ويغيب عن البال إعداد فريق من الخدام قادر على العمل **الفردى ، والتوجيه الروحى النفسى الشامل للمخدومين** (٤٠) .

ومما يزيد من خطورة هذا الأمر ، ضيق الوقت لدى آباء الإعتراف ، لمواجهة أعباء خدمة الأفراد فى جلسات الإرشاد والتوجيه . فالأب الكاهن لا يجد متسع من الوقت للقيام بكل مسئولياته من خدمات طقسية ، وخدمة العظات والاجتماعات ، وحل المشاكل الأسرية ، والخدمات الإجتماعية والإفتقاد ... أحبائى الخدام ...

هل يكون اليوم دعوة لتأكيد الإهتمام بالخدمة **الفردية** للشاب منذ نعومة أظافره ؟ هل نبدأ فى الاهتمام بإعداد جيل من الخدام يحمل رسالة محبة **للفرد الواحد** ؟

أيها الخادم المبارك : إن الإهتمام بالفرد وعلاقته الصحيحة مع الله ، ومحبة النفس **الواحدة** وخدمتها بحب **وتركيز** كامل ، يحقق هدفين : إعداد الفرد ، وبالتالى الإسهام فى إعداد الجماعة والتى تتكون من **محصلة هذه الافراد** .

٢ ــ عدم الدراية بأساليب الإرشاد والتوجيه الروحى والنفسى :

وهذا الامر من **أخطر** ما يمكن ، فكيف يجرؤ انسان على التعامل مع النفوس المتألمة بخبرة **محدودة** ، **أو مبتورة** ؟ إن هذا الأمر يساهم فى إزدياد الأزمة وتكرار الفشل ، واصابة كل من الطرفين بالحزن : **الخادم العاجز والنفس المتأزمة** !! ونحن نحتاج بشدة هذه الايام إلى تفهم قضية الخدمة الفردية بطريقة شاملة ، ومتكاملة من جانبها الروحى والنفسى والإجتماعى ، كما نحتاج بالأولى إلى نفوس محبة للفرد ، ومستعدة أن تقدم وقتها وجهدها للعناية **بنفس واحدة ، وبصبر ومتابعة واختفاء وحب وصلاة** .

٣ ــ عدم الإتزان بين الفكر الروحى والفكر النفسى والإجتماعى :

فى كثير من الإجتماعات ، نهتم ببناء الروح دون أن نعى الخلفية النفسية السليمة ، والتى نحتاجها جميعاً لكى تنمو أرواحنا نمواً سوياً فى عشرة المسيح . ويكون السبب

هنا فى معظم الأحيان هو الإعتقاد بأن المواضيع النفسية تخرجنا **خارج** دائرة الروح ، وتبعدنا عن الإهتمام بالله .

وأحياناً كثيرة يحدث العكس ، فنجد إهتماماً كبيراً بالمواضيع النفسية والإجتماعية ، وذلك دون تقديم **المسيح كمحور للحل الشامل** ، أو تقديم الفكر الروحى بطريقة باهتة وغير اختبارية ، بدعوى أن الناس قد أصابها الملل من سماع المواضيع الروحية !!

أما المنهج السليم فهو المنهج **الكيانى الشامل** ، والإتزان والحكمة فى التعامل مع « الإنسان » وليس مع « جزء » منه . فالمطلوب هو توصيل الإختبار الحقيقى للعشرة بالمسيح وبالكنيسة **محمولاً** على رصيد من الفهم العميق للنفس البشرية ولكل متطلباتها ، فنقدم الحقائق النفسية والإجتماعية ، **ونغلفها** بحب المسيح الخلاصى **وأصالة** الكنيسة وتراثها ، أو نقدم العلاقة الشخصية بالمسيح وحب الكنيسة والإنتماء لها ، **مغلفاً** بالحقائق النفسية والإجتماعية ، وهكذا نحقق الهدفين معاً !

إنما ليكن دائماً نصب أعيننا ، الهدف الواضح والمحدد والوحيد وهو قيادة النفس **للالتقاء بالمسيح وتذوق محبته الحقيقية** . إن الحاجة إلى **واحد** (لو٩ :٤٢) ، وخدمة هذا الإحتياج الواحد تحتاج لتنوع الأساليب والمناهج ، بشرط تكاملها وتكاتفها وانسجامها .

الفصل الرابع

أسباب الأزمات النفسية

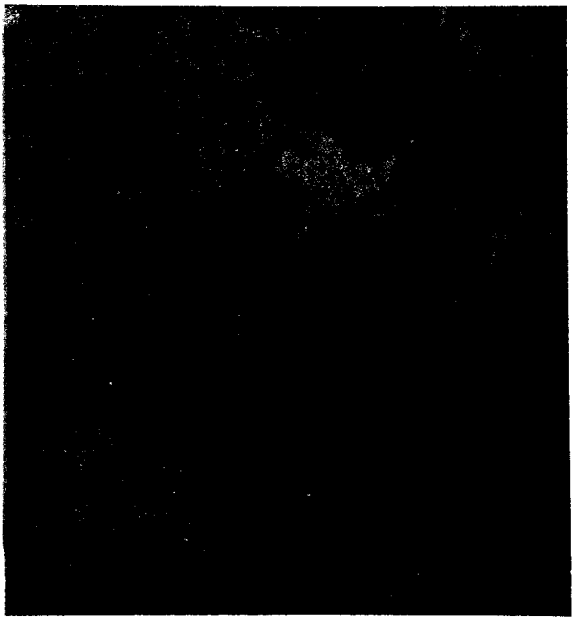

فيملأ إلهى كل احتياجكم
بحسب غناه فى المجد فى
المسيح يسوع ...
(فى٤ :١٩)

ما الحزن الا مقدمة
السرور ... انتظر دائماً
النغم الجميل الذى يعقب
الأنغام الحزينة
الأديب الفرنسى فيكتور هوجو

الحياة سلسلة متتابعة من الأزمات ، منذ الطفولة وإلى الشيخوخة .

لكن لماذا ؟

ذلك لأن للأزمات قوة **تبنى** النفس . ونحن ننال من الأزمات فوائد **أكثر** مما ننال ونحن فى هناء وراحة . وأجمل ما قالت كلمة الله فى هذا الأمر هو : « **وأعطيك ذخائر الظلمة وكنوز المخابىء** » (أش ٤٥ :٣) . نعم ، هناك كنوز وذخائر لا نصل أليها إلا عبر الظلام ، **ظلام الأزمات والمحن والملمات** . فى الظلام نتعلم أن **نثق** فى إله الكون دون أن **نراه** ، ونتعلم أن نشكر ونخضع ونطيع ، ونرفض ذواتنا ونتخلى عن راحتها . وفى عالم النبات ، نجد أن الظلام مهم جداً لتفتح الوردة وإزدهارها . ويسمى هذا **photoperiodism** (٤١) أى التتابع الضوئى . ولقد استطاع زارعو زهرة الذهب النادرة (زهرة **الأقحوان chrysanthemums**) استغلال هذا الأمر لانتاج هذا الصنف من الزهور طوال العام ، وذلك عن طريق التحكم ــ **ولشدة الغرابة** ــ فى كمية **الظلام** التى يجب أن تتعرض لها هذه الزهرة فى معاملهم الضخمة (٤٢) .

أو ليس إذاً نفسك أغلى وأهم من الزهرة ؟!

إن نفسك الغالية على قلب الآب السماوى ، تخضع لنفس هذه القاعدة ، وتكون فترات الظلمة والضيق محددة **مسبقاً** من يد الإله الحكيم ، ليتمم **النمو** والنضوج اللازمين لحياتك السعيدة ولخلاصك الأبدى .

لكن يتبقى لنا سؤال هام ، نحتاج أن نجاوبه قبل أن نبحث فى علاج الأزمات ، وهو : « **ماهى أسباب هذه الأزمات** » ؟

ولنبدأ سوياً فى أجابة هذا السؤال .

أولاً : التغيير :

بالرغم من أن التغيير يمثل حدثاً **طبيعياً** فى الحياة اليومية ، إلا أنه دائماً ما يسبب الضغط النفسى . وكلما كان التغيير **غير متوقع ومفاجىء** ، كلما أحدث ضغطاً نفسياً **حاداً** .

وقد أعد الدكتور توماس هولمز Dr. Thomas Holmes أستاذ الطب النفسى بكلية الطب جامعة واشنطن فى سياتل ، وزميله الدكتور ريتشارد راهى Dr. Richard Rahe ، قائمة من ٤٣ حدث توضح كمية الضغط النفسى الذى تسببه كل أزمة فى الحياة (٤٣) ، بعد أكثر من ٢٥ عاماً من الدراسة . وقد قام أحد الباحثين واسمه كيث سيهنرت Keith W. Sehnert بتعديل هذه القائمة .

وفيما يلى هذه القائمة

مقياس هولمز وراهى

(بعد مراجعة سينهرت)

Holmes-Rale Scale

(Revised by Sehnert)

تعليمات : ضع علامة أمام الأزمة التى حدثت لك ، بشرط أن لا يكون قد مر عليها أكثر من ١٢ شهر . اجمع الدرجات ، وحدد المجموع الكلى فى آخر المقياس ، ثم انظر للتقييم فى نهاية القائمة .

مسلسل	الأزمة	الدرجات
١	وفاة الزوج أو الزوجة	١٠٠
٢	الطلاق	٧٣
٣	الإنفصال الزوجى	٦٥
٤	السجن (فترة السجن)	٦٣
٥	وفاة فرد عزيز من العائلة	٦٣
٦	إصابة أو مرض شخصى	٥٣
٧	الزواج(٤٤)	٥٠

٨	الفصل من العمل	٤٧
٩	المصالحة الزوجية	٤٥
١٠	التقاعد (بلوغ سن المعاش)	٤٥
١١	تغير صحة فرد من الأسرة	٤٤
١٢	الحمل	٤٠
١٣	متاعب جنسية	٣٩
١٤	ولادة طفل فى العائلة	٣٩
١٥	إعادة تعديل الأعمال (٤٥)	٣٩
١٦	تغير الحالة المالية	٣٨
١٧	وفاة صديق عزيز	٣٧
١٨	الانتقال إلى نوع آخر من العمل	٣٦
١٩	تغير عدد المجادلات الزوجية	٣٥
٢٠	رهن عقارى بأكثر من ٤٠٫٠٠٠ دولار	٣١
٢١	حبس الرهن أو القرض (أى عدم إرجاعه)	٣٠
٢٢	تغير المسئوليات فى العمل	٢٩
٢٣	رحيل الأبن أو الإبنة من المنزل	٢٩
٢٤	متاعب مع الأقرباء	٢٩
٢٥	انجازات شخصية بارزة (٤٦)	٢٨
٢٦	نزول الزوجة للعمل أو توقفها عن العمل	٢٦
٢٧	بداية الدراسة أو نهايتها	٢٦
٢٨	تغير فى ظروف المعيشة	٢٥
٢٩	تغير فى العادات الشخصية	٢٤
٣٠	متاعب مع الرئيس فى العمل	٢٤
٣١	تغير عدد ساعات العمل أو ظروفه	٢٠
٣٢	تغير محل الاقامة	٢٠
٣٣	الإنتقال من مدرسة الى أخرى	٢٠
٣٤	التغير فى فترة الإستراحة.أو النزهة	١٩
٣٥	التغير فى النشاط الكنسى	١٩

٣٦	التغير فى الأنشطة الاجتماعية	١٨
٣٧	رهن عقارى أو قرض أقل من ٤٠٫٠٠٠ دولار	١٧
٣٨	التغير فى عدد اللقاءات الأسرية	١٥
٣٩	التغير فى عدد ساعات النوم	١٥
٤٠	التغير فى عادات الطعام	١٥
٤١	إنسان وحيد يحيا فى عزلة	—
٤٢	أزمات أخرى (متروك للقارىء أن يصفها)	—
٤٣	أزمات أخرى (متروك للقارىء أن يصفها)	—

المجموع

التقييم

بعد أن تعطى نفسك درجة لكل أزمة حدثت لك خلال السنة الماضية إجمع الدرجات ، وحدد المجموع الكلى (ملحوظة رقم ٤٢ ، ورقم ٤٣ متروك تحديد الدرجات لك ، بشرط أن تكون ١٥ درجة فما أقل) .

+ **إذا كان مجموع درجاتك ٢٠٠ درجة فأقل** ، فالأزمات التى تمر بها فى الوقت الراهن لن تؤدى إلى أنهيارك النفسى أو لإصابتك بأعراض جسدية بشرط أن تكون قد نجحت فى تكوين إتجاه ذهنى إيجابى يحميك من الفشل ومن الإستسلام لليأس .

+ **إما اذا كان مجموع درجاتك ٣٠٠ درجة فما أكثر** ، فلديك إحتمال ٥٠ ٪ أن تواجه متاعب نفسية أو جسدية من جراء أزماتك الراهنة (٤٧)

++++++++++++++++

رأينا سوياً كيف أن التغيرات التى نواجهها فى الحياة ، تؤدى إلى الضغط النفسى الحاد على أرواحنا ، بشرط أن نستسلم لها ، ونسمح لها بالدخول فى أعماقنا واحتلال الكيان الإنسانى .

وننتقل الآن إلى السبب التالى للأزمات وهو :

ثانياً : الاحتكاكات اليومية مع الآخرين:

أحد الاسباب الهامة التى تساهم فى حدوث الأزمات ، هو الاحتكاك مع « الآخر » . وأقصد بالآخر أى إنسان يمكن أن تواجهه فى مسيرة الحياة اليومية ، من الأهل أو الأقارب أو الأصدقاء أو زملاء الدراسة والعمل أو حتى رجل الشارع العادى الذى تقابله وأنت سائر أو حينما تبتاع سلعة معينة ، أو وأنت تركب المواصلات العامة .

وقد يظن الإنسان للوهلة الأولى أن عيوب الآخرين هى سبب ضيقه ومشاكله وقد يجنح للعزلة محاولاً بذلك تجنب الإحتكاك بأى إنسان . ولكن هذا الامر يحتاج للصدق مع النفس : فعيوب الآخرين ليست هى التى تسبب أزماتك ، ولكن العيب الحقيقى **هو فى اعماقك أنت شخصياً** ، وفى عدم قدرتك على الحب والإحتمال **وقبول الآخر** . إن الكراهية التى تتولد فى قلبك تجاه من لا « تستسيغهم » فى علاقاتك ، هى السبب **الحقيقى** للأزمة التى تواجهها . وعن هذا الأمر قال الرب **« ولماذا تنظر القذى الذى فى عين أخيك وأما الخشبة التى فى عينك فلا تفطن لها »** (مت٧ :٣) . وكلمة خشبة فى أصل اللغة اليونانية (دوكوس) تشير الى العوارض الخشبية التى تستخدم فى بناء المعابد (٤٨) ، وأما كلمة قذى فهى تعنى فى الأصل اليونانى (كارفوس) وهى تشير إلى ذرة صغيرة جداً من التراب أو النباتات (٤٩)

هل وعيت هذا المعنى جيداً ؟

إن الرب **يقصد** أن هذه الخشبة الكبيرة تقف حائلاً أمام عينيك **فتحرمك من رؤية الحقيقة** . فالمشكلة الحقيقية فى **داخلك** ، وأما مضايقات الآخرين واحتكاكهم بك فهو ــ وإن كان أمر واقع ــ إلا انه لا يمثل سوى **ذرة صغيرة جداً** . فإن تعلمت الحب والإحتمال والقبول فسوف تمسى مضايقات الآخرين لك بمثابة **الذرة الضئيلة** ، وسوف ترتفع فوق **ضعفاتهم** ، وتراهم من خلال **عينى المسيح الحانية المحبة** ، وليس من خلال « **خشبة** » الذات والأنانية .

ثالثا : فقدان القدرة على التحكم فى أمور الحياة

وهذا سبب ثالث من أسباب الشعور بالأزمات ، فعندما تفقد القدرة على التحكم فى أى موقف يواجهك ، تبدأ مشاعر الأسى والضيق فى التسلل إلى النفس ، وتصل الأزمة الى قمتها . ماذا عن **الوفاة** ؟ وماذا تستطيع أن تفعل أمام موقف **مثل هذا** ؟ إن فقدان القدرة على **استرجاع** الحدث ، أو « **تعديله** » فى هذا الموقف هو الذى يصل بالحزن لقمته فى النفس . ومثل هذا الموقف يتكرر كثيراً عندما يواجه الإنسان ــ مثلاً ــ هجرة صديق أو فشل مالى غير متوقع ، أو مرض عنيف .

ولكن لدى المسيحى مخرج من هذه الأزمة . فما لا تستطيع التحكم فيه ، يمكنك أن **تسلمه** ليدى القدير ليتحكم « هو » فيه ويخرج منه **أفضل ما يمكن** .

إن الله يمسك زمام حياتك بيديه ، **فقط إن كنت تسلمها له** . إن الأحداث اليومية من نسج يدى إلهك المحب ، وهى تخرج متناسقة لتخدم خطة خلاصك .

فما أروع الايمان الذى يرقى بالنفس فوق اليأس وفقدان الأمل !!

لقد فقد يوسف الصديق **القدرة على التحكم** فى حياته منذ أن طرحه أخوته فى البئر وباعوه كعبد . ولكن الله كان **فوق** الاحداث ، **يرتبها ويعيد تنسيقها** دون أن يرى أحد ، ونجح فى النهاية فى تحقيق خطته رغم « الفشل » الأولى الذى ظهر على السطح . وما تحتاجه النفس فى الموقف الذى تفقد فيها كل سيطرة على مجريات الأمور هو التسليم ليدى القدير صاحب **الأذرع الأبدية** (تث٣٣ :٢٧) ، فهو يعرف **ما يفعل** ، ويدبر **بإتقان** ، ويستطيع أن يخرج من **أسوأ** الأحداث أكثر المواقف **اشراقاً وأملاً** !!

رابعاً : فقدان الأمل (الاحباط)

من أقسى الإختبارات التى تمر بها النفس هو الإحساس باليأس . إن الأمل هو **سر الحياة** . وهناك كلمة شهيرة للعالم « هال ليندزى » «Hal Lindsey» يقول فيها : « إن الإنسان يستطيع أن يحيا ٤٠ يوم بدون طعام ، و٣أيام بدون ماء ، و٨ دقائق بدون هواء ، ولكنه لا يستطيع أن يحيا **أكثر من ثانية واحدة بدون أمل** » ! (٥٠)

إن سفر الامثال يؤكد لنا :« **بلا رؤية يجمح الشعب** » (أم٢٩ :١٨) وبدون هدف واضح ومحدد ، وأمل مشرق ، تبدأ الأزمات فى الهجوم الحاد على النفس .

إن ايليا النبى ، عاش أختباراً مماثلاً . فلما رأى أن ايزابل الملكة أرسلت فى طلب القبض عليه لقتله ، شعر أن أمله ضاع ورجاؤه ذهب **أدراج الرياح** ، وخاصة ان هذه الحادثة أتت عقب خدمة رائعة قام بها النبى النارى على جبل الكرمل ، حيث قتل أنبياء البعل على نهر قيشون ، وطَّهر أرض اسرائيل من عبادة الأصنام (١مل١٨ :٣٨ ــ ٤٠) . وبدلاً من الإحتفال بالنجاح الذى حققه ، إذ بالملكة تطلب **الانتقام منه** ! ويقول الكتاب عنه « **فلما رأى ذلك مضى لأجل نفسه وأتى إلى بئر سبع التى ليهوذا وترك علامة هناك . ثم سار فى البرية مسيرة يوم حتى أتى وجلس تحت رتمة وطلب الموت لنفسه وقال قد كفى الآن يارب خذ نفسى لأننى لست خيراً من آبائى . واضطجع ونام تحت الرتمة** » (١مل١٩ :٣ ــ ٥) .

لقد فقد ايليا **الأمل** فى نجاح خدمته ، فطلب لنفسه الموت ، لأن الرجاء هو الذى يعطى للحياة دفعاتها المتتابعة ، وهو الذى يضيف عليها طعم الفرح الحقيقى **لكن مبارك أسم الله** ! فهو رجاؤنا الحقيقى ، أو بحسب تعبير الليتورجيا فى القداس : « **رجاء من ليس له رجاء** » (٥١) . انظر معى ــ قارئى المحبوب ــ كيف تعامل الله مع ايليا فى يأسه . لقد أرسل له **ملاكه** ليعضده ويعطيه أكله سار بقوتها أربعين يوم ، ثم ظهر له **بنفسه** ، وكلمه **وشجعه** قالاً : « **أبقيت لنفسى سبعة الآف كل الركب التى لم تجث للبعل وكل فم لم يقبله** » (١مل١٩ :١٨) . وهكذا أعاد لنفسه اليائسة **الأمل** . نعم ، مبارك هو الهنا « **طوبى لمن إله يعقوب معينه ورجاؤه على الرب إلهه** » (مز١٤٦ :٥) .

عزيزى : هل تعلمت أن تركع أمام عرش النعمة لتطلب من إلهك أن يعيد **الرجاء لقلبك ؟ وهل تعلمت أن تتمسك بأهداب ثوب المسيح وسط ظلام يأسك وفشلك ؟** إن حاجتك العظمى أثناء اليأس هى أن تذكر وعود الرب **الأمينة** واستحضار شخصه **أمام ذهنك ، والتشبث برحمته الدائمة للأبد** (مز١٣٦ :١)

خامساً : الرفـــض

من أكثر الأسباب شيوعاً للأزمات التى نمر بها هو « الرفض » . فكل إنسان منا بداخله احتياج شديد للحب . فإذا لم يشبع هذا الإحتياج يصاب الإنسان بالـــفشل والحزن . ومثل هذه الأزمة الحادة (أزمة الرفض) قد تبدأ منذ الطفولة ، حينما يشعر الطفل الصغير برفض **والديه** ، وقد يحدث للمراهق الذى يشعر برفض **أقرانه** له ، أو للزوجة التى تشعر **برفض زوجها لها** ، ويختبر الرجال أيضاً هذا الأمر عندما يفقدون مودة زوجاتهم . وقد تظهر هذه الأزمة كذلك عند تخلى **الأحباء** أو عجزهم عن تقديم الحب **المشبع والمتكرر** .

لكن هذه الأزمة أيضاً لها حل عند المسيح . فعندما تفقد محبة البشر وتشعر برفض الآخرين ، فهناك حباً غير مشروط وغير محدود ينتظرك ويناديك **ويتلهف على خلاصك** . إنه حب الله لك ! إن هذا الحب هو الحب الحقيقى القادر على **اشباع حاجتك للتقدير والإهتمام** . إن الله يحبك دون قيد ولا شرط ، يحبك **فضلاً** (**هو١٤ :٤**) .

ومهما بحثت عن حب الآخرين ، سوف تشعر فى النهاية أنك « **تستجدى** » حبهم ، وتظل **أسيراً** لهم ، ومستعد أن تقدم لهم أى **تنازل** ، بشرط أن يستمر عطاؤهم للحب . أما عند المسيح ، فالحب الصافى الثمين « يسعى » وراءك ، **ويقرع بابك دون أن تطلب** ، وينتظر منك أن تفتح الباب لينسكب داخلك ويشبع جدوب نفسك (رؤ٣ :٢٠) !! **ما أكرم** محبة الله ! فمع المسيح **تسترد كرامتك الضائعة** ، وتشبع وترتوى من ينبوع لا ينضب (يو٤ :١٤) ، بل وتتحول من « شحاذ » يقرع باب الآخرين لتستجدى منهم الاهتمام ، إلى انسان **قادر** على توزيع الحب واشباع **احتياج الطالبين والمحتاجين** !!

++++++++++++++++++

استعرضنا سوياً ، عزيزى القارىء أسباب الأزمات النفسية . لكن تبقى لنا نقاط هامة فى دراستنا

ماذا أفعل لأواجه هذه الأزمات ؟

وكيف استطيع أن أخرج منها غالباً وليس مغلوباً ؟

هذا الأمر هو موضوع الأبواب القادمة ....

الباب الثانى

الأحزان والالام ... لماذا ؟

- الحزن .. لحن النداء الإلهى
- حينما يغلق الله الباب
- كيف تتعامل مع الفشل ؟
- هل للاشواك فوائد ؟

الفصل الاول

الحزن ... لحن النداء الألهى

الانسان وسط ظلمة الخطية لم يُحرم من العناية الالهية ، بل بالعكس يسمح الله له بالفقر المادى أو المرض الجسدى أو الحرمان المعنوى أو الأدبى أو الإجتماعى لترتد النفس إلى خالقها تسأل وتطلب وتقرع وهنا تأخذ .. تأخذ مشتهى الكل .. وتنال عمل الله فيها .

القديس يوحنا ذهبى الفم

« لماذا جئت وليس إنسان ناديت ولا مجيب ... »

(أش٥٠ :٢)

كثيراً ما تكون الأحزان التى تهاجمنا بلا سبب واضح . وكثيراً ما يشعر القلب بالإنقباض أو بالتعاسة بلا مبرر . بل وأحياناً ما تكون كل الظروف المحيطة تدعو للأمل وللتفاؤل ، ويظل لحن الآسى قائماً فى أعماق الكيان الإنسانى .

لماذا ؟

دعنا نبحث سوياً هذا الأمر فى الصفحات التالية ...

+ + +

المشهد الآن قبل الأزمنة حين كان الله يحيا وحيداً .

ولأنه ثالوث حب كامل أراد أن يخلق الانسان **ليشاركه** سعادته اللانهائية . وأراد كذلك ــ أمتداداً لهذا الحب ــ أن يخلق الإنسان على صورته ومثاله حراً ، ناضجاً ومستقلاً

وأُسدل الستار على هذا المشهد .

المشهد التالى : آدم حين أساء إستخدام حريته .

فلقد احترم الله الحرية التى منحها لخليقته ، واقتصر دوره على **الإرشاد والنصح والتوجيه « يوم تأكل من هذه الشجرة موتاً تموت »** (تك٢ :١٧) . هذه هى النصيحة لكن لا إجبار أو قسر أو سيطرة .

وأختار آدم **بملء ارادته** أن يبتعد عن الله : فصارت الحرية التى منحها الله لآدم سبب شقاءه وتعاسته . ومنذ ذلك الحين دخل الحزن حياة آدم : **« ملعونة الأرض بسببك بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك وشوكاً وحسكاً تنبت لك »** (تك٣ :١٧، ١٨)

ودخل الحزن كذلك حياة **كل واحد منا** لأننا شركاء آدم فى السقوط لسببين :

أولاً : وراثياً : فقد انتقلت الينا طبيعة الخطية
كقول الكتاب « هاأنذا بالإثم صورت وبالخطية حبلت بى أمى » (مز٥١ :٥)

ثانياً : فعلياً : فنحن نمارس البعد عن الله كل يوم بملء ارادتنا وكأن قصة آدم تتكرر يومياً من خلالنا .

وحينما سقط الإنسان بدأ الله فى « مطاردة المحبة » للإنسان ، واندفع وراءه فى كل مكان يقتفى أثره ويفتش عنه ليعود به إلى **حضنه الملتهب شوقاً وحنيناً** للإبن الغائب .

وظل الله يلاطف الإنسان ليعود : فهو قد خلقه حراً ولا يقدر أن يجبره على الرجوع إليه : فالإنسان الذى سقط **بإرادته** لا يمكن أن يعود إلى الله **إلا بملء رغبته واختياره** .

ودور الله هنا يكمن فى **محاولاته المستميتة** ليحرك إرادة الإنسان ليختار بنفسه العودة .

وبدأت مطاردة الحب للإنسان الضال .

فالله **يتحرَّق** شوقاً لرجوعه ، لأنه يعلم مقدار الشقاء والتعاسة والموت الذى تتجرعه النفس التائهة .

وحاول الله أولاً عن طريق الأنبياء : فأرسل إلى الإنسان كلماته الحانية ليدعوه للتوبة معلناً أنه سيغفر له كل آثامه وسيقبله دون قيد أو شرط .

فلما لم يذعن الإنسان لصوت الآب الممتلىء حنواً ، نزل الله **بنفسه** للإنسان يدعوه ، وذهب إلى الموت ليفتدى الإنسان ويكتب بدمائه دعوة أبدية للنفوس **أنه أحبها ويريدها أن تحيا معه** .

موقف الانسان

يبدو أن الإنسان **تعود** أن يسعى **هو** بنفسه إلى الشيء الذى يريده . فإذا وجد إلحاحاً وسعياً من الله نحوه اعتقد انه « مهم » فبدأ فى التعالى واملاء الشروط .

ولايزال عند الكثيرين منا اعتقادٌ أن اقترابهم من الله سوف يحرمهم من لذائذ الحياة ومباهجها ومن الحرية واستقلال الكيان .

ورغم أن النفس تتذوق فى البعد عن الله **كل أنواع المرار والتيه والقلق** ، إلا أن اللذة التى تمنحها الخطية للإنسان تغمض عينيه مراراً وتكراراًعن السعادة التى سيجدها عند الله .

فالخطية تصور للإنسان أن الأحضان الإلهية **سجن كبير** سوف يقيده ويعوقه عن تحقيق **طموحاته وتأكيد ذاته** .

وإلى اليوم لا يزال الكثيرون منا فى حالة « هروب » برغم كل ما صنع الله لأجل الانسان .

الإنسان مشكلة الله

نحن أسباب الحزن الالهى . إن جاز التعبير !!

فكل الخليقة تخضع لله **بدون تحفظ** ، أما الانسان فلابد أن يختار بملء إرادته الخضوع من عدمه .

ولأن الله رأى أن أختيار الانسان منذ أن خُلق ، أدى إلى موته فإنه يسعى بكافة الطرق **ليقنعه** بالعودة ــ ولو تركه لإرادته لهلك منذ زمان بعيد .

ترى ماذا يكون مصير الانسان إذا استمر فى رفض الدعوة الإلهية ؟

وترى .. **ماذا يفعل الله مع الإنسان بعد كل ما فعل من ملاطفة وتودد وقرعات متواصلة على القلوب ، وبعد الفداء والموت والصلب والمهانة ؟**

كل هذا والإنسان هو الذى **يحتاج الى لله** ، وكان يجب أن يسعى **هو** إليه بكل قلبه وليس العكس !

ترى ... ما إجابة هذه المعضلة ، والتى طرحها الوحى منذ القديم على لسان اشعياء :

« ماذا يصنع لكرمى وأنا لم أصنعه ؟ » (أش٥ :٤)

الأحزان : آخر وسائل الدعوة الالهية : ماهى إذن آخر وسائل المطاردة الأُلهية ؟
إنها **الأحزان** . **وماهى اللغة الأخيرة للنداء الأُلهى ؟**
أنها **الضيقات والتأديبات والمفشلات** .

الحزن هو آخر محاولة للدعوة .

فبعد الملاطفة والإلحاح ، لابد وأن يستخدم الله الحزن **ليحرك** كيان الإنسان وإرادته ليقبل العودة .

فإذا « فشلت » محاولات المحبة الإلهية الهادئة فى اقناعك بالعودة ، فإنها تلجأ « مرغمة » إلى التأديب والأحزان عسى أن تلين الإرادة وتوافق على الرجوع .

عزيزى . لاأريدك أن تفهم أن المشاكل التى تسوقها الحياة لك على أنها **عقاب** الله للخطية التى ترتكبها .

كثيرون منا يعتنقون هذا المبدأ : إن الله « يعاقب » الإنسان و« يتشفَّى » منه ، وينتقم « لكرامته المجروحة » ، « ويثأر » لكسر وصاياه .

هذا هو نمط تعاملات الإنسان مع الإنسان !

أما داخل المحبة الإلهية **فلا يوجد** عقاب أو إنتقام ، بل حب **كامل** وباذل يسعى بدون تحفظ نحو النفوس التائهة .

والحزن **يدخل ضمن إطار المحبة** كلغة من لغات الدعوة للعودة

« هوذا طوبى لرجل يؤدبه الله . فلاترفض تأديب القدير . لأنه هو يجرح ويعصب يسحق ويداه تشفيان » (أيوب٥ :١٧، ١٨)

عزيزى ... إذا أصابتك **الجروح** من يدى الآب الحنون ، فاعلم أنه فعل ذلك « مرغماً » لأنه **يرغب** فى شفائك ، تماماً مثل الجراح الماهر الذى حاول جاهداً

مع المريض ، فلم تفلح الأدوية ، لجأ **مرغماً** إلى المشرط الحاد ، ولو لم يفعل لتعرضت حياة مريضه للخطر .

عروس النشيد

هل رأيت ما فعلته هذه العروس مع ملاطفة حبيبها ؟

لقد تركته **طول** الليل يقرع بابها **ويتوسل** إليها أن تفتح !

« افتحى لى ياأختى ياحبيبتى ياحمامتى ياكاملتى لأن رأسى امتلأ من الطل وقصصى من ندى الليل »

ألم نفعل ــ أنا وأنت ــ هكذا مع المحبة الأهية ؟

كم من **مرة** قرع الله على قلبك ، وتركته دون حتى تتكلف مشقة **التفكير** فى قضية خلاص نفسك ؟

هل هكذا يرد الإنسان على الإله الحنون ؟

وهل هذا هو جزاء الحب الإلهى ؟

كم مرة **سمعت** صوت إلهك يدعوك لتعود إليه فى عظة أو كتاب أو موقف من مواقف الحياة ؟

وكم مرة **أحسن** الله إليك فى أحداث الحياة اليومية ، فحماك مما تعرض له سواك ، وأعطاك ما لم يعطه لغيرك ؟

هل تريد أن تعرف ماذا فعل الإله مع العروس التى رفضت حبه ؟ **« لقد تحول وعبر »** (نش٥ :٦ »

تركها تعانى من الوحدة والألم والفشل وجروح الحياة .

« وجدنى الحرس الطائف فى المدينة **ضربونى وجرحونى** » (نش٥ :٧) ولولا هذه الجروح ما بحثت عن حبيبها وطلبت عودته !!

وهذا هو الإنسان : لا ينتبه بالحب والملاطفة ، إنما يحتاج إلى الجروح ليعرف خطورة الموقف .

إن الله يجرحك هنا لتعود إليه بالتوبة : فهو يعلم قسوة الجراح التى ستعانيها مدى الأبدية لو لم تتب !!

إنه يجرحك لأنه **يحبك** !

الإبن الضال والفشل

ترى كيف عاد الإبن الضال إلى نفسه ؟

إنه لم يفعل هكذا وهو يبذر ماله بعيش مسرف ، و لم يتحرك للعودة إلى بيت الآب وهو يحيا فى رغدة العيش ، بل انتبه حينما حدثت مجاعة وأنفق **كل ما لديه** .

ثم سمح له الله أن يتذوق **الذل والجوع والحرمان** كراعى خنازير مزدرى من الجميع لحقارة عمله .

وكانت هذه الأحداث ــ رغم قساوتها **الظاهرية** ــ هى أسلوب الدعوة والرجوع .

هل عرفت الآن أن الحزن هو آخر لغات النداء الإلهى ؟

إن الله ينبهك « بحب حازم » إلى خطورة البقاء فى الخطية ، والتغرُّب عن حبه ، وهو يدعوك أن تأتى لتتذوق فيه ملء السلام والهناء « فأى ابن لا يؤدبه أبوه ... لأن الذى **يحبه** الرب **يؤدبه** ويجلد **كل** إبن يقبله » (عب١٢ :٦ ــ ٧)

وأنت الذى « أجبرت » الله على استخدام هذه اللغة بكل مفرداتها القاسية ... فلو أنك أطعت من أول نداء للمحبة ، ما كان ذلك حدث !

وبيدك أن تتدارك هذا الامر .

تستطيع أن تعود لأن حضنه مفتوح دائماً للكل .

لكن لا يكن رجوعك اليه **مجرد** أن تضع حداً لمتاعبك الحالية ، ثم تعود من حيث بدأت ، إلى حياتك الأولى بكل ما فيها من ضلال وخيانة للمحبة الإلهية .

لتكن عودتك إليه هى **رغبتك** فى التمتع به وبعشرته .

ذلك لأنك حينما تعود اليه تجد أنك عدت إلى **نفسك** ، وإذا عدت إلى نفسك تجد أنك **عدت إليه** !!

إنك حينما ترتبط به ، تنتظم **كل** دوائر حياتك الروحية والإجتماعية والعائلية : فأنت **نفخة** الله وجزء منه ، ولا تستطيع الحياة بدونه لأنه هو « الحياة » (يو١٤ :٦)

فإن أردت أن تعود لإلهك ، تذكر أنه **لن يحاسبك** على ماضيك **فهو ينساه** لك حتى لو تذكرته أنت أو تذكره الناس لك .

وأن أردت أن تحدثه عن استياءك من نفسك واحتقارك لها ، وعدم استحقاقك لأبوته ، سوف يضع **يده الحانية على فمك** بهدوء كما فعل مع ابنه الضال ، وسيضمك بشدة إلى **حضنه الدافىء** . فليس هذا هو وقت العتاب بل وقت **الفرح** .

وسوف تسمع صوت أبيك الحنون حينئذ ينادى :

« أخرجوا الحلة الاولى وألبسوه ، واجعلوا خاتماً فى يده وحذاء فى رجليه وقدموا له العجل المسمن واذبحوه فنأكل ونفرح لأن ابنى هذا كان ميتاً فعاش وكان ضالاً فوجد » (لو١٥ :٢٢ ــ ٢٣)

أيها القارىء المحبوب : هل تود أن تسمع هذه الجملة اليوم ؟ وهل تود أن ترتاح فى أحضان الأب من مرارة الأحزان التى تجتاحك عبر عمرك السابق ؟ وهل أدركت أن الأحزان هى **رُبُط المحبة** التى ظلت يد الله الأمينة **تجتذبك بها لتعود إليه من الكورة البعيدة ؟**

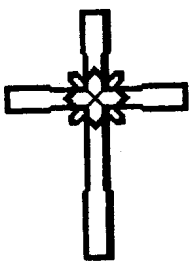

الفصل الثانى

حينما يغلق الله الباب

رب نجاح يكون لأذى صاحبه
رب عطية لا تنفعك ... رب
انحطاط سببه المجد ورب تواضع
يرفع به الرأس
(يشوع ابن سيراخ ٢٠ :٩ ــ ١١)

هوذا يهدم فلا يبنى . يُغلق على إنسان فلا يفتح
(أيوب١٢ :١٤)

قد لا تكون الحياة « أنيقة » كما يتوقع الكثيرون .
فإنك تجد مآسى عنيفة لا **معنى** لها ولا **مغزى** لها .
ونحن لا ننكر هذه الآلام ولا ندَّعى أنه يمكنك أن تتغلب عليها كلية . فهناك **الكثير** مما **لا** نستطيع أن تفعل بصدده شيء : كالأمراض أو العاهات أو الصدمات أو الفشل .

ولكن مع المسيح ، نجد أنه يقدم **أفضل** ما يمكن :
إنه يجعل كل شيء يخدم خيرك وسعادتك .
فلا يوجد وجع أو ألم أو فشل أو ضيق لا يمكن أن يؤول إلى الخير فى حياتنا : وفى هذه الحالة ، أنت تُثرى حياتك بالحزن !

الباب المفتوح والباب المغلق

فى المسيحية نحن لا نختار أبداً : لا توتر ولا ارتباك .
هناك دائماً مخرج وباب ـــ ونحن نجد فى شخص من أحبنا القدرة على تسخير **كل الأشياء للخير** .

فالباب المفتوح **له** معنى فى حياة المسيحى ، والباب المغلق أيضاً له معنى ، **فكليهما** من صنع القدير . فهو « الذى يغلق ولا أحداً يفتح ، ويفتح ولا أحد يغلق » (رؤ٣ :٨)

الباب المفتوح **ينقلنى** إلى الرحب والسعة والسعادة والترنم ، أما اذا سمح الله ـــ فى حنانه ومحبته ـــ أن يُغلق الباب ، فهو يقصد **أيضاً** الرحب والسعة والسعادة والترنم !
الله **هو** الذى يغلق **ليسعدنى** ويفتح **ليسعدنى** !
وفتح الأبواب أو إغلاقها **كليهما** من أعمال المحبة والعناية الإلهية : وثقتك فى إلهك المحب والحكيم تجعلك تقبل **الإثنين** !

هل طلبت من الله أن **يفتح** الأبواب أمامك ؟

أنا أعلم أنك كثيراً ما طلبت من الله أن هذه الطلبة ، لتحقق آمالاً أو أمنيات عزيزة على قلبك .

وأعلم أيضاً أنك كثيراً ما تألمت من عدم استجابته ، واتهمته « بالقسوة » و« الإهمال » و« النسيان »

وأنت لست **وحيداً** فى هذا الأمر .

فلقد سبقك إلى ذلك داود ، فقال لألهه معاتباً إياه « إلى متى يارب **تنسانى** كل النسيان . إلى متى **تحجب وجهك** عنى إلى متى أجعل هموماً وحزناً فى قلبى كل يوم » (مز١٣ :١ ، ٢)

قارئ المحبوب

أنت تريد **راحتك** ... أما الله فيريد **خيرك** وخلاصك الأبدى . وشتان بين **الخير والراحة** : فقد يتطلب خيرك أن تجتاز آلاماً وأحزاناً وضيقات تؤدى إلى نموك ونضوجك .

إن المزارعون يذرون الحنطة برفع سلة تحتوى على القمح المختلط بالتبن ، ثم يبدأون فى أفراغها شيئاً فشيئاً حتى تهب الريح عليها فتطرد العصافة وتترك الحنطة .

وهكذا تهب رياح **الحزن** والضيق على نفسك وكل ما تفعله هو أنها **تفصل التبن عن الحنطة** .

فحينما يغلق الله الأبواب أمامك ، تذكر أنه يريد خيرك **الأبدى** حتى ولو ضحى فى ذلك **براحتك المؤقتة** .

وحينما يغلق الله الأبواب أمامك لا تطلب منه أن يفتحها ، بل اشكره لأجل اهتمامه بسعادتك التى لم **ترها بعينيك** ، بل التى تراها بقلب **الايمان** !

إن الله يستطيع أن يجعل كل الابواب مفتوحة أمامك **لو أراد** ، ولكن يغلقها لأنه **يحبك** ، ومن خلال خطته الحكيمة سيقودك إلى مقاصده الإلهية ، وكل ما عليك هو أن تؤمن بحبه وحكمته .

حياة يوسف

لقد أغلق الله الباب فى وجه يوسف الصديق ، فترك إخوته يحسدونه ، ويلقونه فى البئر ، ثم سمح له بالتغرب عن أهله وعن وطنه ، وتركه بعمل كعبد فى بيت

فوطيفار ، ثم ترك التهمة الموجهة إليه من زوجة سيده تلتصق به ، وفى النهاية أغلق عليه باب السجن وتركه يعانى آلام الظلم والوحدة والوحشة .

وظاهرياً كان الحزن يعمل فى حياة يوسف ، أما فى **الخفاء** فكان الله **يدبر** له خطة الوصول إلى عرش مصر : **وهكذا قاد الباب المغلق يوسف إلى خطة الله** ، ولو استجاب الله لتضرعات يوسف فى رفع الظلم وفتح الأبواب ما تحقق ليوسف قصد الله **الحكيم** !

يوحنا والمنفى

وتكرر نفس التعامل الإلهى مع يوحنا التلميذ الوديع .

فسمح الله بنفيه إلى جزيرة بطمس . ولك أن تتخيل ــ عزيزى القارىء ــ نفس يوحنا الرقيقة وسط **العزلة والقحط والوحشة** ، فى تلك الجزيرة النائية .

ولكن الله كان يريد أن **يختلى** بيوحنا قليلاً ، ليحدثه عما لابد أن يكون عن قريب (رؤ١ :١) .

لقد جاءه النفى بالوحى . فلما انفصل يوحنا عن البشر **اتصل بالله** ، وتحوَّل القفر إلى مكان **لإعلان السماء** ، فكتب لنا سفر « الرؤيا » من مكان منفاه ، وسوف تظل جزيرة بطمس شاهدة للأبد على الظلمة التى تتحول لنور ، **والمنفى الذى يتحول لسماء !!**

وهكذا نجد أن الله يسمح بالفترات « القاحلة » فى حياتنا ليتحدث معنا وفينا وبنا .

الباب المغلق يوجد فى الحياة الروحية

هل أحسست بالفشل يوماً فى حياتك الروحية ؟

وهل حاولت كثيراً أن ترتقى درجات القداسة ، فلم يُكتب لك النجاح ؟

قد يكون هناك أسباب **عديدة** : من عدم الإخلاص وعدم الجدية و ... وهذا ليس هو مجال حديثنا الآن .

ولكن اليك سبب **هام** : قد يكون السبب **هو الله نفسه** !

هل تصدق ؟

فكثيراً ما يسعى الإنسان الى القداسة **كهدف** فى حد ذاته ليضيف إلى رصيد انتصاراته **نصراً** جديداً ، أو ليسجل اسمه فى قائمة القديسين والأبرار والنساك !

وكثيراً ما يظن الإنسان أن فى إمكانه أن يصل إلى القداسة **بنفسه وبقوته وبجهاده**

البشرى **الخالى** من مؤازره النعمة ، **فيخضع** نفسه لأصوام وصلوات وميطانيات ونسك ، وهو يفعل كل هذا ، **ليس حباً فى الله** ، أو سعياً للامتلاء من حضوره ، ولكن **لتحقيق ذاته** واشباع رغبته فى الأنانية والإعتلاء .

وهل جهادنا فى المسيحية يحمل هذه الروح **الأنانية** والتى تحقق ذات الإنسان **على حساب** مجد الله **وتحت ستار الأمانة والجدية** ؟ ومن العجيب أن مثل هذا الإنسان يحيا فى ضيق وتبرم من الحياة كلها فلأنه متوتر داخلياً ، ولأنه غير منسجم مع نفسه ، وغير متفهم لحقيقة الجهاد الروحى ، تجده غضوباً وكئيباً وناقداً لنفسه وللآخرين على اختلاف شخصياتهم ومراكزهم !

هل تظن أن الله يسند مثل هذا **الإنسان ولو كان يسعى للقداسة** ؟ ابداً .

أنه **يتركه** ليتذوق طعم **الفشل** الذريع .

وهو « يغلق » أمامه الباب ليعرف أن هذا الطريق « المزيف » لا يقوده إلا للكبرياء الروحية وللسقوط والإرتداد .

وهو فى حبه **يترك** الإنسان للسقوط ، ليعرف ضعفه ويتضع ويعود ليستند على النعمة فى جهاده وسعيه للأبدية .

وفى هذا المعنى يقول الرسول بولس « لكن الكتاب **أغلق** على الكل تحت الخطية ليعطى الموعد من إيمان يسوع المسيح للذين يؤمنون » (غل٣ :٢٢) ثم يكمل الرسول شارحاً هذه الحقيقة الثمينة فيقول :

« ولكن قبلما جاء الإيمان كنا محروسين تحت الناموس **مغلقاً علينا** إلى الإيمان العتيد أن يعلن . إذاً قد كان الناموس **مؤدبنا** إلى المسيح » (غل٣ :٢٣ ــ ٢٤) .

لقد ظن الإنسان قديماً أن تنفيذه للناموس سيقوده للإنتصار على ضعفه وهذا أبعد ما يكون عن الحقيقة .

لقد **فشل** الإنسان فى الوصول الى الله **بنفسه** ، ولقد سمح الله له بهذا الفشل **ليعرف ضعفه ، وليرجع إلى الله مستنداً على نعمته وليس على ذاته** .

وهذا هو معنى أن « الناموس مؤدبنا إلى المسيح »

إن جهادنا المسيحى الأرثوذكسى جهاد لذيذ ومفرح لأنه **مؤسس على الحب ونابع منه ، ويهدف إليه** .

إن أصوامنا مبهجة لأننا من خلال امتناعنا عن الطعام **نشبع** بشخص المسيح ، وصلواتنا مهما طالت **مفرحة** لأننا من خلالها **نتحدث** إلى من أحبنا ونرتوى منه ،

ودموعنا وميطانياتنا **ممتعة** لأننا فيما ننسحق **نرى الله المتضع ونتقابل معه** .

إننا لا نريد أن نتقدس لنحقق ذواتنا ، بل نريد أن نتقدس لأننا فى القداسة **نتمتع بشخص من أحبنا أكثر وأكثر** .

وقد يحرمنا الله من « قداستنا » المزيفة لأنه لو تركنا نحقق **كبريائنا** ، « لنصير مثل الله عارفين الخير والشر » (تك٣ :٥) **سوف نموت موتاً** .

والباب المغلق يوجد فى الخدمة أيضاً

فقد يسمح الله ــ ولنفس الاسباب ــ أن **نفشل** فى الخدمة .

فقد نقبل على الخدمة لمجرد أن **نحقق طموحاتنا** وشهرتنا الخاصة ، وقد نبذل العرق والدم لنصنع لأنفسنا أسماً لامعاً بين الخدام . وحيل الذات المخادعة **لا** تقف عند حد !!

فقد يصلى الإنسان ويجاهد ويفتقد ويسهر ويقرأ ويدرس وهو فى كل هذا ــ لاشعورياً ــ لا يسعى ويبذل حباً فى إلهه أو رغبة فى خلاص اخوته ، انما لتأكيد نفسه واثبات قدراته وذكائه وتفوقه .

وهنا يتدخل الله « ليغلق الباب » مرة أخرى ..

وخير للإنسان أن يتذوق الفشل فى الخدمة ، من أن **ينجح** ويصيبه الغرور والصلف والذاتية ، وكم من نفوس ضاعت داخل الخدمة بسبب هذا **الكبرياء** !

وحينما يفشل الإنسان فى خدمة سيده ، لأنه استند على قوته ، يردد مع الوحى « **لا بالقدرة ولا بالقوة بل بروحى قال رب الجنود** » (زك٤ :٦) ويقول مع بولس « **لا أنا** بل نعمة الله التى معى » (١كو١٥ :١٠) ثم يغنى هذه الأغنية السعيدة « **اذاً ليس الغارس شيئاً ولا الساقى بل الله الذى ينمى** » (١كو٣ :٧)

وحينما يتأكد الإنسان من ضعفه وعجزه . يكون « الباب المغلق » قد حقق قصده ، وترتفع خدمته إلى **قمة النجاح** !

الباب المغلق سر من أسرار التعاملات الألهية مع النفوس الغالية على قلب الآب السماوى .

وقد « لا نفهم الآن ماذا يصنع الله ولكننا سنفهم فيما بعد » (يو١٣ :٧) سنفهم أن فترات الظلام التى يسمح الله بها لنا هى فترات نمونا ونضوجنا وخلاصنا وسنفهم أنه فى حبه لنا صنع كل هذا ...

الفصل الثالث

كيف تتعامل مع الفشل ؟

عندما يسألك أحد : لماذا ترك الله الشيطان هنا ؟ أجبه بهذه الكلمات « أنه ليس فقط لا يؤذى الشيطان انساناً متيقظاً وحذراً بل ويفيده أيضاً ، ليس بقصد الشيطان (الشرير) بل بسبب شجاعة ذلك الذى يستغل شر الشيطان استغلالاً حسناً »

القديس يوحنا ذهبى الفم

« لأن الله لم يعطنا روح الفشل ... »
(٢تى١ :٧)

إذا كنت قد فشلت فى أى مجال من مجالات الحياة ورضيت بهذا الوضع واكتفيت به فلا تلومن أحداً **إلا نفسك !!**

فإذا اتفقنا على هذه العبارة ، فإنى أدعوك أن تكمل معى قراءة هذا الباب .

أما إذا **لم نتفق** ، فأرجو أن لا تجشم نفسك عناء إكمال بقية هذه السطور فهى لم تكتب لك : فأنت **ضحية الظروف** ، والمجتمع والظلم والفساد والقسوة : وقد اكتفيت **بهذا** وقضيت بقية الأيام **ترثى لفشلك** وتشكو من سوء الطالع ورضيت بهذا الوضع !!

قد أبدو **قاسياً** عليك : **ليكن** .

لكننى لن أداهنك ولن أسايرك لألقى باللوم **على الآخرين** أو على **الظروف** ، فأكسب بذلك رضاك **وأخسر القضية كلها** : وهى كيف تكون صريحاً مع نفسك لتواجهها وتعرف أن أسباب الفشل كائنة فيك وليس خارجك !!

الاستسلام للظروف

نحن لا ننكر العوامل الخارجية فى الفشل :

فقسوة الوالدين وسوء التربية ، وظلم الآخرين وكراهيتهم ، والفساد و ... كل هذا قد يكون فى نظرك السبب الرئيسى لفشلك .

ولكن فشلك ما كان ليحدث إلا لأنك **استسلمت** لهذه الظروف وسمحت لها أن **تغزو** حياتك **وتملأ** فكرك **وتستقر** فى حياتك فخنعت لها ، وسايرتها وصرت **عبداً** لهذه الأوهام .

هل تظن إذن أننى ادعوك أن **تتجاهل** الظروف : ابداً .

أنما أدعوك أن **تدركها لتواجهها** وتنتصر عليها ، ولا تستسلم لها فهذه هى شيمة العاجزين !!

هل تقول أن الفساد فى المجتمع وانتشار الشرور والشهوات بين الناس هى سبب سقوطك فى الخطية ؟

أدعوك أن تفتح رسالة أفسس وتقرأ أول أعداد الإصحاح الأول « **بولس الرسول يسوع المسيح بمشيئة الله إلى القديسين الذين فى أفسس** » (أف١ :١)

ولعلك تقول عن أهل أفسس أنهم **قديسين** لأسباب كثيرة :

فهم قد تربوا على الإيمان ونشأوا فى مجتمع يؤمن الكل فيه بالقيم والاخلاق

وهذا أبعد ما يكون عن الحقيقة !!

فإذا عرفت عن مدينة أفسس أنها كانت مركز عبادة أرطاميس (الإلهة ديانا عند الرومان ــ تقابل إلهة القمر عند اليونان) واشتهرت بمعبدها الشهير الذى كان يُعد من عجائب الدنيا السبع ، وأن هناك انتشرت مراكز السحر والشعوذة .

ربما تغير رأيك !

وإذا عرفت ايضاً أن فى هذه المعابد ، كان هناك عدد كبير من العاهرات اللواتى كرسن أجسادهن « لجذب المتعبدين » وأن الزنا كان جزءاً من « العبادة اليومية » للوثنيين .

ربما توافقنى أنهم لم يولدوا فى القداسة والبر !!

فإذا رأيت أن القداسة يمكن أن تنبت فى مجتمع وثنى يؤمن بالسحر والزنا كأسلوب « حياة » ، تستطيع أن تدرك أن حجة « **فساد المجتمع** » التى يرددها الكثيرون تهرباً من القداسة وتبعية المسيح ، أصبحت حجة **واهية** والدليل هو « **أهل أفسس** » !!

وهل تقول أن فشلك فى الخدمة هو بسبب التغيرات الاجتماعية الحادة ، أو مضايقات الناس ، أو انتشار الشر أو مقاومة الشيطان ؟

أذن أفتح معى رسالة كورنثوس لتقرأ كيف كان الرسول بولس يخدم « **فى الاتعاب أكثر فى الضربات أوفر فى السجون أكثر فى الميتات مراراً كثيرة ... ثلاث مرات ضربت بالعصى . مرة رجمت . ثلاث مرات انكسرت بى السفينة . ليلاً ونهاراً قضيت فى العمق [أى عمق البحر يلاطم الأمواج] بأسفار مراراً كثيرة**

بأخطار سيول بأخطار لصوص بأخطار من جنسى بأخطار من الأمم بأخطار فى المدينة بأخطار فى البرية بأخطار فى البحر بأخطار من أخوة كذبة فى تعب وكد فى أسهار مراراً كثيرة فى جوع وعطش فى أصوام مراراً كثيرة فى برد وعرى »
(٢كو١١ :٢٣ ــ ٢٧)

وترى ... هل أمام المفشلات السابقة ، استسلم الرسول لليأس وترك خدمته ؟!
أقرأ بقية النص : « الإهتمام **بجميع الكنائس** ... **من يضعف وأنا لا أضعف** من **يعثر وأنا لا ألتهب** » (٢كو١١ :٢٨، ٢٩)
ياللعجب !

وسط كل هذه الاخطار ، كان قلب الرسول **ينبض بحب الخدمة** ، ويصر على **الاستمرار فيها وإكمال رسالة المسيح !!**
وترى ... هل كان يفعل هذا كله وهو كئيب الوجه ؟
ابداً : لقد كان فى وسط سجنه يصلى ويسبح الله حتى إلى **نصف** الليل !!
(أع١٦ :٢٥)
فإن علمت ظروف الخدمة التى كان يخدم فيها الرسول بولس ، ربما تتفق معى أن حجة « فشل الخدمة بسبب الظروف » التى ينادى بها كثيرون ، تنهار تماماً أمام حياة الجهاد التى عاشها معلمنا بولس ...

إن المسيح الذى عمل فى حياة القديس بولس وبطرس والأنبا أثناسيوس والأنبا أنطونيوس وآلاف من القديسين والرهبان والخدام لا يزال **هو هو** أمساً واليوم وإلى **الأبد** » (عب١٣ :٨) .

والفرق **ليس بين ظروفنا وظروفهم** ، ولكن بين **تراخينا واهمالنا** وبين **إصرارهم وشجاعتهم** التى واجهت أعنى الظروف وحولتها من ظلمة إلى النور بنعمة المسيح الساكن فيهم .

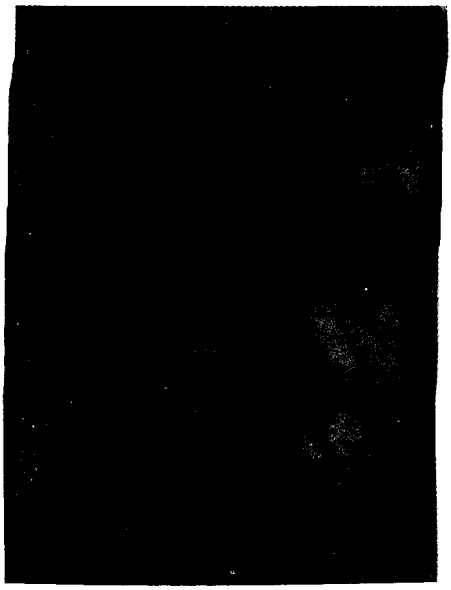

كيف تنظر إلى الغيوم ؟

هل نظرت إلى السماء ذات يوم مطير ، وهى ملبدة بالغيوم القاتمة ؟

كثيرون منا رأوا الغيوم المظلمة ، ولكن **قليلون** هم الذين يدركون أن السحب تبدو قاتمة **لنا وحدنا** إذا أن راكب الطائرة التى تحلق فوق الغيوم السوداء **لا يراها هكذا** ، بل يرى **كل الغيوم ناصعة البياض !!** وهكذا أحداث الحياة : فلا توجد ظروف قاتمة إلا اذا نظرت اليها **من أسفل !!**

والمسيح يقدر أن يعطينا نعمة لكى **نرتقى** فوق الاحداث : فلا نعود ننظر إليها إلا **من فوق** .

وهذه هى قمة ميزات المسيحية : فهى لا تكتفى بالشرح والإيضاح وإنما تقدم سر الحياة **رغم كل ما هو مظلم ومعتم** .

والواقع إن كل ما فى الحياة مواتٍ لك إن عرفت **كيف تستعمله** . والله يضع كل امكانياته بين يديك ليعينك على تسخير كل أحداث الحياة ، مؤلمة كانت أو مفرحة واستخراج الخير منها .

إن الله لا يزال يفعل ما كان يفعله دائماً : **إنه يجعل الشر يخدم قضية الخير . هو لا يلغى الشر** ، بل يصنع **ما هو أروع** فهو يترك الشر يحقق خطة الله فى حياتك وبهذا يتحطم الشر ويتلاشى !!

لقد قال الكتاب « **من ذا الذى يقول فيكون والرب لم يأمر من فم العلى ألا تخرج الشرور والخير** » (مراثى٣ :٣٧) نحن لا نقول أن الشر فى حد ذاته **خير** ، بل هو **يؤول إلى الخير** إذا وُضع بين يدى الله القادرتين !!

يوسف والشر

أن أروع آية قيلت فى هذا المعنى ، تلك التى قالها يوسف لأخوته « **أنتم قصدتم بى شراً وأما الله فقصد به (أى بالشر) خير** » (تك٥٠ :٢٠) والكلمة المحورية هنا **به** أى بالشر !

الكنيسة والضيق

قال أحدهم « إن جهود الشيطان **تسهم** فى انتشار المسيحية » فإن لم تصدق هذا القول اقرأ معى قول الكتاب : « **وحدث فى ذلك اليوم اضطهاد عظيم على الكنيسة ... فالذين تشتتوا جالوا مبشرين بالكلمة** » (أع٨ :١ ، ٤)

وأروع ما فى هذه الآية **الروح** التى سادت على الكنيسة .

فلم يركن المسيحيون إلى الخوف والخنوع والإنزواء ـــ وكنا سنلتمس لهم العذر لو فعلوا ذلك ـــ لكنهم أحسنوا استخراج الخير من الموقف ، فاعتبروا أن تشتيتهم **دعوة من الله لإنتشار الكلمة** .

وهكذا حولوا الضيق والفشل إلى نجاح وانتصار .

النجاح يبدأ من الفشل

لا شيء يمكن أن يؤذيك إن عرفت كيف تستخدمه بنعمة الله . تستطيع أن تجعل من الليمونة اللاذعة عصيراً حلو المذاق ، وتستطيع أن تستفيد من الرياح العاتية إذا عرفت كيف **تنشر الأشرعة أمامها** ! إن الكوارث التى مرت بالكثيرين كانت سبباً فى تفوقهم ، والتحديات التى واجهت نفوس عديدة كانت الطريق إلى نجاحهم : ذلك لأن **العراقيل** يمكن أن تتحول إلى **درجات ترتقى بها سلم النجاح** .

إن النجاح يبدأ دائماً من الفشل ، والإخفاق هو الحافز **الجبار** لكل نفس تبحث عن الإرتقاء .

فإن **اعترفت** بالفشل فقد **استولى عليك** ، أما إذا صممت أن « **تمتطيه** » وتحوله لنجاح فسوف يكون لك ما تريد .

لماذا تيأس من القداسة ؟

هل لأنك تسقط فى الخطية وتعانى من مقاومتها ؟

أنت لست وحيداً فى هذا الامر .

• **فبولس الرسول** الجبار كان **مثلك** ، فقد قال عن نفسه « لأنى لست أفعل الصالح الذى أريده بل الشر الذى **لست أريده** فإياه أفعل » (رو٧ :١٩)

• **واغسطينوس** قديس الكنيسة العظيم كان غارقاً فى الخطية ، فقال عن نفسه : « ... وأما انا فلم **اعرف للهوى** مدى حيث عميت من الدخان الكثيف المتصاعد من براكين الشهوات الجسدية وفلتات الشباب ، فضاع منى الرشد .. **لم أترك امراً**

من شريعتك إلا خالفته » (٥٢) .

• **وموسى الاسود** أب البرية ، كان وثنياً وكان **قاتلاً** وزانياً !
• **والقديسة مريم المصرية** التى صارت سائحة كانت **عاهرة** ومحترفة دعارة !

كل هؤلاء وغيرهم من القديسين دخلوا الحياة روحية وهم فى **قمة السقوط** ، **وحولوا ماضيهم المخزى إلى حاضر مجيد بهيج** بصدقهم واخلاصهم ، وأنت لست أقل من هؤلاء : **فنعمة الله** التى ساندت جهادهم وأمانتهم قادرة أن **تسندك** إلى هذا اليوم .

إن روح الله يعمل **فى الخطاة والضعفاء** ، ولكنه لا **يسند** الكسالى والمتهاونين والذين اكتفوا بالتذمر والشكوى وادعاء الضعف !!

ولماذا تيأس من النجاح فى الحياة ؟
هل تظن أن الله يسندك فقط فى حياتك الروحية ؟ أبداً .

إن حب الله وسنده يمتد ليشمل **كل** جوانب حياتك العملية والدراسية والاجتماعية .

وهل تظن أنك غير قادر على النجاح فى عملك أو دراستك لأنك عادى الذكاء أو لأن الظروف غير ملائمة ؟
هذه أيضاً حجج غير مقبولة .

• لقد قيل عن **اسحاق نيوتن** (١٦٤٢ ــ ١٧٢٧ م) مكتشف قانون الجاذبية وأعظم علماء عصره أنه **عادى الذكاء** وقد أخرجته أمه من المدرسة بعد أن شكا مدرسوه من أنه **لا يهتم كثيراً بما يقولون** . **فصمم** أن يكون عالماً كبيراً ، وبدأ **من حيث أنتهى** كثيرون وأرتقى سلم النجاح وزلزل العالم الحديث بنظرياته وهو فى الحادية والعشرين من عمره !!

• **وتوماس أديسون** (١٨٤٧ ــ ١٩٣١ م) مكتشف الكهرباء لم يتعلم فى مدارس الدولة إلا ثلاثة شهور فقط ، فقط وجده ناظر المدرسة **طفلاً بليداً متخلفاً عقلياً** !!
فأصر توماس أن يحول فشله لنجاح ، وانكب على القراءة والبحث حتى سجل بإسمه أكثر من **ألف** اختراع ، وصار قمة من قمم العلم فى زمانه وحتى هذه الايام !

• وفان بيتهوفن (١٧٧٠ ــ ١٨٢٧ م) أعظم موسيقار عبر العصور والذى ارتقى بالموسيقى إلى أعلى مستوى فنى بلغه أى إنسان ، كان **أصماً** ! ومن العجيب أن أروع سيمفونياته تلك التى أبدعها **وهو أصم** ذلك لأنه أصر على أن يحول مشكلته إلى نجاح لا يزال العالم يتحدث عنه الى اليوم !

وهل تظن أنك لا يمكن لك أن تحاول وتبدأ من جديد ؟

أحد العمال الانجليز **ظل ثلاث عشرة سنة** وهو يواصل العمل بضع ساعات كل يوم فى مصنع للغزل ، وكان يضع بجوار مغزله كتاباً يختلس النظر الى صفحاته من لحظة لأخرى وهو يدير المغزل ، فتلتقط عيناه جملة من هنا وجملة من هناك . وبعد انتهاء ساعات العمل كان يذهب إلى مدرسة مسائية يقضى فيها نحواً من ساعتين . فإذا ما عاد إلى البيت واستراح قليلاً ، استأنف القراءة والمطالعة حتى تخطف أمه المصباح الذى يقرأ عليه ، وحينئذ يأوى إلى فراشه مضطراً .

ولم يعترف العامل البسيط بالفقر ولا بالفشل ، وظل على هذا الحال منذ أن كان فى العاشرة من عمره حتى بلغ الثالثة والعشرين ، ثم لم تمض عليه بعد ذلك سنتان حتى كان قد تمكن من اللغة الانجليزية ونال شهادة فى الجيولوجيا وأخى فى الطب ثم أصبح من مشاهير العلماء .

هل عرفت من هو هذا العامل ؟ إنه « **دافيد لفنجستون** » العالم الطبيب الرحالة الذى أكتشف منابع النيل .

وهل تظن أنك سيء الحظ ؟

أنك لن تكون أسوأ حظاً من « **هيللين كيللر** » : تلك المرأة الباسلة التى أصيبت بالعمى والصمم والبكم **دفعة واحدة** ، وكان يكفيها عاهة **واحدة** لتصيبها بالتعاسة والشقاء **كل** أيام حياتها !! اسمعها وهى تقول : « لقد استمتعت بالحياة ونعمت بجمالها ، وإذا كان نصف قرن من الحياة قد علمنى شيئاً ، فذلك هو أنه ما من شيء على الاطلاق يسعه أن يواتيك بالراحة والاطمئنان **سوى نفسك** » وكانت تقصد الإصرار على النجاح رغم صعوبات الحياة .

فإن وصل كل هؤلاء إلى النجاح ، **ألا نخجل** نحن الذين أُعطيت لنا نعمة الله وامكانياته ، لتضيف إلى ذخيرة الارادة الانسانية الكامنة **فينا قوة الله** وقدرته غير **المحدودة !!**

لقد قال « **وليم بوليفو** » ذات يوم .. وهو أحد مشاهير الكتاب « ليس أهم شيء فى الحياة أن تستثمر مكاسبك . فإن أى إنسان يسعه أن يفعل هذا ، ولكن الشيء المهم **حقاً** فى هذه الحياة هو أن **تحيل خسائرك الى مكاسب** ، فهذا أمر يتطلب ذكاءً وحذقاً ، وفيه يكمن **الفارق بينك وبين الآخرين** »

وأنى لأجد هذه القدرة واضحة كل الوضوح فى حياة انسان فقير ولد فى كوخ حقير قائم على غابات « كنتوكى » فى أمريكا ، ذلك هو « **ابراهام لنكولن** » الذى أرسى قواعد الديمقراطية فى أمريكا بل وربما فى العالم كله . ومن المحتمل لو أنه نشأ فى أسرة غنية ما حقق نجاحاً يذكر ، فالفقر هو الذى جعله يصمم على مواصلة تعليمه والتمكن من فن المحاماة والدفاع عن المظلومين حتى تبوأ عرش أمريكا كلها .

كيف تفكر فى أحزانك ؟

لقد قال « **دارون** » ذات يوم ، وهو ذلك العالم الذى غير نظرة الإنسان إلى الحياة ومنشأها « لو لم أكن مريضاً طريح الفراش ، **لما أنجزت من الأعمال ما أنجزت** » .

إن نظرتك للألم والضيق هى التى تقرر فيما بعد ما إذا كان هذا الألم سيدفعك إلى اليأس أو إلى العمل .

فإذا استسلمت لأحزانك ، ورثيت لنفسك فسوف تنطوى على ذاتك وتغلق عليها ، أما إذا صممت على الاستفادة من الأحداث ستجد أنها **تبنيك** بدلاً من أن **تحطمك** .

تحضرنى قصة عن سيدة بقيت فى الفراش مدة عشر سنوات إثر اصطدام أدى إلى كسر فى عمودها الفقرى وتمزق الحبل الشوكى . فقالت للكاهن وهو يزورها « إن حياتى بدأت **من ذلك اليوم** » . ذلك لأن فى مرضها قررت أن تخدم سيدها ، فأصرت أن تأخذ من عرش النعمة بركة يومية فى الصلاة ، وفاضت محبة الله على **قلبها** وعلى **وجهها** وتوافد الناس على منزلها ليتعلموا منها سر الحياة المسيحية الفياضة وقرر كل من رأى **ابتسامتها فى وسط مرضها** ، أن تلك الروح الجبارة هى التى أثَّرت فيه ، وحركته للرجوع إلى الله **بالتوبة الصادقة** .

إن كلمة « صعوبة » أو « مستحيل » غير واردة **فى قاموس الله** ، لأن الصعوبات يمكن أن تتحول إلى **وسائل** نجاح .

الفصل الرابع

هل للأشواك فوائد ؟

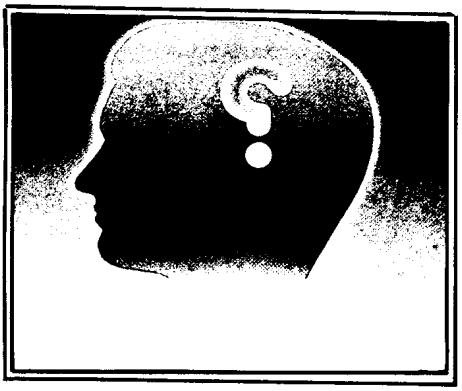

« ومن حيث أن النفس تكون كالطفل لذلك يدربها الرب بالحرب : بالنور والظلمة والراحة والشدة ، ساعة صلاة وهدوء وساعة قلق عظيم ... فإذا رأى الرب محبتك له يأخذك الى حضنه ويدخلك نوره ... ويخطفك من الظلمة وينقلك إلى ملكوته ... »

القديس مكاريوس الكبير

« كلما أزداد الليل حلكة ازداد لمعان النجوم » *قول مأثور*

الحياة ليست حديقة من **الزهور** فقط .
وهى ليست حقلٌ من **الأشواك** فقط .
إنما هى **خليط** من هذا وذلك .

لكن ... هل خطر ببالك أن للأشواك فوائد ؟
نعم : فهى **تحمى** الزهور من العابثين والمتطفلين .
وهل للأشواك ــ أشواك الحزن والضيق والألم ــ فوائد ؟
لقد قال الرسول بولس عن نفسه : « **أُعطيت شوكة فى الجسد** » (٢كو١٢ :٧)
ولقد طلب من الله ثلاث مرات أن يرفع هذه الشوكة ، **فلم يستجب** الرب لطلبته (٢كو١٢ :٨، ٩)
لقد ترك الرب هذه الشوكة لأنها **مفيدة** للرسول ، ولولا هذا **لرفعها فى الحال** .

وأننى استأذنك أن تتأمل معى أيها الصديق العزيز بعض فوائد الأشواك فى حياتنا .

أولاً : الاتكال على القدير :

إن أصعب ما يواجهك فى المسيرة مع الله هى « ذاتك » واحساسك بالإكتفاء . فأنت قد تشعر **بالحاجة للآخرين** ، ولكنك قد لا تشعر بالحاجة الى الله . وحينما تواجه الضعف والضيق والمحدودية ، تستطيع حينئذ أن تلقى جانباً اكتفاءك بنفسك ، وترتمى **كلية** على الرب .

لقد كان أيوب من هذا النمط **الشديد الثقة بنفسه** وببره الخاص . واضطر الله ــ فى حنانه ورغبته فى خلاص نفس ابنه أيوب ــ أن يتعامل معه بقسوة ظاهرية .

لقد كانت مشكلة أيوب هى « أيوب نفسه » ، واتكاله على **امكانياته الخاصة** . اسمعه يقول : « رآنى الغلمان واختبأوا والأشياخ قاموا ووقفوا العظماء أمسكوا عن الكلام ووضعوا أيديهم على أفواههم ... لأن **الأذن سمعت فطوبتنى** والعين رأت فشهدت لى لأنى أنقذت المسكين والمستغيث ... **لبست البر فكسانى كجبة وكعمامة كان عدلى** ... **كرامتى** بقيت حديثة عندى » (أيوب ٢٩ :١ ــ ٢٥)

فلما لم يسمع أيوب لقرعات الله الهادئة ، « اضطر » الله ــ فى حنانه ــ إلى استخدام العنف حباً فيه وفى خلاصه .

وحينما فهم أيوب قصد الله ، قال : « قد علمت أنك **تستطيع كل شيء** ولا يعسر عليك أمر ... أسألك **فتعلمني** لذلك **أرفض نفسي** وأندم فى التراب والرماد » (أيوب٤٢ :١ــ٦)

وأخيراً استسلم أيوب ، وفهم أن عليه أن يتكل على الله وكانت الأشواك الجارحة التى استخدمها القدير هى **وسيلة التخاطب !!**

حقاً ... إننا **لا نقتنع** بفقرنا وعوزنا **إلا** وقت **الضيق** . ونحن لا نعرف قيمة الحب الالهى والغنى المذخر لنا فيه **إلا** وقت **الحزن** .

ثانياً : الإيمان :

الإيمان مغروس فى تعاملاتنا اليومية . فأنت تعهد بأمورك للآخرين ، وبمقدار ما توليهم من ثقة ، بمقدار ما تشعر بالراحة .

فالأم **تعهد** بإبنها للمربية ، وبالطعام للطاهى وبإدارة المنزل للخادم .

وأنت **تسلم** نفسك للطبيب حينما تمرض ، **وتثق** فى حكمته واقتداره . فلماذا إذن تستصعب الإيمان بالله الذى يحبك .؟؟

ألأنك تطلب أن **ترى** وأن **تسمع** وأن **تلمس** ؟

عجباً : أنت تطلب من **المشاعر** الدليل على صدق **الايمان** وهذا الأمر **ضد الايمان** ، لأن قانون الحياة الروحية أن ينمو الإيمان **منفصلاً** عن المشاعر . وهنا يأتى دور آخر للأحزان والضيقات : أنها تخلصك من **الاعتماد على المشاعر** ، وتجعلك تكف عن كل شيء إلا عن الثقة والإرتماء على الله .

والله يسمح بفترات الظلام **لينمو إيمانك به** . كثيرون من أولاد الله يظنون أن الإيمان **يقاس بمقدار الفرح** الذى يختبره الانسان ، وهذا **أبعد** ما يكون عن الحقيقة . الأيمان هو أن تثق بالله فى **غياب** المشاعر والأحاسيس .فالإحساس **متقلب** ومتغير ، وليس له ثبات أو دوام وإذا بنيت علاقتك بالله على ما تشعر به ، تكون قد بنيت بيتك **على الرمل** (متى٧ :٢٦ ــ ٢٧) . ذلك لأن المشاعر تتذبذب لحظياً وتتأرجح ما بين العلو والهبوط . أما الإيمان فهو مؤسس على **وعد** الله الذى لا يتغير ، مؤسس على **الصخر** (متى٧ :٢٤ ــ ٢٥)

نحن نقرأ فى انجيل متى ، أن السيد المسيح **ألزم** تلاميذه أن يدخلوا السفينة ويسبقوه إلى الشاطىء الآخر ــ وتركهم طول الليل يصارعون الأمواج . (متى١٤ :٢٢ ــ ٣٣) . هل تعرف لماذا ألزم الرب تلاميذه بالدخول إلى قلب الاحزان ؟ لأنه أراد أن **ينموا** إيمانهم به . وحينما **يلزمك** الرب بالدخول فى وسط الضيقات ، فهو يدعوك أن **تؤمن** به **وتثق فى وعده** ، **وتتجاوز** مشاعرك كلها ، **وترتمى** بكل ما فيك على إمكانياته اللانهائية .

ثالثاً : أيقونة المسيح :

هل رأيت كيف يُصنع الخزف ؟

إن الخزاف يضع كتلة من الطين على قرص أفقى يدور حول مركزه يتحكم فيه هو بقدميه . وأثناء دوران القرص ، يعمل بيديه لِيُشَكِّل قطعة الطين بحسب مايرى ليصنع أوانٍ عديدة ، وهو يضغط بقوة على جزء منها ، ويحنو على جزء آخر ، ويغير من سرعة القرص من وقت لآخر بحسب مايراه مناسباً ليتشكل فى النهاية الإناء المطلوب .

ولكن ما الذى يحدد الشكل النهائى للأناء الخزفى ؟ إنها « صورة ذهنية » قائمة فى **ذهن** الخزَّاف ، وهو يتابع عمله بلا كلل حتى يخرج الإناء مطابقاً لهذه الصورة الجميلة .

والله المحب الحنون ، له صورة رائعة لحياتك . هل تعرف ماهى هذه الصورة ؟ إنها صورة المسيح !!

يقول الكتاب « **الذين سبق فعرفهم سبق فعينهم ليكونوا مشابهين صورة إبنه** » (رو٨ :٢٩)

لقد خلق الله الإنسان على صورته (تك١ :٢٧) . وكلمة صورة هنا (image) فى اللغة العبرية ، هى نفس الكلمة التى ترجمت فى العهد الجديد صورة (image) وباللغة اليونانية εἰκών أو أيقونة) وتستخدم هذه الكلمة فى أصول اللغة بمعنى « ظل » **shadow** أو نموذج **model** أو مثال **likness**[٥٣]

ما أجمل أن تكون صورة الله !!
لكن الخطية أفسدت هذه الصورة ...
وهذا ما حدث تماماً فى المشهد الذى رآه إرميا :
« قم أنزل إلى بيت الفخارى وهناك أسمعك كلامى . فنزلت إلى بيت الفخارى وإذا هو يصنع عملاً على الدولاب (القرص الدوار) **ففسد الوعاء** الذى كان يصنع من الطين بيدى الفخارى (أر١٨ :١ ــ ٤) وهل تعلم لماذا فسد الوعاء ؟ لأن الانسان أراد أن يقود حياته **بنفسه** ، وأن يشكلها **بحسب استحسانه** وليس بحسب الصورة **image** الإلهية . أما الله فيريد لك إناء جميلاً مثله ، « إناء للكرامة مقدساً نافعاً للسيد مستعداً لكل عمل صالح » (٢تى٢ :٢١) الله يريد أن يعيد لك الصورة التى فقدتها بالخطية .
وأنت تستلم ملامح هذه الأيقونة فى **المعمودية** « **لأن كلكم الذين اعتمدتم للمسيح قد لبستم المسيح** » (غل٣ :٢٧) . ولكن لكى **تتضح** معالم الأيقونة الإلهية ، يبدأ الله بيديه الحانيتين ، يحاوط قطعة الخزف ، ثم **يحنو** على أجزاء **ويضغط** على أجزاء أخرى ، ليصيغ فى النهاية إناءً حسب صورته الكاملة .

هذه هى حكمة الله الثالثة للأشواك :
فهو يضغط عليك بيديه الحانيتين ليشكلك ، **ويطبع فيك صورته** . وهو يدبر جميع الظروف المحيطة بك ليتمم قصده فيك . فإن كانت ضغطات الآب القدير **مؤلمة** إلا أنها تشكلك حسب صورته ...
قيل عن السيد المسيح أنه « **تعلم الطاعة مما تألم به** » (عب٥ :٨) وهكذا أنت تتعلم النضوج من كل شوكة يرسلها الله لك : إنه إله **الظروف والأحداث** ، ولا شيء يحدث لك دون **قصد أو حكمة** .

إن **قسوة** الآخرين تعلمك **الإحتمال** ، والإهانة تعلمك **الغفران** ، والطرد والتخلى يقودك إلى **الصبر والشكر** .

إن كل صليب يعقبه قيامة : **قيامة** تكون فيها صورتك على **صورة المسيح** .
مبارك الله « الفخارى الاعظم » الذى يأخذ بيديه كتل الطين التالفة ، ليصنع منها أوانى للكرامة والمجد . « **ففسد الوعاء الذى كان يصنعه الفخارى من الطين ... فعاد وعمله وعاء آخر كما حسن فى عينى الفخارى أن يصنع** » (أر١٨ :٤)

٤ ــ التنقية :

هل قال لك أحد عن الخطية أنها مُرَّة ؟

كثيرون ... لكننى أود أن تعرف رأى كلمة الله فيها . فوإن كانت الكلمة تقول عن الخطية أنها مميتة (تك٢ :١٧ ــ رو٦ :٢٣) إلا أنها تقول أيضاً « أنها **جيدة** للأكل **وبهجة** للعيون **وشهية** للنظر » (تك٣ :٦) ومن قال عن الكبرياء أنه غير مرغوب ؟ إنه يشبع فى الانسان نزعة **التسلط والفوقية والإستعلاء** . ومن وصف الزنا والإنحراف الجنسى بأنه غيرمطلوب ؟ إنه يشبع فى الإنسان **اللذة** والمتع الجسدية . ومن ذا الذى نعت المال بأنه غير ممتع ؟ إنه يقدم لك الفرصة لتفعل **ما تشاء** وتقتنى **ما تريد** . وهكذا فى باقى الخطايا كلها ...

لكن هذه هى خدعة الخطية الكبرى : فهى مرغوبة وشهية ، وحينما يقبل عليها الإنسان ويُستعبد لها ، يكتشف بعد فوات الاوان مقدار **الموت** الكامن فى طياتها !! فالخطية تقدم لك **باليد** لتسترد منك أضعافاً مضاعفة **باليد الاخرى** وهى تأخذ المقابل من **صحتك ونفسك وعلاقاتك وأبديتك !!**

ولكن لأنها مشبعة ولذيذة ، تستسيغها النفس وتقبل عليها فى كل مرة وهى **تعلم نتائجها مسبقاً** .

وهنا يأتى دور هام للأشواك : فهى تُبَصِّرك بنتائج الخطية ، وتحذرك من الإستمرار فيها ، ولو تركك الله بدون آلام **لاستمرأت** الخطية **واسترسلت** فيها ! إن كبرياء الآخرين تذكرك بكبريائك وتحذرك من تكراره ، وفشلك المالى يعلمك أن لا تتكل عليه فيما بعد بل على **معطى المال** ، وفقدان الطموح يبعد عنك **زهوك وانتفاخك بالعلم أو بالمركز** .

والله يفعل كل ذلك **حباً** بك !!

إن الألم **يفطمك** عن الخطية ــ إن جاز التعبير . وهو يجعلك تكرهها مهما تكرر عرضها عليك فيما بعد ...

٥ ــ الترفق بالآخرين :

وقف أحد الأغنياء ذات يوم فى الكنيسة يعظ عن العطاء وبعد العظة أتاه أحد فقراء الكنيسة وقال له : « هل عرفت معنى الفقر فى يوم من الايام ؟ » فهز الغنى رأسه بالنفى .

فبادره الرجل بقوله « وهل عرفت طعم الجوع والحرمان والعوز ؟ » فرد الغنى مرة أخرى بالنفى . فأجابه الفقير « أنت تعظ عن العطاء من « فضلاتك » والأجدر بك أن تترك هذا الحديث **لمن عرف طعم الفقر** »

حقاً : كيف يستطيع الإنسان أن يشعر بشيء لم يتذوقه ؟! وهكذا قيل عن السيد له المجد « **لأنه فى ما هو قد تألم مجرباً يقدر أن يعين المجربين أيضاً** » (عب٢ :١٨) وقيل أيضاً : « **أن ليس رئيس كهنة غير قادر أن يرثى لضعفاتنا بل هو مجرب فى كل شيء مثلنا بلا خطية** » (عب٣ :١٥) إن الأشواك تعلمنا أن « نرثى لضعفات الآخرين » ولولاها لأصابنا **الإستعلاء والجمود والقسوة** . إن أحد أهداف الألم أن تشعر بضيق الآخرين فتكون **أقدر** على مساعدتهم ، وهذه التهيئة الإلهية للنفس هى **أقوى** مراحل التدريب على الخدمة : فقسوة الآلام تجعلك تسرع **بالخروج من ذاتك** وتنطلق لمساعدة المتألمين .
وشعورك بالآم اخوتك هو **أول** الطرق إلى اقتناء حبهم ، وهو فاتحة الطريق لخدمتهم ونقل بشارة الخلاص والتوبة لقلوبهم .

إن **مدرسة** الألم التى يتخرج منها الخادم هى شهادة الصلاحيةللإحساس بضعفات الآخرين والترفق بهم ، وبالتالى لخدمتهم الأمينة والمثمرة .

٦ ــ الشهادة :

إذا كنت قوياً فانتصرت فى الحرب ، فالفضل يعود لك والمديح يكون من حقك . أما إذا كنت **ضعيفاً** ومتردداً وخائفاً ، وانتصرت ، فلابد وأن يتساءل الناس عن **سر** النصرة ! وإن كنت متفوقاً فى دراستك فتبوأت المراكز الأولى فهذا هو الطريق الطبيعى والمنتظر . أما إذا كنت **فاشلاً** فصرت **متفوقاً** ، فلابد وأن نعرف **السبب** !

وانتصارك على الألم هو خير شهادة للمسيح ، **وابتسامتك وقت الحزن تساهم فى انتشار كلمة الله أكثر من أى عظة أو افتقاد أو عمل فردى !!**

قرأت عن خادم كئيب الوجه كان يقف على باب كنيسته . يدعو أحد الشباب ليترك ما فى يده ويدخل إلى اجتماع الشباب فرد عليه ساخراً « شكراً لا أريد فلدى **ما يكفى من المتاعب** » !

وربما تكون قد صليت مراراً ليستخدمك الله فى خدمة شعبه وأولاده ، ولعل فى انتصارك على أحزانك ، وابتسامتك وفرحك العميق الذى استلمته من يد إلهك ،

خير استجابه لطلبتك ، فهذا الموقف الجبار هو سر الخدمة المفرحة و المثمرة .

ولذلك يشبه الكتاب المقدس المؤمن « **بالبخور** »
فالنار أذا أحرقت أى مادة ، تتصاعد منها أبخرة سوداء ورائحة رديئة . كذلك النفس إذا **تذمرت** على الألم ، وابتلعت فى الحيرة والرثاء الذاتى والشكوى والثورة والحقد ، تتصاعد منها رائحة الموت ، وتقدم أسوأ شهادة للمسيح .
لكن الأمر مع البخور **يختلف** تماماً .

إنها المادة **الوحيدة** التى إذا اجتازت فى النار ، **تتصاعد منها أروع رائحة** ، كذلك النفس إذا اجتازت نار الألم **شاكرة** فهى تملأ الجو **برائحة المسيح الذكية** ، يشتمها العالم ، فيعرف **حقيقة المسيح الساكن فيك** .

لقد كتب بولس رسالته الثانية لأهل كورنثوس وهو فى قمة آلامه ــ قال عن هذه الآلام أنها **كثيرة** (٢كو١ :٥) وأنها **فوق الطاقة** (٢كو١ :٨) وأنها وصلت به إلى قمة **اليأس** من الحياة وبما فيها (٢كو١ :٩) لكنه قال أيضاً أنه **انتصر** على هذه الآلام بثقته فى الله ، وبخضوعه لتدبير الآب ، وأن هذه النصرة هى التى اظهرت للعالم كله رائحة معرفة المسيح « ولكن شكراً لله الذى يقودنا فى موكب **نصرته** فى المسيح كل حين ويظهر بنا **رائحة معرفته** فى كل مكان لأننا رائحة المسيح الذكية » (٢كو٢ :١٤) وكيف تم ذلك ؟
لقد جاز « بخور » بولس فى نار الألم ، شاكراً ، واثقاً ، مستنداً على نعمة الله ، ورأى الناس ثغره الباسم وحياته الشاكرة ، فتمنوا هم أيضا أن أنموذج هذه الحياة الظافرة .
ولقد انتشرت المسيحية فى فجرها بهذا الأسلوب . لقد ظنت قوى الشر أنها إذا أثارت على المسيحية الاضطهاد ، فسوف تقضى عليها .

فإذا بالمسيحين ينهجون نهج سيدهم : لقد جاز المسيح نار الألم والإضطهاد ، فاحترق كبخور وتصاعدت رائحة حبه لتملأ العالم كله وأجتاز تلاميذه الآلام شاكرين ، فازدادت المسيحية إنتشاراً . كان الشهيد **يبارك الله** ، **ويشكر معذبيه** وقاتليه ، بل وأحياناً كان **يُقَبِّلهم ويستضيفهم** كأحباء ، فكانوا يؤمنون بالمسيح بسبب قلبه المرنم ، وثغره المبتسم ، ورائحة الحب المتصاعدة من بخور الآمه .
فنحن نقرأ عن القديس كبريانوس أسقف قرطاجنة (٢٥٨م) ، الذى ما أن

سمع نطق الحكم بإعدامه لإيمانه بالمسيح ، حتى صاح « الشكر لله » ثم التفت إلى السياف الذى سيقطع رأسه **وألقى اليه خمساً وعشرين قطعة من الفضة !!** (٥٤)

ونقرأ كذلك عن الشهيد فليمون ، الذى أمر الوالى أريانوس بتعليقه من قدميه ، وأن يُضرب بالنشاب . فأصابت النشاب **عين أريانوس وقلعتها** . فأوصاه فليمون أن يتوجه بعد موته (أى موت فليمون) إلى قبره ويأخذ من التراب ويضعه على عينيه ، فأطاع أريانوس ، وبعد موت الشهيد وضع من التراب على عينيه ، **فشُفى وآمن بالمسيح !!** (٥٥)

ونقرأ عن الشهيد اسطفانوس فى الكتاب المقدس الذى بارك قاتليه ، وغفر لهم ما يفعلون قائلاً : « **يارب لا تقم لهم هذه الخطية** » (أع٧ :٦٠) متمثلاً بسيده الذى غفر لصالبيه (لو٢٣ :٣٤) ، وكان هذا الأمر سبباً فى **إيمان شاول** الذى كان حارساً لثيابه وراضياً بقتله (أع٨ :١)

إذن ... أخرج للعالم شاهداً لمسيحك .

قل للجميع أن الآلام **لم تنجح** فى تحطيمك أو فى زعزعة ثقتك فى قلب إلهك المحب الذى يدبر كل أمورك . أعلن على الملأ ــ لا بكلامك فقط ــ بل **بموقفك الشاكر** ، وفمك المرنم ، **نبأ القيامة التى هزمت القبر وقهرت الموت** .

٧ ــ التطلع إلى فوق :

هناك عبارة جميلة يرددها الكاهن فى القداس الإلهى وقت تقديس الاسرار هى : « **ونظر إلى فوق** » .

عزيزى : إن كانت الأرض كلها هناء فهناك خطورة أن **تتعلق بها** وتتمسك بما فيها . ولكن الأشواك التى يرسلها الله لنا ، تعمل فينا **لنتطلع إلى العلاء** . إن الله يريدنا أن نرتبط **بالأبدية** ، ولهذا يسمح ببقاء الاشواك لتحقق **هذا** القصد .

أيها الحبيب : « **ليس لنا هنا مدينة باقية** » (عب١٣ :١٤) ، فمسكننا « **سماوى** » (عب١١ :١٦)

أنت هنا **زائر** ، تقضى أياماً قليلة ، طالت أو قصرت وإذا نسيت أنك من « عند الله خرجت وإلى الله تمضى » (يو١٣ :٣) سوف تسعى لتؤسس لنفسك ملكاً باقياً هنا . وهذه ليست دعوة لتهمل منطلباتك اليومية وأمانة عملك وخدمتك ، بل هى دعوة **لأن تصنع كل هذا وأنت** « **ناظر إلى فوق** » .

لا تنس أنك « **غريب فى الأرض** » (مز١١٩ :١٩) وأنك تسكن فى **خيمة** (٢كو٥ :١) لئلا تسعى لتؤمن حياتك هنا « وتغرس لنفسك جنات وفراديس » (جا٢ :٥) وحينئذ **تبيع** أبديتك مقابل أيام **قليلة** تقضيها هنا . إن الأشواك تذكرك أن الخلاص الكامل لا يتم إلا فى **السماء** ، وأن الراحة الكاملة لا نصل إليها إلا **فى المجد** ، وبهذا **نشتهى** الإنطلاق كقول بولس « **فإننا فى هذه** (فى الخيمة) **نئن** (**من الآم الجسد** وأتعاب الحياة) **مشتاقين أن نلبس فوقها مسكننا الذى من السماء** » (٢كو٥ :١ ــ ٢ » ثم يكمل قائلاً « **فنثق ونسر بالأولى أن نتغرب عن الجسد ونستوطن عند الرب** » (٢كو٥ :٨)

إن « **الأشواك** » تحرك فينا « **الأشواق** » للسفر السعيد فننتظره ونشتاق إليه . **هناك** فقط يزول الفراق والحزن والموت والفشل .. **هناك** نتمتع بالفرح الكامل دون انقطاع . فإن تألمت **تذكر وطنك السعيد** ، وتذكر أن الله سمح لك بهذه الآلام **لئلا تنساه** .

هل عرفت إذن ، **أن للأشواك فوائد** ؟ وهل تشكر الله على الأشواك التى سمح ببقائها فى حياتك ؟

لقد أدرك الرسول قيمة الشوكة « **ولئلا أرتفع** بفرط الإعلانات أعطيت **شوكة** فى الجسد ... لذلك **أسر بالضعفات والشتائم والضرورات والإضطهادات لأجل المسيح لأنى حينما أنا ضعيف فحينئذ أنا قوى** » (٢كو١٢ :٧ ــ ١٠)

هيا ياصديقى .. ارفع معى صلاة بهذه الكلمات البسيطة

إلهى ... أعنى لأشكرك على كل شوكة سمحت بها لنفسى ...
*وأعنى لأفرح بها ، **فمحبتك** هى التى سمحت بها **لخلاصى** ...*
*دعنى **أقبلها** بشكر بل دعنى **افتخر** بها كبولس رسولك فالأشواك شهادة حقيقية على إهتمامك بى وسهرك على ، ودليل على يديك الحانيتين اللتين **تكتبان قصة خلاصى** . ساعدنى لكى اترنم بحبك وبشكرك **وسط الآمى** وضيقى .*
*أجعلنى أجوز النار مثل لبان البخور ، أقدم لك رائحة طيبة ذكية تفرح قلبك وسط كون **أدار لك ظهره** ، **ورفض** حبك **وتذمر** على تدبيرك .*
*وإلى أن أراك إجعلنى **ساهراً** مرنماً بأغنيات حبك وشكرك **وسط ليالى غربتى** ، شاهداً على نصرتك **بين اشواك الألم التى سمحت بها لى** .*
لك المجد فى كنيستك إلى الأبد آمين .

الباب الثالث

عندما يهاجمك الظلام

- خلف القضبان
- الذهاب إلى قلب العالم
- السجن ... منبر الكرازة
- كيف تواجه الظلام ؟

مقدمة :

نحن نحتاج أن **نرى** الأمور مجسمة أمامنا لتتضح حقيقتها .

وبالمثل فى قضية الأزمات ، نحتاج أن نرى **انموذجاً عملياً** لنتحذى به ، ونتبع خطواته .

ولا يوجد أجمل من نموذج **الرسول بولس** ، هذا الكارز **العملاق** لنتتبع مشاهد حياته ، ونرى كيف واجه الضيقات والمشاكل التى اجتاحته .

وسوف ندرس سوياً أزمة من **أخطر** الأزمات التى اجتازها رسولنا المبارك .

فلتتقدم إذاً سوياً لنميط اللثام عن جوانب هذا الموضوع .

الفصل الأول

خلف القضبان

« ولم يقولوا أين الله صانعى
مؤتى الأغانى فى الليالى »
(أى٣٥ : ١٠)

« فى السجون أكثر ... »
(١كو ١١ :٢٣)

هل ذهبت ذات يوم إلى السجن ؟
لا أعتقد ...
ولكنك بالتأكيد سمعت عنه أو قرأت عما يحدث بداخله : من الآم **الوحدة** ، **ووحشة** الضيق وسوء المعاملة ، والإحساس **باليأس** ، والحرمان من الحرية ...

فإذا طلبت منك أن تذهب لتزور أحد المسجونين **فماذا كنت تقول له ؟**
طُرح هذا السؤال فى إحدى مؤتمرات الشباب ، فجاءتنا الإجابات كالتالى :

- أصمت ولا أستطيع الحديث .
- أحدثه عن **الرجاء والأمل** فى الله ، **وأؤكد له** غفران الله الكامل إذا تاب توبة صادقة .
- أوصيه بعدم اليأس **وأشجعه** على أن يكون إنساناً صالحاً .
- **أوبخه** على أفعاله أولاً ، ثم أدعوه لحياة مسيحية صادقة فى عشرة الله .
- أشجعه على استغلال وقته فى السجن ليتعلم دراسة أو حرفة تنفعه فيما بعد .

ثم طُرح السؤال التالى :
« ماهى الأفكار والمشاعر التى تتوقع أن **تدور فى داخل إنسان حكم عليه بأن يقضى جزءاً من حياته فى السجن ؟**
فجاءت الإجابات كالتالى :

- الإحساس بالوحدة .
- **اليأس** من الحياة وما فيها .
- الرغبة فى الإنتقام من المجتمع الذى ألقاه فى السجن .
- **الملل والفراغ** .
- الإنحراف وراء شهوات الخطية فكرياً وجسدياً .

ـــ الرغبة فى **نسيان الواقع** باللجوء للمخدرات التى يتم تهريبها داخل السجن .
ـــ صغر النفس والإحساس بالضياع .
ـــ فقدان معنى الحياة .

وأخيراً طُرح السؤال التالى :
« ماذا **تتوقع** أن يكتب لك أحد المسجونين لو تصورنا أنه **أرسل لك خطاباً من السجن** ؟ »
فجاءتنا الاجابات التالية :
ـــ يحدثنى عن آلامه **ومعاناته** فى السجن وحرمانه من الأصدقاء والأهل ، ورغبته فى الحرية والإنطلاق .
ـــ يطلب منى أن أرسل له ما ينقصه من احتياجات مادية .
ـــ **يشكو** لى من سوء معاملة الجنود القائمين على حراسته .
ـــ يحكى لى عن **يأسه** من الحياة وما فيها ورغبته فى الموت بأسرع ما يمكن .
ـــ يطلب مشورتى فى مشاكله الخاصة .
ـــ يشكو لى من إحساسه **بالوحدة** والملل والهم والقلق والتوتر .
ـــ يحكى لى عن **رغبته فى الخروج** من السجن ، ولو اقتضى ذلك الهرب والفرار .
ـــ يكتب لى عن **أمنياته فى الحياة** بعد خروجه من السجن .

++++++

وأنا أسمعك تتساءل : « ما شأنى وكل هذا الحديث ؟ »
فأنا **لم أقابل مسجوناً** فى حياتى ولن أفكر فى يوم من الأيام أن أكتب له رسائل أو أستقبل منه خطابات .

وأنا **أعتذر** لك بشدة أيها القارىء العزيز عن الإسترسال فى الكلام عن هذا الأمر ...
ولكننى اُضطررت لكتابة هذه المقدمة الهامة ، لتدخل معى إلى **الجو النفسى** الذى يحيط بإنسان سجين . وقد تقول مرة ثانية : « وما علاقتى بهذا الأمر ؟ » ولكنى

أوكد لك أن هذا الأمر قريب جداً منك دون أن تدرى ... **فهناك سجين شهير جداً ، أنت تعرفه جيداً** ، وتقابله كل يوم ، وتستلم منه خطابات دائمة ...
هل تريد أن تتعرف عليه ؟
إذن أحضر كتابك المقدس وافتحه على العنوان التالى .

« رسالة بولس الرسول إلى أهل فيلبى »

هل **عرفت سجيننا** الشهير ؟
إنه الرسول **بولس** .
وإذا قرأت هذه الرسالة ، سوف تندهش ، لأنك لن تصدق أن مثل هذا « الخطاب الطويل » ، مكتوب من خلف جدران سجن روما المنيع : أكثر سجون العالم **قسوة ووحشية** فى ذلك الزمان ..

وإذا تصفحت هذه الرسالة ، التى كتبها الرسول بولس وهو مقيد بالسلاسل ، ستكتشف أن لديه كماً من **السعادة غير عادية** ، فكلمة « **الفرح** » تكررت عبر سطور الرسالة كلها **تسع عشرة مرة** !! وليس هذا فقط ، بل إن كلمات التعضيد والتشجيع والرجاء والأمل تفيض من **كل** كلمة بل ومن **كل** حرف !!

يكفيك أن تقرأ معى عدة مقتطفات من الرسالة **للتأكد بنفسك** من صدق هذا الأمر :

ـ أقرأ مثلاً (فيلبى١ :٣ ،٤) : « **أشكر إلهى عند ذكرى إياكم دائماً فى كل أدعيتى مقدماً الطلبة لأجل جميعكم بفرح** »

ـ أو أقرأ (فيلبى ٢ :١٨) « **وبهذا عينه كونوا أنتم مسرورين أيضاً وافرحوا معى** »

ـ أو أقرأ (فيلبى٣ :١) : « **أخيراً ياأخوتى افرحوا فى الرب** »

ـ ثم تأمل هذه المقطوعة الشعرية الخالدة والتى ختم بها الرسول حديثه :

« **افرحوا فى الرب كل حين وأقول أيضاً أفرحوا . ليكن حلمكم معروفاً عند جميع الناس . الرب قريب . لا تهتموا بشىء بل فى كل شىء بالصلاة والدعاء مع الشكر لتعلم طلباتكم لدى الله . وسلام الله الذى يفوق كل عقل يحفظ قلوبكم وافكاركم فى المسيح يسوع** » (فيلبى٤ :٤ ـ ٧)

الموازين المقلوبة :

هل رأيت ما فعله الرسول بولس ؟

السجين يتهلل **فرحاً وبشراً وحبوراً !!**

والسجين **المقيد** ، هو الذى يشجع ويقوى ويعضد أهل فيلبى **الأحرار** ، ويبث فيهم الأمل والرجاء !!

وهل تذكر ما تحدثنا عنه فى بداية هذا الفصل عن الجو النفسى الذى يحيط بالمسجون ؟!

لقد **قلب** الرسول كل الموازين المنطقية التى نعرفها !!

ترى ...

ما الذى جعل الرسول يفرح داخل السجن ؟

وكيف استطاع ــ وهو المقيد بالسلاسل ــ أن يشجع الاحرار ؟! **وكيف** تمكن الرسول وهو يعانى من الظلم والاضطهاد والآم الوحدة والحرمان أن يكتب رسالة رجاء وتعزية لا نزال نرتوى من نبع سلامها إلى اليوم ؟!

الإيمان سر الفرح :

إجابة هذه الأسئلة تتلخص فى كلمة واحدة : **الإيمان** .

لقد كان الرسول يؤمن **بحب الله وحكمته** الكائنة خلف الأحداث مهما كانت مظلمة .

وكان يثق أن الله **سمح** بدخوله السجن من أجل انتشار الكرازة .

هل تصدق ؟!

لقد كرز الرسول بولس فى سجن روما ، **أكثر مما كرز فى كل رحلاته التبشيرية وهو حرٌ طليق !!**

ولقد تحولت جدران السجن التى قصد بها الشيطان تعطيل الإنجيل إلى معاول لهدم كل حاجز وقف فى طريق البشارة !!

وهذا هو ما قصده الرسول حينما قال :

« **إن أمورى** (أى أمور سجنى) **قد آلت أكثر** إلى تقدم الانجيل » (فى ١ :١٢)

ولذلك تمكن الرسول من ممارسة « **فن الفرح** » « **وهواية السعادة** » التى اعتاد ممارستها فى كل ظرف مهما بدا مظلماً .

والآن هل تود أن تعرف تفاصيل القصة كاملة ؟

الفصل الثانى

الذهاب إلى قلب العالم

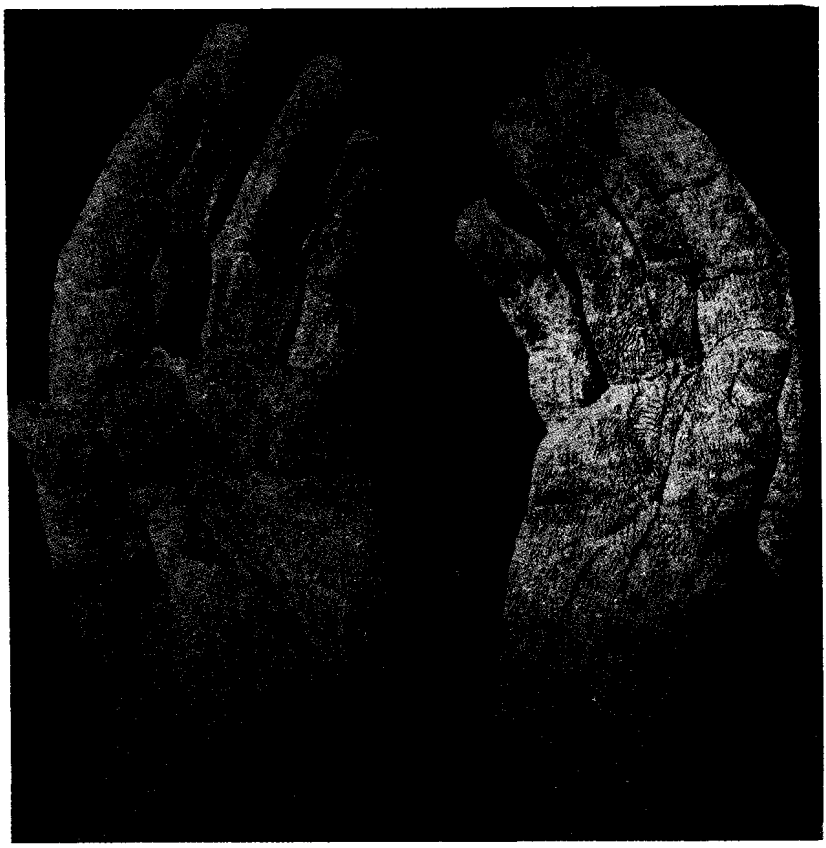

« أشكر إلهى بيسوع المسيح من جهة جميعكم أن إيمانكم ينادى به فى كل العالم » (رومية ١ :٨)

« إلى قيصر أنا رافع دعواى ... »
(أع ٢٥ :١١)

أن قصتنا الشيقة تبدأ حينما تمنى قلب الرسول بولس الغَّيور أن يذهب إلى روما . تسألنى **لماذا ؟**

لأن الرسول كان يعلم أن روما هى **قلب العالم** فى ذلك الوقت ، وهى مركز إلتقاء الناس من شتى بقاع الأرض للتجارة والسياحة . ورسولنا الخالد ، كان يشتاق إلى الذهاب هناك ليبشر بالكلمة وينادى برسالة المسيح ، فإذا تحقق له قصده ، يكون قد حقق لمملكة السماء ملء النجاح : **فالناس من كل أنحاء المسكونة ستسمع رسالة الخلاص ، وستعود إلى بلادها حاملة معها نور الإنجيل** . وهو بهذا يحقق خطة استراتيچية عظمى ، ذلك **لأنه يبشر العالم من قلب العالم : روما العظيمة** .

وليس هذا فقط ، بل إن إيمان روما بالمسيح فى حد ذاته سوف يدفع بالبلاد التابعة لها والمحيطة بها إلى التشبه « **بسيدة البلاد** » فى ذلك الوقت .

يوم الخمسين

ولعل الرسول بولس كان يتذكر ما حدث فى يوم الخمسين ، حينما حل الروح القدس على التلاميذ ، وسمع اليهود من كل مكان رسالة المسيح على فم التلاميذ كقول الكتاب :

« **وكان يهود رجال أتقياء من كل أمة تحت السماء ساكنين فى أورشليم ، فلما صار هذا الصوت (صوت حلول الروح القدس » اجتمع الجمهور ...** »
(أع٢ :٥)

وقد كان من **ترتيب الله المتقن** ، أن يوافق يوم حلول الروح القدس يوم الخمسين ، الذى لا يتكرر إلا مرة واحدة فى السنة (خر٣٤ :٢٢ ،لا٢٣ :١٥ ، تث١٦ :٩) ، ذلك اليوم الذى كان **يتحتم** فيه على الشعب اليهودى أن يمثل أمام الرب فى الهيكل .

وحيث أن كثيرين من اليهود كانوا **يسكنون خارج اورشليم** فى مختلف انحاء العالم ، فقد حضروا إلى أورشليم فى ذلك اليوم .

وسمع اليهود من كل بقاع الأرض الرسالة السماوية ، ثم عادوا ـــ كل واحد إلى بلاده ـــ حاملين معهم الخبر السار ، وهكذا حقق الله انتشاراً عالمياً من يوم واحد فقط !! وتحقق قول المزمور « **فى كل الارض** خرج منطقهم **وإلى أقطار المسكونة** بلغت أقوالهم » (مز١٩ :٤)

كانت كل هذه الأفكار تملأ قلب الرسول النارى ، الممتلىء حباً لسيده المصلوب . فتمنى أن يكرر ذلك اليوم المجيد واشتاق أن يحقق ذلك الأمل الكبير .

+++++

ولعلك تفهم الآن هذه الآيات التى كتبها الرسول بولس فى رسالته إلى أهل رومية ـــ **وهو لم يكن قد ذهب إليها بعد ـــ** فيقول لهم : « ثم لست أريد أن تجهلوا أيها الأخوة أننى **مراراً كثيرة قصدت أن آتى إليكم** ومُنعت حتى الآن » (رو١ :١٣) ويقول كذلك : « وأما الآن فإذ ليس لى مكان بعد فى هذه الأقاليم ولى **اشتياق إلى المجىء إليكم منذ سنين كثيرة** ... » (رو١٥ :٢٣) ويؤكد ذلك بقوله : « **فمتى أكلمت ذلك وختمت لهم هذا الثمر فسأمضى ماراً بكم إلى أسبانيا . وأنا أعلم أنى إذا جئت إليكم سأجىء فى ملء بركة إنجيل المسيح** » (رو١٥ :٢٩)

نعم لقد كانت هذه أمنية الرسول الكبرى أن يذهب إلى روما .

+++++

وتتابعت الأحداث بسرعة :

فوقع الرسول بولس فى قبضة العساكر الرومان أثناء وجوده فى أورشليم ، بإيعاز من اليهود الذين اتهموه بأنه ينقض ديانتهم ويكسر ناموس مـوسى (أع٢١ :٢٧ ـــ ٣٢)

ولما وجد بولس أن العدالة لن تنصفه فى اورشليم ، رفع دعواه إلى قيصر ليحاكمه (أع٢٥ :١١ ،١٢) ، وقد كان من حقه كمواطن له الجنسية الرومانية (أع٢٢ :٢٧ ،٢٨) أن يفعل ذلك .

ولكن الرسول لم يرفع دعواه **مجرد أن ينال حقه** ، فهذا أبعد ما يكون عن التصور : فهو الذى قبل الآلام والميتات مرات **عديدة** وسجل حياته الحافل ممتلىء بسلسلة من الضيقات فاقت ضيقات **كل** الرسل (٢كو١١ :٢٣ ــ ٢٧) وقد أكد الكتاب على هذا ، على فم أغريباس(٥٦) ، حينما قابل بولس أثناء وجوده فى أورشليم . قد شهد هذا الملك ببرائته ، وأراد اطلاقه لولا إصرار الرسول على الذهاب إلى روما ، فقال الكتاب : « **وقال أغريباس لفستوس (٥٧) كان يمكن أن يطلق هذا الإنسان لو لم يكن قد رفع دعواه إلى قيصر** » (أع٢٦ :٣٢)

وللمرة الثانية نفهم **إصرار** الرسول على الذهاب لروما ليبشر بالمسيح ولينادى ببشارة الخلاص .

ولكن للأسف وصل الرسول هناك **أسيراً** ، وقد كان يحلم بالحرية لينطلق إلى النفوس الضالة مبشراً إياها بالحب الإلهى .

ترى ما الذى حدث عندما وطأت أقدام الرسول بولس أرض روما العظيمة ؟

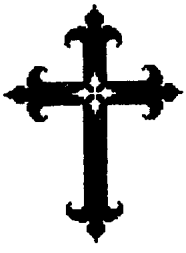

الفصل الثالث

السجن ...
منبر الكرازة

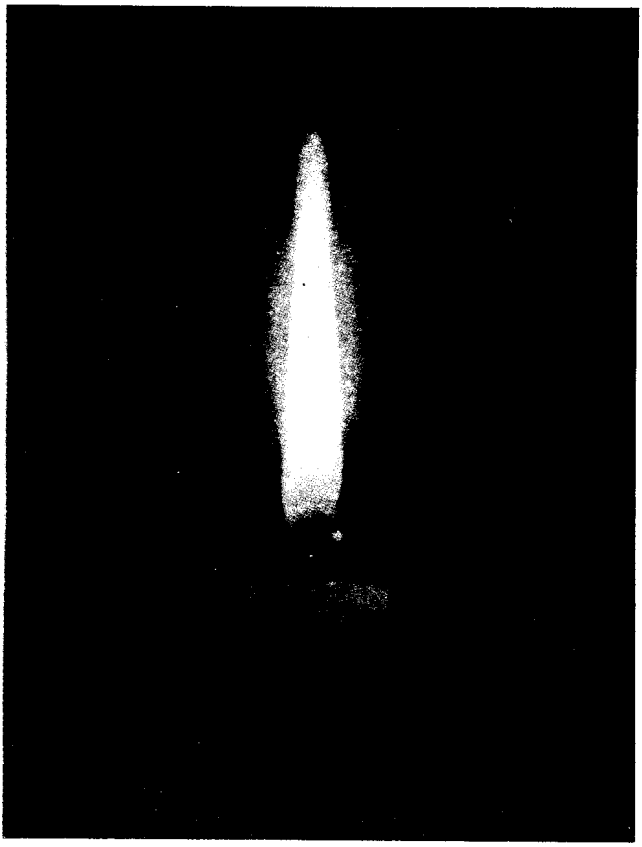

« ... لأعلّم جهاراً بسر الإنجيل
الذى لأجله أنـا سفير فى
سلاسل »
(أفسس٦ :١٩ ،٢٠)

أمورى قد آلت أكثر إلى تقدم الانجيل ... » (فى١ :١٢)

حينما أصر الرسول على رفع دعواه لقيصر ، كان يتوقع أن يذهب لديه ويعرض عليه شكواه وينال حريته **سريعاً** ، ثم يتفرغ للعمل الكرازى الكبير الذى أخفاه فى قلبه سنيناً كثيرة . ولكن هذا **لم يحدث** ...

فقد وصل أسيرنا العظيم الى روما ، وسُلم إلى رئيس معسكر الجنود القائمين على حراسة الأسرى ، وأُذن له أن يقيم وحده مع العسكرى الذى كان يحرسه (أع٢٨ :١٦) وبعد ذلك بقليل ، سُمح له أن يستأجر بيتاً لنفسه ــ وإن لم يزل تحت الحراسة ــ وظل على هذه الحال **سنتين كاملتين** !! (أع٢٨ :٣١) وهكذا وجد الرسول نفسه داخل روما ، ولكنه مقيد اليدين ، ومحدد الإقامة !!

أسمعك تقول : « **يا للخسارة**» !!

« لقد تبدد الامل » لقد « ذهبت أمنية بولس أدراج الرياح » . بل لعلك أنت نفسك عانيت أو تعانى من أمر قريب من هذه الأحداث : حينما تتمنى وتحلم وتنتظر ، وتجد أن الحياة **تعاندك** ، وأن الرياح **تهاجمك** ، وأن الاحداث تنقلب **ضدك** !!

فهل تريد أن تعلم بقية القصة وتكملها معى ؟

لقد حدث ما لم يكن فى الحسبان ، وما يفوق التصور والخيال ، وإليك التفاصيل **المذهلة** :

أولاً :

كان بولس مقيداً بسلسلة قصيرة تمتد من معصمه إلى معصم الجندى المكلف بحراسته ــ وهذه السلسلة هى التى تحدث عنها بقوله « **وثقى** » (فى١ :١٣) ، وبقوله « سفير فى **سلاسل** » وأيضاً « **قيود** الانجيل » (فليمون٩ ،١٣)

وكانت هذه السلسلة تربطه بيد الجندى **ليلاً ونهاراً** .

ولابد أن عدداً من الجنود كانوا يتناوبون ـــ بالطبع ـــ على القيام بهذه الحراسة . وقد قيل أن الجندى كان يتبدل **عدة مرات** فى اليوم الواحد ـــ حسب النظام الرومانى ـــ حتى لا يُكوِّن صداقة مع الأسير وحتى لا تؤدى هذه الدالة إلى حدوث **تجاوزات** ، أو تؤدى إلى **هروب** السجين .

ويالها من فرصة **سانحة** للرسول بولس الذى كان صدره يلتهب بالغيرة للكرازة .

فبدلاً من أن يستسلم لليأس والفشل ، انبرى **يستغل الموقف** ، **ويحدث الجنود القائمين على حراسته عن شخص المخلص** .

ولم يكن هذا الحديث **عابراً** ، كذلك الذى يحدث عندما تلقى موعظة ثم تنصرف بعدها ، لكنه كان « **عملاً فردياً مركزاً مثمراً** »!!

وليس هذا فقط ، بل لابد أن هؤلاء الجنود كانوا يسمعون مواعظ بولس للقادمين إليه لزيارته ، وربما كانوا يقرأون رسائله ، التى كان يكتبها فى السجن ، وربما فتحوا معه باب المناقشة **أثناء فترات النهار الطويلة** عن شخص المخلص ، وعن حبه العميق للبشر .

فإن عرفت أن بولس ظل على هذه الحال **سنتين طويلتين** (أع٢٨ :٣١) وأن عدد الجنود الذين يتناوبون على حراسة السجين فى اليوم الواحد كان يتراوح من **أربعة إلى ستة** ، تستطيع أن تدرك كم هو **عدد** الجنود الذين سمعوا رسالة المسيح الخلاصية على فم بولس !!

++++++++++++++++

ونحن نقرأ عن هذا الذى حدث ، **آيتين** فى رسالة فيلبى من أعجب ما يكون **الأولى هى** :

« **ثم أريد أن تعلموا أيها الأخوة أن أمورى قد آلت أكثر إلى تقدم الانجيل حتى إن وثقى صارت ظاهرة فى المسيح فى كل دار الولاية** (ودار الولاية هى الثكنة التى كان يسكن فيها جنود الحرس الإمبراطورى) **وفى باقى الأماكن أجمع** » (فى١ : ١٢ ،١٣) . نعم : لقد وصلت البشارة إلى **أبعد الأماكن عن التصور** : فقد انتشرت رسالة الإنجيل بين حراس الإمبراطور !!

أما **الآية الثانية** ، وهى أعجب ، فهى :

« **يسلم عليكم جميع القديسين ولا سيما الذين من بيت قيصر** (وكان نيرون هو قيصر هذا الزمان) » (فى٤ :٢٢) .

هل تصدق ؟!

لقد وصلت البشارة ، ليس إلى ثكنة حراس القيصر ، بل إلى بيت **القيصر نفسه** ، بل وصار **فى بيت نيرون قديسون وقديسات** بسبب كرازة « **السجين** » بولس !!

ترى ....

لو كان بولس **حراً طليقاً** ، هل تعتقد أن رسالة المسيح كانت ستصل إلى هذه الأماكن ؟؟

ثانياً :

بالإضافة لكرازة بولس للجنود ، كان يقدم الكرازة **لكل** من يقدم إليه .
ولا شك أن أخبار بولس قد وصلت لكثيرين فى مدينة روما ، كيف لا وهو الذى أرسل اليهم رسالة منذ زمان كبير (رسالة رومية) . وملأت قصة تغيير حياة بولس ــ من مضطهد للكنيسة إلى **أعظم** كارز ببشارة الخلاص ــ أسماع الناس فى مدينة روما .

فأقبل الكثيرون على بيت السجن ليشاهدوا هذا الأسير العجيب . ومن تدبير الله أن السلطة الرومانية **لم تمنعه عن لقاء الناس** ، فقال الكتاب « **وأقام بولس سنتين كاملتين فى بيت استأجره لنفسه ، وكان يقبل جميع الذين يدخلون إليه كارزاً بملكوت الله ومعلماً بأمر الرب يسوع بكل مجاهرة بلا مانـع** » (أع٢٨ :٣٠ ، ٣١)

وهكذا وصلت الرسالة إلى أعداد غفيرة من الشعب . ولم تكن هذه الرسالة **فقط كرازية** ، ولكن أتيحت للرسول فرصة ذهبية ــ على مدار السنتين ــ **لتلمذة عدد من المؤمنين وترسيخ** حقائق الإيمان بنفسه فى قلوبهم ، **وتسليمهم رسالة الخدمة ليحملوها من بعده .**

وهكذا سخّر الله سلطات الدولة وقواتها لتحقيق أهدافه ولأجل انتشار البشارة ، إذ جعل بولس يكرز بإسمه **تحت سمع وبصر السلطات الرومانية** ، بل ــ وإن جاز التعبير ــ **تحت حمايتهم المباشرة !!**

تحدثنا عن عمل الله فى كرازة بولس للجنود ، وللقادمين لزيارته ، ويتبقى النقطة الثالثة والأخيرة فى هذا الأعجاز الأٍلهى ، وهى :

ثالثاً :

لقد أُتيحت لبولس الفرصة ليكتب عدة رسائل للكنائس فكتب رسالة **كولوسى وأفسس وفيلبى وفليمون** فى الفترة من سنة ٦١ ــ ٦٣ ب .م .

ولولا فترة السجن هذه ، ربما ما خُّط لنا الرسول أجمل رسائله (لكثرة انشغاله بالتنقل والترحال ونشر البشارة) والتى حملت لنا روحه الجبارة ، وسلمت لنا **حق** المسيح ، وإمكانيات الله الفائقة التى عملت فى بولس ، وجعلتنا نرى كيف أخرج الله رسالة الإنجيل من وراء السجن لتصل إلى العالم كله .

وبقيت رسائل بولس **دليلاً أبدياً** على عمل الله العجيب .
ولا زالت إلى يومنا هذا مصدر إلهام لنا ، وسبب يقين لنفوسنا فى حكمة الله وتدبيره .

فلم يكتف الله بعمل هذا الإعجاز فى القديم ، **ولكنه حفظ لنا هذا التراث مكتوباً** كمادة كرازه لنا ، ومصدر تعزية لكل جيل .

++++++++++++

هذا هو معنى الإيمان وفرح الإيمان . لقد كان يمكن لله أن ينشر انجيله بطرق أبسط وأسهل ، وكان يمكنه أن يرفع كل العوائق من أمام خادمه الأمين بولس . ولكن الله قصد فى حكمته أن **يترك العوائق كما هى** ، ثم **يستخدمها ويسخّرها ليحقق نفس الخطة !!**

هذا هو نموذج تعاملات الله معنا : إنه يترك الشر ليس لانه لا يراه ، بل لأنه **سوف يسخره** ويخرج منه الخير . إنه يخرج من الآكل أوكلاً ومن الجافى حلاوة (.قض١٤ :١٤)

ألا يحق لنا ونحن نؤمن بإلهنا المحب والحكيم والقادر على كل شيء أن نفرح لأن كل ما يحدث لنا أو **ما سوف يحدث** هو لخيرنا ولسعادتنا ؟!

وختاماً لهذا الفصل ، أود أن أسرد لك القصة التالية :

حينما بعث الرسول بولس رسالته إلى أهل رومية قبل أن يزورها وهو سجين ، كتب فيها آية رائعة تقول « **ونحن نعلم أن كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله** » (رو٨ :٢٨)

ترى ....

هل كان يجول بخاطر بولس أنه سيختبر صدق هذه الآية وسيتحقق من معناها بعد سنوات ، وفى **نفس المكان** الذى أرسل إليه رسالته ؟!

الفصل الرابع

كيف تواجه الظلام؟

« عندما يسألك أحد : لماذا ترك الله الشيطان هنا ؟ أجبه بهذه الكلمات « إنه ليس فقط لا يؤذى الشيطان إنساناً متيقظاً وحذراً ، بل ويفيده أيضاً ، ليس بقصد الشيطان (الشرير) بل بسبب شجاعة ذلك الذى يستغل شر الشيطان استغلالاً حسناً »

القديس يوحنا ذهبى الفم

« أنسى ما هو وراء .... »
(فى ٣ :١٣)

حينما تقبل عليك فترات الظلام والضيق والفشل ، لا تجلس ساكناً وسلبياً ومستسلماً : فأمامك **الكثير** لتفعله .

هل تريد أن تعرف **ماذا** فعل بولس حينما هبت عليه رياح الأحزان وعصفت به التجارب فألقته فى السجن بعيداً عن أهله وأحبائه وكنيسته ، وحرمته من خدمة سيده ؟

● كان يمكن أن يكتفى **بالرثاء لنفسه** ، وبإجترار المرارة ، وبالتذمر والشكوى كما يفعل الكثيرون .

● أو كان يمكنه أن يلقى **باللوم** على الله الذى أراد أن يخدمه ويكرز بإسمه ، فبدلاً من المعونة الإلهية **المنتظرة** كافأه الله بأن إلقاه فى السجن !!

● وكان فى يده أن **يرتد ويترك إلهه** ، أو ينكب على **الخطية** ويعود إليها بعد أن تركها ، أو يستسلم للفشل واليأس والضياع وينطوى على نفسه وينعزل عن الجميع ...

ولكن بولس كان **أقوى** من كل هذا ..
لقد فعل ما تعود أن يفعله طوال حياته : مارس « فن السعادة » وحوّل الظلمات إلى نور إذ **وثق** فى « إله الأحداث » ، وتأكد أن هذا المكان ما كان الله ليسمح له بدخوله إلا لأن فيه **خيره** ، فصَّير السجن **سماءً** !!

وقد لا تكون سجيناً مثل بولس ، ولكنك قد تمر بظروف **قاسية** تماثل ظروف بولس : حينما تشعر أن آمالك تحطمت ، وأنك تعانى الفشل والضياع والضيق ، وتخلى الأصدقاء والأحباء ...

فهل تريد أن تعرف ماذا كان يفعل بولس وهو فى السجن ؟ وهل تود أن تتعلم هواية « **ممارسة الفرح وسط الظلام** » ؟

لقد **لخص** لنا الرسول **مبادىء** الروح فى مواجهة الضيق فى نهاية رسالته لفيلبى ، **فأماط اللثام عن السر الكبير** ، ونقل إلينا خبرته العملية ، وكشف لنا ماذا كان يفعل فى غياهب الأسر .

إذن اقرأها معى لتعرف التفاصيل .

« أفرحوا فى الرب كل حين وأقول أيضاً افرحوا ليكن حلمكم معروفاً عند جميع الناس . الرب قريب . لا تهتموا بشىء بل فى كل شىء بالصلاة والدعاء مع الشكر لتعلم طلباتكم لدى الله . وسلام الله الذى يفوق كل عقل يحفظ قلوبكم وأفكاركم فى المسيح يسوع .

أخيراً أيها الأخوة « **كل ما هو حق كل ما هو جليل كل ما هو عادل كل ما هو طاهر كل ما هو مسر كل ما صيته حسن إن كانت فضيلة وإن كان مدح ففى هذه افتكروا . وما تعلمتموه وتسلمتموه وسمعتموه ورأيتموه فىّ فهذا افعلوا وإله السلام يكون معكم** » (فى٤ :٤ ــ ٩)

وفى هذه الآيات نجد ست قواعد هامة لمواجهة الظلام ، سوف نستعرضها سوياً فى الصفحات التالية :

أولاً : افرح بالإيمان :

من العجيب أن نجد أن أول قاعدة لمواجهة الظلام هى **الفرح** ، ونحن نجد هذا الأمر مكرراً مرتين فى نفس العدد « **افرحوا** فى الرب كل حين وأقول أيضاً **أفرحوا** » (عدد ٤)

وقد يبدو لك الأمر غريباً عزيزى القارىء ، ولأن الرسول توقع أن تُقابل هذا الوصية بالدهشة أكّد المعنى بقوله « وأقول **أيضاً** افرحوا » وهى تترجم هكذا « افرحوا فى الرب كل حين ، **سوف أقولها مرة أخرى** : افرحوا »

(Rejoice in the lord always, I will say it again: Rejoice!)

(N. I. V.)

كيف يمكن أن تواجه الظلام بالفرح ؟

الإجابة فى نفس الآية « افرح **فى الرب** »

الفرح هنا مؤسس على **الإيمان** . إن كنت تؤمن **بحب** الله لك تستطيع أن تفرح

رغم الاحداث . يجب **أن تؤمن** أن **لإلهك** كل سلطان فى السماء وعلى الأرض (مت٢٨ :١٨) . فإن سمح بحدوث الضيق ، فهو إنما فعل كذلك لأنه يقصد الخير والبركة لحياتك . وهو ينتظر منك أن **تؤمن** بحبه وحكمته لتسعد وتفرح وتبتهج .

أيها الصديق العزيز :

لا شيء يمكن أن يؤذيك ، **ولا شيء** من أحداث الحياة ، مهما كان مظلماً أو قاتماً ، **لا يؤدى إلى الخير فى حياتك** .

إلهك هو إله **الزمان** وإله **الظروف** وإله **الأشخاص** . وهو يرتب كل تفاصيل حياتك **بنفسه** لسعادتك وخيرك . أنت لا ترى من أحداث الحياة إلا ظلامها ، أما الإيمان فيرى النور الكائن خلف الظلام .

قد يبدو لك أيها القارىء المحبوب أن الله يعطيك التجربة أولاً ، ثم **يتركك** تطحن فيها لينام مثلما نام فى السفينة مع تلاميذه وتركهم يقاسون من أهوال الأمواج والرياح (مر٤ :٣٧ ــ ٤١) .

لكن ظنك هذا راجع إلى أن ترتيب الأحداث لديك مختلف عن ترتيب الأحداث لدى الله . إن الزمن عندك يعنى الماضى والحاضر والمستقبل . أما الله فليس لديه زمان : إنه **فوق** الزمان ، بل هو الذى **يمسك** الزمان بيديه ولذلك نجد أنه يعد لك الخلاص **قبل** قدوم التجربة ، ويقدم لك المنفذ قبل أن يسمح بحدوث الآلام (١كو١٠ :١٣) .. هل تصدق ؟ ذلك لانه يرى الأحداث **ويرتبها** قبل أن تتابع **مشاهدها على أرض الواقع** « ويكون أنى **قبلما** يدعون أستجيب » (أش٦٥ :٢٤)

عبور البحر :

عد معى بذهنك أيها القارىء الحبيب إلى قصة عبور البحر الأحمر . وقد تظن ــ مثلما يظن الكثيرون ــ أن الشعب حينما وجد أن العدو وراءه ، وأن البحر أمامه ، **صرخ إلى الرب ، فاستجاب الرب وشق البحر وتم الخلاص** .

لكن هناك حقيقة **هامة جداً** ، أغفل عنها الكثيرون ، وبدونها تفقد القصة **كل** معناها . لقد كلم الرب موسى **مسبقاً** ، وقصَّ عليه **القصة كاملة** قبل أن تتم أحداثها

فعلاً : « وكلم الرب موسى قائلاً : كلم بنى اسرائيل أن يرجعوا وينزلوا أمام فم الحيروث بين مجدل البحر أمام بعل صفون . مقابله تنزلون عند البحر . فيقول فرعون عن بنى اسرائيل هم مرتبكون فى الأرض . قد استغلق عليهم القفر . وأشدد قلب فرعون حتى يسعى وراءهم فأتمجد بفرعون وبجميع جيشه . ويعرف المصريون أنى أنا الرب ففعلوا هكذا . » (خر١٤ :١ ــ ٤)

ونحن نجد فى هذه القصة أن الله هو **الذى قاد الشعب نحو البحر** ، ووضعهم فى التجربة ثم فتح لهم بعد ذلك طريقاً للنجاة ، وأنقذهم . والمذهل فى القصة أن الله قص على موسى **كل ما سوف يحدث** ، بل **هو الذى نسج القصة بيديه** ، ليتمجد ويتعظم أمام الشعب .

لقد كان موسى يرى الخلاص **قبل التجربة** ، **وكان الشعب يرى التجربة ويصرخ طالباً الخلاص الذى لا يراه** ، بل الذى **لا يؤمن** أنه سوف يحدث ، وشتان بين الاثنين !! موسى ثابت الجأش **يرنم** قائلاً : « لا تخافوا . قفوا وانظروا خلاص الرب الذى يصنعه لكم اليوم » (خر١٤ :١٣) ، والشعب يصرخ بخوف : « هل لأنه ليست لنا قبور فى مصر أخذتنا لنموت فى البرية » (خر١٤ :١١) والفرق فى الحالتين هو الإيمان الذى يرى يد الله تحرك الأحداث **وتدبرها وترتبها** .

إليشع والغلام :

أرسل ملك آرام جيشاً ليحاصر إليشع رجل الله فى دوثان ، وكان جيشاً **ثقيلاً** (٢مل٦ :١٤) كما يقول الكتاب . ولم ير غلام إليشع سوى الضيقة والظلام ، أما إليشع فقد كان يرى يد الله ، والمعونة المعدة قبل التجربة . وصلى إليشع ليفتح الله عينى الغلام « ففتح الرب عينى الغلام فأبصر وإذا الجبل مملو خيلاً ومركبات نار حول إليشع » (٢مل٦ :١٧)

نعم ...

طوبى للعين التى ترى حب الله وحمايته ،
وطوبى للقلب الذى **يرى ما لا يراه البشر** .
إنه الإيمان الذى **يستهين** بالمنظور **ويتجاوزه** إلى أعتاب السماء .

إذن القاعدة الاولى هى أن تؤمن بيد إلهك الذى يدبر تفاصيل حياتك ، وان **تثق فى إله الاحداث** لتفرح وتبتهج .

ثانياً : انتظر الرب :

ليكن حلمكم معروفاً عند جميع الناس . الرب قريب » (فى ٤ :٥)

من الخطوات الهامة التى اتبعها الرسول فى السجن : **انتظار الرب** .

ويجب أن تتعلم أنت أيضا هذا الدرس الهام . فالحقيقة أن الإنسان يميل دائماً إلى التسرع ، وهو يريد لكل شيء أن يحدث **الآن** .

أما الله فله **أزمنة وأوقات وتدابير ومواعيد** ليحقق خطة **كاملة ومتكاملة** . لقد ألح أخوة يسوع (أقاربه) عليه ذات مرة ليصعد إلى اليهودية ليعلن نفسه للعالم ، فأجابهم قائلاً : « إن وقتى لم يحضر بعد ، وأما وقتكم ففى كل حين حاضر » (يو٧ :٦) ، وتترجم هذه الآية إيضاً هكذا : « وقتى **المناسب** لم يحضر بعد أما بالنسبة لكم فأى وقت هو **مناسب** »

The right time for me has not yet come. for you any time is right (N. I. V.)

فإن كان ابن الله الكلمة المتجسد ، خضع لتدبير الوقت ، أفلا نخضع له أنا وأنت ؟ فإن « **لكل أمر تحت السماء وقت** » (**جا٣ :١٠**) **ولكل أمر فى حياتك ملء زمان** » (غل٤ :٤)

هل تتهم الله بالتأخير ؟

كثيرون يتهمون الله أنه لا يأتى فى **ميعاده أبداً** . إنه دائماً **يتأخر** ، ويترك الأمور إلى أن تتعقد وتتداخل وتتشابك ، ثم يتدخل ، وأحياناً أخرى **لا يأتى مطلقاً** !!

وهذا يرجع إلى كيفية فهمنا لحكمة الله . إن الله **هو** الذى يحدد الميعاد المناسب وليس أنت . وهو لا يتأخر عن الميعاد الذى سبق فحدده **بنفسه** .

تعلَّم ايها الحبيب **أن لا تحدد للرب مواعيد يعمل فيها** ، بل بالحرى تعلَّم أن تثق فى **أمانته وحكمته ودقته** فى اختيار التوقيت الذى يتفق مع حبه لك .

ليس لنا الحق أن نعرف الأوقات والأزمنة التى جعلها الآب **فى سلطانه** (أع١ :٧) الا تثق فى اليدين المثقوبتين بالصليب لأجلك ؟ ألا يكفى **دم** المسيح المسفوك لأجلك **ليؤكد** لك سهره عليك واهتمامه **بكل** تفاصيل حياتك ؟ إذن **سلم التوقيت للرب** « وإن توانت فانتظرها لأنها ستأتى اتياناً **ولا تتأخر** » (حب٢ :٣)

فوائد الانتظار :

هل للإنتظار فوائد ؟ بالتأكيد .

إن الله يمكنه أن يحلّ مشاكلك كلها فى أول حدوثها ، بل أن فى امكانه أن **يمنع** المشاكل والضيقات والآلام من الإقتراب إليك . أليس هو القادر على **كل شىء** ، الذى لا يعسر عليه أمر (أى٤٢ :٢) ؟ أليست السموات والأرض **له** (١أى٢٩ :١١) ؟ أليس هو الذى يأمر وينفذ **مثلما يشاء** (مرا ٣ :٣٧) ؟ إذن لماذا يجعلنى **انتظر** حتى أفقد سلامى ، وأفقد ثقتى فى وعوده وأمانته ؟ هل تعلم لماذا ؟ لأن للإنتظار فوائد كثيرة .. هيا نعددها سوياً .

١ ــ إله الهزيع الرابع :

فى أثناء انتظار الرب تتعلم النفس **أول دروس الإيمان** . وما هو الإيمان ؟ انه ، بحسب تعريف الكتاب « **الإيقان بأمور لا ترى** » (عب١١ :١) . وأما بحسب التعريف الذى تختبره نفوسنا وسط الآلام ، هو أن « **نكف عن ثقتنا فى ذواتنا ، ونرتمى بالكامل على الرب** » .

إن النفس لا تتعلم الثقة فى الرب إلا وسط هدير المياه ، وظلمات الليل ، وهى تتألم فى وحدتها وضعفها . لقد **ألزم** الرب تلاميذه أن يدخلوا السفينة ويسبقوه إلى العبر (مت١٤ :٢٢) ، وتركهم وسط البحر معذبين (مت١٤ :٢٤) ثم أتى إليهم ماشياً على البحر فى الهزيع الرابع من الليل (مت١٤ :٢٥)

لقد **ألزمهم** بالدخول للسفينة ، ثم انفرد بعيداً عنهم (مت١٤ :٢٣) ، ليعلمهم كيف **يؤمنوا به** رغم انه ليس **بالجسد** معهم ، وكيف يؤمنوا به رغم أن كل الظروف تسير **ضدهم** .

إن الله فى محبته يريدنا أن ننموا فى **خبرة الإيمان** ، وأن نكف عن النظر لأنفسنا ، وأن نتمسك بالوعد **دون أن نرى** .

٢ ــ نمو الحب :

فى قصة إقامة لعازر من الأموات درس **هام** يجب أن ننتبه إليه . لقد سمع يسوع بمرض لعازر ، وكان ــ بحسب توقعنا ــ يجب أن **يسرع** إليه قبل موته ، ولكنه لم يفعل ، فيقول الكتاب : « فلما سمع أنه مريض **مكث** حينئذ فى الموضع الذى كان فيه يومين » (يو١١ :٦) والعجيب أن الآية السابقة تؤكد أن يسوع كان يحب أسرة لعازر « وكان يسوع **يحب** مرثا وأختها ولعازر » (يو١١ :٥) !!

كيف يحب يسوع هذه الأسرة ، وبعد ذلك **يتأخر** عن أنقاذهم ؟! لكن فى الحقيقة أن المسيح ، **أصل** الحب ومنبعه أراد أن يُعلمهم درساً هاماً : كيف يجب أن يحتل **هو** نفسه المكانة الأولى فى حياتهم .

لقد كانت مريم ومرثا يحبان لعازر ، ولكن المسيح أراد أن يكون **هو الأول** . أن حب الأصدقاء والأقرباء ، يجب أن يحتل دائماً المكانة التالية لحب الله ، وتصير مكانة الرب باستمرار هى المكانة الأولى .

وكيف يتحقق هذا الأمر ؟

كان يجب أن يسمح المسيح بموت لعازر . وإذ مات لعازر ودفن وتحلل ، **مات حبهم له** ، ولما قام لعازر ، ارتفع حب المسيح إلى المكانة **الأولى** فى حياتهم .

تسألنى **وما الدليل ؟**

ارجع معى إلى المشهد التالى لحادثة اقامة لعازر .

يقول الكتاب « ثم قبل الفصح بستة أيام أتى يسوع إلى بيت عنيا حيث كان لعازر الميت الذى اقامه من الأموات ... فأخذت مريم مناً من طيب ناردين خالص كثير الثمن **ودهنت قدمى يسوع ومسحت قدميه بشعرها** » (يو١٢ :١ ــ ٣) لقد أخذت مريم أغلى ما عندها ــ قارورة الطيب ــ وسكبتها على قدمى السيد .

لقد أصبح حب المسيح هو **الأول** .

وهكذا يثمر فينا « الهزيع الرابع » نمواً للحب الحقيقى ، وأرتقاءاً لمكانة المسيح فى قلوبنا .

٣ ــ صوت الرب :

يقول داود النبى : « **طرقك** يارب عرفنى ، سبلك علمنى ، دربنى فى حقك وعلمنى لأنك أنت إله خلاصى . **إياك انتظرت اليوم كله** » (مزمور٢٥ :٤ ،٥)

أحياناً كثيرة ، ما يكون التأخر الظاهرى للرب عن الانقاذ فرصة **هامة جداً لحديثه مع النفس** . فأثناء الآلام والأحزان **تنسحق** النفس ، وتتضع ، **وتنحنى** أمام الرب بالصلاة والتضرع . وما أجمل هذه الفرص السانحة لعمل الروح القدس فى **تنقية القلب !!**

فى هذه الفترات ، يعطى الألم للنفس شفافية **لتتلمس** همسات الرب فى القلب ، **ولتسمع** صوته . وهناك الكثير يشتهى الرب ليقوله لنا : **فهو إما يعاتبنا** على تقصيرات الماضى ، **أو يوبخنا** على طرقنا غير المستقيمة أو **يكشف** عن خطايا دفينة فى الاعماق . وبسبب **صخب** الحياة اليومية ، **وسرعة ايقاع الزمن** ، تتسرب الثعالب الصغيرة المفسدة للكروم داخل الفكر (نش٢ :١٥) ، ويحتاج الكرام الأعظم إلى الالتقاء بنفوسنا داخل المخدع ليقوم بعملية **التطهير والغسل واقتلاع الزوان** .

٤ ــ العطية المضاعفة :

إذا أنقذك الرب فى الحال ، فسوف يعطيك عطية واحدة ، أما إذا تأخر فسوف يعطيك **عطايا لا تخطر لك على البال** ...

فأى الأمرين **تختار** ؟

لقد كان زكريا الكاهن يشتاق أن يكون له **ابناً** . ولكن إليصابات امرأته كانت عاقراً . وظل يتضرع إلى الرب ليعطيه ولداً **فلم يفعل** . وبعد سنوات طويلة ، وبينما هو يقدم البخور داخل الهيكل ظهر له ملاك الرب وبشره قائلاً « **لا تخف يازكريا لأن طلبتك قد سُمعت** » (**لو١ :١٣**)

عجباً !!

هل تأخر الله فى الاستجابة **كل هذه السنوات** ؟

ولماذا ينتظر حتى يفقد زكريا الرجاء ، حتى أنه قال للملاك « **كيف أعلم هذا لأنى أنا شيخ وامراتى متقدمة فى أيامها** » ؟ (لو١ :١٨)

والعجيب أن اسم « زكريا » يعنى « يهوه يتذكر » (٥٨) «Jehovah remembers» ولعل زكريا ، وهو يتألم لعدم استجابة الرب ، قد تساءَل عن معنى « **اسمه** » ! لقد نسيه الرب و لم يذكره ! أكاد اسمعه يردد مع داود « إلى متى **تنسانى** كل النسيان » (مز١٣ :١) ، أو يقول مع صهيون « **قد تركنى الرب وسيدى نسينى** » (أش٤٩ :١٤)

لكن هل تعلم لماذا **تأخر** الرب ؟
وهل تعلم ماذا اثمرت فترة الإنتظار هذه ؟
لقد اثمرت **يوحنا المعمدان** !!

لقد كان يمكن للرب أن يعطى زكريا ولداً فى الحال ، ولكنه تأخر ، فأعطاه « **أعظم** مواليد النساء » بشهادة الرب نفسه . (لو٧ :٢٨)
وبالمثل ، قد يتأخر الرب عن الاستجابة ، إنما ليعطيك عطية **مضاعفة** ... أنت تطلب الخلاص الفورى ، ولكن الله يؤجل عطيته ، ليس ليحرمك منها بل ليعطيك معها **بركات لم تخطر لك على بال** (١كو٢ :٩)

« **لم تر عين إلهاً غيرك يصنع لمن ينتظره** » (أش٦٤ :٤)

أو ليس سجن بولس دليل على صدق هذه الآية ؟!

++++++++++++++++++

إذن للإنتظار بركات عديدة .
فان هاجمك الظلام فلا تفشل وأنت تنتظر الرب .
فإن الله يريد أن يعطيك بركات عديدة وأنت تنتظره .
فهل تنتظر من الله مجرد الخلاص من الضيقة ؟
أم انتظارك أبعد **وأكبر** ، يمتد ليشمل بركات **أعظم** من هذا ؟
« أنتظر الرب ، **ليتشدد وليتشجع** قلبك وانتظر الرب » (مز٢٧)

ثالثاً : استمر فى الصلاة

القاعدة الثالثة لمواجهة الظلام هى **الصلاة** .

« فى كل شيء بالصلاة والدعاء » (فى٤ :٦)

وقد يكون من السهل أن تبدأ فى الصلاة ولكن حينما يمر الوقت وتجد أن كل شيء لم يتغير ، وأن الأمور لم تتحسن قد تجنح لليأس والفشل وتكف عن الحديث مع الله .

ولكن ... صدقنى ، لو نجح الألم فى أن يدفعك للصلاة ، ولم تتعلم منه إلا هذا الدرس ، **يكون حينئذ قد حقق أعظم أهدافه !!**

فى الصلاة أنت تنفتح على الله ، ويجد الله الوقت الكافى ليعمل فى قلبك ويغير حياتك وأفكارك .

وليس المهم أن تنتهى المشكلة ، فإن الله يستطيع ــ لو أراد ــ أن يحلها كلها الآن ، أو كان يقدر بالأحرى أن لايدعها تحدث من الأصل . إنما هدف الله أن تأتى إليه ليحدثك ويسمعك ، فهو يريد أن تشاركه فى كل شيء . والألم هو « الطُعم » الذى يجذبك به إلى مخدع الصلاة .

وحينما تجد نفسك مضطربة ، أو أن افكار ابليس المفشلة تهاجمك ، اهرب إلى الله بالصلاة ، واملأ فراغات يومك بها فى أى مكان وفى أى وضع ، فإنك أن تعلمت هذا الأمر وحده تكون قد تعلمت **أعظم** مبادىء الحياة الروحية كلها : فإنك بذلك تعود إلى وضعك الأصيل فى الخلقة قبل السقوط وهو أن **تشارك الله وتحدثه عن كل شيء** .

وأنت تصلى اجعل حديثك يسير فى اتجاهات ثلاثة :

١ ــ صلِّ لكى تفهم مشيئة الله وحكمته : ولكى تستوعب هدف الألم وغايته فإن حكمة الله لا تعطى إلا لمن يسأل ويطلب **« من تعوزه حكمة فليطلب من الله الذى يعطى بسخاء و لايعير »** (يع١ :٥)

فربما تكون الآلام فرصة **لتراجع نفسك** ، وتكتشف تقصيرك وتنفتح على الله لينقيك ويملأك بروحه وبحبه ، فإن الله يسمح بالمعاناة لكى نشترك فى قداسته (عب١٢ :١٠) .

وربما تكون آلامك فرصة **لتوبتك الصادقة** ، أو لنموك فى حب الله ، أو لنضوجك فى الطريق الروحى .

وليس المهم فقط أن تنتهى مشكلتك ، فهى ستنتهى حتماً وتحقق خيرك ، انما الأهم أن **تستغل** هذه الفترة لتقترب إلى الله وتلتصق به .

٢ ــ صلِّ لتتعلم فن الايمان بالخير الكائن خلف الأحداث :

ليس ضرورياً أن يعلن الله لك كل مشيئته الآن من جهة آلامك وضيقاتك . فهناك أشياء لا يمكن فهمها **الآن** ولكن سنفهمها **فيما بعد** (يو١٣ :٧) . فى هذه الحالة صلِّ لكى يؤكد الله لك هذا المعنى ويثبت فى ذهنك إهتمامه بك ورعايته لك من خلف كل الأحداث ، وصلِّ لكى يعطيك الله الإيمان بالخير المستتر وراء الظروف ، حتى وإن كنت لا تراه الآن .

٣ ــ وأخيراً صلِّ لتنال قوة على استخدام الألم :

واطلب من الروح القدس أن يمنحك قوة القيامة ، وشجاعة المسيح فى المسير برأس مرفوعة أمام التحديات . صلِّ لتخرج من مخدعك سعيداً تشهد لإلهك الحى . وتقدم للمحيطين بك أروع ما قدمته المسيحية للبشرية : **الفرح وسط الأحزان !!**

واعلم أن **ابتسامتك وسط الظلام** تساهم فى انتشار كلمة الله **أكثر من مئات العظات ومن الآف الكتب** .

رابعاً : الشكر :

« بالصلاة والدعاء مع الشكر » (فى٤ :١)

الشكر هو ترجمة عملية لثقتك فى حكمة الله وتدبيره

والشكر موقعه **قبل ظهور النور** وليس بعده .

يجب أن تتعلم أن تشكر الله وأنت **فى فترة الظلام** ، واثقاً فى حب الهك وحكمته **قبل** أن ترى النور بعينيك .

فإن كنت تشكر الله **بعد** أن ترى الخير الذى سمح به الله فهل تسمى هذا شكراً ؟ أن هذا الأمر يقدر أن يفعله **أى** إنسان

أما شكر الإيمان فهو الذى يحدث **أثناء** الظلام **وقبل** معاينة النور .

والسيد المسيح له المجد أعطى لنا بنفسه أروع مثال لهذا الأمر . لقد أقبل الاله الكلمة على الصليب ، وهو يعلم مقدار الآلام التى سيواجهها : كان يعلم رهبة الصلب والموت والعار لأجل البشرية كلها .

فهل استعفى من قبول مشيئة الآب ؟
لقد قبل الكأس المرة وقال « **الكأس التى أعطانى الآب ألا أشربها** » (يو١٨ :١١) وكيف عبَّر الإبن الوحيد عن ثقته فى تدبير الآب ؟
لقد ذهب يوم الخميس ، ليلة الآمه ، إلى العلية . وأخذ خبزاً **وشكر** (لو٢٢ :١٩ ــ ١كو١٠ :٢٣ ، ٢٤) ، ثم أخذ كأساً **وشكر** (متى٢٦ :٢٧ ــ مر١٤ :٢٣) .

لقد أسس لنا المسيح سر الشكر ــ سر الإفخارستيا (٥٩) ــ وأراد فى حكمته أن يضع لنا هذا السر **قبل الصليب** ، يوم الخميس ، وليس **بعد قيامته** من الأموات .

ولعلك تتساءَل : لماذا قدم الشكر **قبل** القيامة ؟
أن هذ هو المعنى الكبير (٦٠) الذى أراد أن يسلمه لكنيسته : أن تشكر الله أثناء الألم وقبل أنتهاء التجربة ، وهى واثقه أن كل عطية من يد الآب صالحة ومباركة . وظل هذا السر العظيم فى الكنيسة ، تقدمه كل يوم على المذبح لتقدم للآب عطية شكر دائمة على كل شيء ، وتأخذ منه قوة خلاص ونصرة وشهادة وقيامة .

عزيزى :
الطبيعى أن تشكر **بعد** أن ترى القيامة بعينيك .
أما أن تشكر **قبل** أن تراها ، معنى هذا أنك كنت تؤمن بها قبل أن تحدث ، وكنت **تثق** أن كل صليب يرسله لك الآب الحنون ، سيقودك إلى قيامة وبهجة .

والمطلوب منك أن تشكره مسبقاً على كل شيء .
إذن اشكره فى كل شيء لتختبر قوة القيامة .
اشكره واثقاً فى تدبيره فانك سوف ترى عجباً .

خامساً : « حفظ الذهن »

« وسلام الله الذى يفوق كل عقل يحفظ قلوبكم وافكاركم فى المسيح يسوع »

(فى٤ :٧)

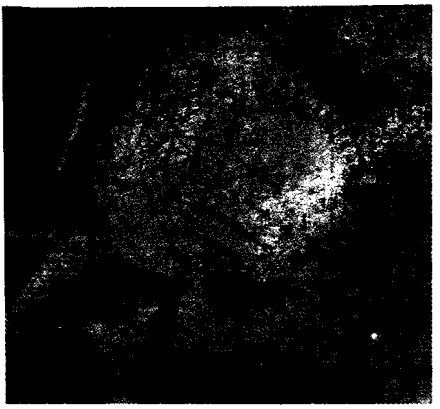

حينما تقبل ساعات الظلمة على النفس ، تكون عرضة أثناءها لأفكار الشك والقلق والخوف ــ وتستغل قوات الشر هذه اللحظات لتلقى فى ذهنك بالمزيد من التوتر والحزن واليأس .

وكان بولس معرضاً لمثل هذه الحرب القاسية .

فهل تعرف ماذا كان يفعل ؟

لقد كان يحفظ **ذهنه بسلام المسيح وفكره** .

تأمل هذا العدد الهام **« أخيراً ايها الاخوة كل ما هو عادل كل ما هو طاهر كل ما هو مسر كل ما صيته حسن إن كانت فضيلة وأن كان مدح ففى هذه افتكروا »**

(فى٤ :٨)

نعم ...

لقد كان الرسول يشغل ذهنه **بأفكار إيجابية** ، وكان يملأه بفكر الله ، فلم يعد فيه **متسعاً** لأن ينشغل بأفكار القلق والخوف .

وهذه حقيقة اساسية يجب أن تعرفها أيها المحبوب . إن فكرك لا يستطيع أن ينشغل إلا **بعمل واحد** فى **وقت واحد** . فإما أن تتركه فريسة للشك والتوتر ، وإما أن تملأه بكلام الله وحبه وسلامه . إذن املأ فكرك بآيات من الكتاب المقدس وبوعوده الأمينة . **احفظها ورددها بوعى وفهم** ، وأكد لنفسك أن الله يحبك ويحفظك ويرعاك . انتقِ آيات الانجيل المشجعة ، واحفظها ، **واطرد بها** أفكار الشك من ذهنك .

كمثال احفظ المزمور الثالث والعشرين كله ، والذى يقول مطلعه « الرب راعى فلا يعوزنى شىء » عوِّد نفسك أن تقوله كلما همت أفكار التجارب بمهاجمتك .

وتذكر أن إلهنا الحلو ، كان هو نفسه يفعل هكذا ، فحينما هاجمه ابليس بالشك ، حاربه بالمكتوب ثلاث مرات : (مت٤ :٤، ٧، ١٠) لقد ترك لنا الرب مثالاً لنتبع خطواته (١بط٢ :٢١) ، وسلمنا سر النصرة فى الحرب وهو « سيف الروح الذى هو **كلمة الله** » (أف٦ :١٧)

إذن ... تمسك بوعود الله ، **وأحرس ذهنك** بسيف الروح القدس ، وأحرص أن تتذكر آيات الوحى الإلهى كلما هاجمك الخوف .
واذكر أن الروح القدس **نفسه** هو الذى يسندك فى هذا الأمر ، فهو الذى قيل عنه أنه « **يعلمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قلته لكم** » (يو١٤ :٢٦)

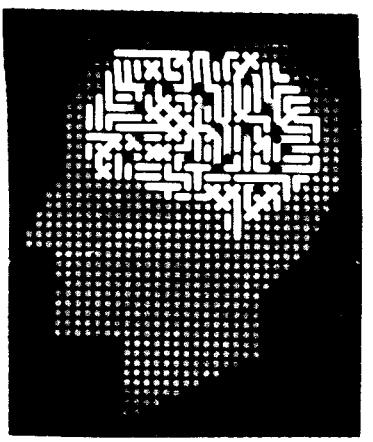

سادساً : العمل الايجابى

« وما تعلمتموه وتسلمتموه وسمعتموه ورأيتموه فىّ **فهذا افعلوا** وإله السلام يكون معكم » (فى٤ :٩)

حينما تقبل عليك فترات الضيق تذكر أن لديك الكثير لتعمله

ترى ... ما الذى كان « السجين » بولس يعمله ؟
لقد فعل الكثير : فلقد نقل بشرى الخلاص للجنود ، وتحدث مع زائريه عن المسيح ، وتلمذ الكثيرين للحياة الأبدية ، وكتب اربعة رسائل للكنائس التى كان يرعاها ...

أذن الدرس السادس هو أن تعمل وتعمل وتعمل ، حتى تحول كل وقتك إلى البناء عوضاً عن **التحسر** والندم **واجترار** الضيق والحزن . وأجمل ما تعمل وأنت

متألم هو أن تنشغل عن نفسك لتحب الآخرين وأن تخرج من ذاتك لتهتم بالمحتاجين وبالمتألمين ، وستجد أنك كلما حملت أثقالهم ، **خفت أثقالك وأثقالهم معاً** !! ذلك لانك حينما تفعل ذلك ، فأنت تلقى بحملك وحملهم على كتفى مسيحنا الحنون .

لقد استطاع بولس أن ينير ظلام السجن بعمله الجبار فى الحب ، فحول السجن إلى « كنيسة » يخدم فيها وينطلق منها لخلاص الكثيرين .

ترى ..

هل يمكن أن يكون الظلام دعوة لك لكى **تخرج من ذاتك** وتنير للآخرين ؟ وهل يمكن أن تكون الآلام نداء من الله لتحمل الآم اخوتك ، وتنشغل عن ذاتك بإسعادهم ؟

خلاصة الباب الثالث

رأينا سوياً كيف ملأ روح الله سجن فيلبى بالفرح ، وكيف عمل الله فى حياة رسوله بولس ليرفعه فوق أحزانه وآلامه . ورأينا كيف تحول الفشل بين يدى القدير إلى إنجازات فوق كل تصور وادراك ، وكيف صار السجن منبعاً فائضاً للكرازة والخدمة .

إن الفرح الذى ملأ قلب الرسول بولس هو من **حقك** أيها القارىء الحبيب . إن مسيحنا هو أمس واليوم وإلى الأبد (عب ١٣ :٨) وهو قادر أن يعمل فيك مثلما عمل فى قلب الرسول العظيم . فهل قررت أن تتبع منهج المسيح الذى سلمه لبولس فى السجن ؟ وهل تُصرِّ من اليوم أن تحول مفشلاتك إلى **نجاح** بمعونة النعمة **الساكنة فيك** ؟

الباب الرابع

أبواب الرجاء

- مع أنه ... فإنى ابتهج
- إله الضعفاء

١ ــ كنز فى أوانٍ خزفية

٢ ــ إنه يحبك أنت

٣ ــ إله يعقوب

- خطوات فى استخدام الحزن
- استثمار السعادة

الفصل الأول

مع أنه ... فإنى أبتهج !

« تقبل كل التجارب بفرح عالماً
بالمجد الذى يتبعها فإنك إن
تحققت من ذلك فلن تمل من
احتمالها لدرجة أنك تطلب من الله
أن لا يصرفها عنك »
الأنبا باخوميوس أب الشركة

كل من يحمل هماً إن هماً لا يدوم
مثلما تفنى المسرات كذا تفنى الهموم

لعلك تكون قد تعجبت وأنت تقرأ عنوان هذا الفصل « مع أنه ... فإنى ابتهج »

والواقع أن هذا العنوان ليس من وضعى ، إنما هو ما قاله النبى حبقوق فى القديم :

« فمع أنه لا يزهر التين ، ولا يكون حمل فى الكروم يكذب عمل الزيتونة ، والحقول لا تصنع طعاماً ، ينقطع الغنم من الحظيرة ، ولا بقر فى المذاود ، فإنى ابتهج بالرب وأفرح بإله خلاصى » (حبقوق٣ :١٧ ،١٨)

قال حبقوق هذه الآيات ، وهو يتنبأ عن هجوم الكلدانيين على شعب بنى اسرائيل ، وإحراقهم للمدينة ، وللهيكل ، ولكل بيوت ومزارع المدينة الجميلة أورشليم .

والعجيب أنه **فى وسط هذا الدمار** الذى أتى على الأخضر واليابس ، والذى اقتلع أشجار التين وأباد الكروم والحظائر والمذاود ، واستطاع حبقوق أن **يبتهج** وأن **يفرح** .

ولقد رأيت الصورة التى رسمها حبقوق ماثلة فى الطبيعة . ففى ذات يوم ، كنت اتطلع إلى شجرة ضخمة تحت نافذتى مباشرة ، وكانت أيام الخريف قد اقبلت ، فجردت الشجرة من كل زهورها الجميلة ، وتركتها فروعاً عارية لا جمال فيها ولا حياة . بل وأكثر من ذلك ، لقد هدمت الرياح أعشاش العصافير التى كانت تقطن هذه الشجرة ، وأطاحت بالمنازل الصغيرة ، عدا قليل من بقايا القش ظل يقاوم إلى النهاية .

ووسط هذا المشهد المشحون بالجدب والقحط ، أقبل عصفور صغير ، واعتلى فرع من فروع الشجرة ، وظل يغنى ويغرد مسروراً رافعاً برأسه ، منتشياً ومنتصراً .

وتذكرت وأنا اتأمل هذا المشهد جملة حبقوق الرائعة « فمع أنه ... فإنى ابتهج » وتأتى أوقات فى حياتنا جميعاً ، حينما نجد نفوسنا مثل هذا العصفور الصغير ، فى وحدة وحرمان من كل تعزية سواء فى الداخل أو فى الخارج ، حين يبدو كل شىء مظلماً ، وكل شىء وضعنا فيه ثقتنا قد خيب أملنا ، ومواعيد الله لا تتم بحسب الظاهر ، وصلواتنا لا تستجاب كما كنا نتوقع ، ولم يبق هناك مكان نستريح فيه سواء على الأرض أو فى السماء .

وفى مثل هذه الأوقات « الجرداء » من كل أمل أو رجاء ، نكون فى حاجة أن نتعلم هذا الدرس من حبقوق . **فمع أنه** كل شىء مخالف ومضاد من كل ناحية ، « **ومع أنه** » كل ما فى داخلى يقول أن الأمل انقطع والرجاء قد ولى ، وحل محله الفشل ...

فأنى ابتهج

ابتهج لأن هناك شىء واحد يمكن أن يسبب لى الفرح وهو الله **إله خلاصى** (حبقوق٣ :١٨) الذى لا يتغير ، بل يبقى كما هو **الصالح المحب الحنون** ، هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد (عب١٣ :٨) وأنا **لا** أقصد بالفرح ، فرح المشاعر والعواطف الجياشة ، أو الفرح المؤسس على ما **نراه** من عمل الله . وإنما أقصد الفرح الحقيقى المؤسس على الثقة فى الله رغم عيوننا المغلقة ورغم عدم فهمنا لحكمة الله وتدبيره .

لعازر مات وأنا أفرح

هذه الآية العجيبة قالها الرب لتلاميذه حينما علم بالروح موت لعازر (يو١١ :١٣، ١٤) ترى ، هل يجتمع **الفرح مع الموت ؟**

ولكن هناك درس هام أراد الرب أن يقوله لنا ... أنه درس حبقوق الخالد .

« فمع أن » لعازر قد مات ، إلا أن هناك ما يستوجب الفرح ، وهذا ما وضحه الرب فى بقية الآية « **لعازر مات ، وأنا أفرح لأجلكم أنى لم أكن هناك لتؤمنوا** » (يو١١ :١٥)

نعم ... إن الايمان ينمو وسط الوحدة وتخليه الاصدقاء ، وغياب الأحباء ، وقسوة الطبيعة وتحدى الشر . وطالما كان الرب **موجوداً وسط الظلام** ، فليس هناك

ما يدعو للإرتباك ... ربما كان فى مؤخر السفينة نائماً ، (مر٤ :٣٨) ولكنه موجود وحاضر ، يجتاز **معي** فى وادى ظل الموت (مز٢٣ :٤) حتى وأن كنت **لا أراه** (١بط١ :٨) لكنه **معي** كل الايام وإلى انقضاء الدهر (مت٢٨ :٢٠)

حصار السماء

هناك فترات فى الحياة ، تختفى فيها التعزيات ، وتحتجب فيها الأفراح ، ويشعر الانسان **بالوحدة** الكاملة ، ويفقد فيها الأمل فى الغد ، بل وربما فى الحياة كلها .

ولعل هذا الدرس هو ما حدث مع التلاميذ حينما كانوا على الجبل وقت حادثة التجلى ، حينما اختفى موسى ، واختفى ايليا ، ولم يوجد إلا « يسوع وحده » (لو٩ :٣٦ ،مت١٧ :٨)

وربما تكون هناك لحظات أكثر ألماً وأشد قسوة ، حينما تشعر النفس أن حتى المسيح لم يعد حاضراً ، وأن الأمل الوحيد الباقى لها فى الله قد تبدد وتلاشى ، ولسان حالها يردد مع داود النبى « يارب لماذا تقف **بعيداً** ، لماذا **تختفى** فى أزمنة الضيق » (مز١٠ :١) ولكن فى وسط كل هذا ، فإن الله حاضر حتى وإن كنا لا نراه ، واحياناً ما يكون الله فى قمة العمل ونحن لا ندركه بحواسنا العاجزة .

ولكن ماذا يعمل الله ؟

انه يجرد النفس من كل مصدر تعزية أو تعضيد أو سند ، لتستند عليه بالكامل ، ولا تعود تطلب أى شىء من الله ، حتى وعوده أو تعزياته ، بل تطلب **شخصه** فقط . هنا تموت النفس عن كل ما عندها ، وتتحرر من كل مطلب وتكتفى بالرب **فقط** .

هذا هو ما يسميه الكتاب المقدس « حصار السماء » :

« وأنا أضايق أريئيل فيكون نوح وحزن ... وأحيط بك كالدائرة وأضايق عليك بحصن وأقيم عليك متاريس » (أش٢٩ :٢ ،٣) .

إن الله يحاصر نفوسنا حباً بنا .... ففى وقت الحصار لأى مدينة ، تنضب المؤونة ، وتفرغ المخازن ، ويجوع الشعب ولا يبقى أمامه إلا الاستسلام . وهكذا تحاصرنا الآلام والمفشلات من يدى الآب الحنونة ، لكى تفرغ معونتنا الأرضية ، وتنضب تعزياتنا البشرية ، ونكف عن الإعتماد على أى شخص ، أو حتى على

مشاعرنا الشخصية ، ترتمى النفس بالكامل على شخص المسيح ، دون أن ترى وتسمع ؛ يكفيها فقط « وجود » الرب وحضوره **السرى** . وهنا ترتقى النفس قمة الدرجات الروحية ، وتنجح نعمة الله فى عميلة تنقية وتحرير النفس .

مركبات الله

كثيرون ينظرون إلى الضيقات الزمنية على أنها تأديبات سماوية بحسب قول الكتاب : « **الذى يحبه الرب يؤدبه** » (عب١٢ :٦) لكن هناك نظرة أروع لآلام الزمان الحاضر (رو٨ :١٨) : إنها **مركبات** الله التى يرسلها إلينا لتنقل نفوسنا إلى مقامها السامى.

وهذه المركبات لا تبدو ــ حسب الظاهر ــ كمركبات معونة وانقاذ ، بل بالحرى كالآلام وانكسارات ومواقف فاشلة . ولكن إن كنا ننظر اليها بالإيمان ، سوف نرى شخص الله فيها ، يدعونا للدخول حتى ينقلنا من خلالها إلى حياة الإنتصار والفرح التى نشتاق اليها ونسعى نحوها .

فى سفر الملوك الثانى قصة جميلة عن ملك آشور ، الذى أرسل جيشاً ثقيلاً ، ومركبات كثيرة ليقبض على اليشع رجل الله (٢مل٦ :١٤) فلما رأى جيحزى تلميذ أليشع ذلك صرخ قائلاً : « **آه ياسيدى كيف نعمل** » فطمأنه أليشع قائلاً « لا تخف لأن الذين معنا أكثر من الذين علينا » ، ثم صلى قائلاً : « **يارب افتح عينيه فيبصر** » ، ففتح الرب عينى الغلام فأبصر فإذا الجبل مملوء خيلاً ومركبات نار حول أليشع (٢ مل٦ :١٧) .

هذه هى الطلبة التى تحتاج أن نصليها « **يارب افتح عينى لكى أبصر** » فالآلام والتجارب والاحزان تشبه مركبات آشور ، التى نراها بعيوننا الجسدية ، لكن هناك مركبات أعدها الله ، لا نراها بالجسد ، ولكن نؤمن بها ببصيرتنا الروحية وهذه المركبات معدة لتحملنا إلى المراعى الخضراء (مز٢٣ :٢) . وإذ تنفتح أعيننا فإننا سنجد فى أحداث الحياة ، مفرحة كانت أم محزنة ، مركبات قد أرسلها لنا الله .

لقد أرسل الله لايليا مركبة من نار (٢مل٢ :١١) صعدت به الى السماء . وقد تكون مركبات الإنتصار والظفر التى يريد بها الله أن يصعدنا إلى قمم السماويات مركبات « نارية » ، محفوفة بالآلام وبالضيق والفشل ، ولكنها فى النهاية تتمم قصد الله .

قد تكون المركبة التى تحملك فى صورة خسارة مادية أو تجربة أو آمال محطمة أو قسوة الزمان ، ولكنه فى مفهوم العين المؤمنة « مركبة » تنقل النفس من مجد الى مجد (٢كو٣ :١٨) .

لقد كان السجن فى حياة يوسف هو « مركبة الله النارية » التى حملته إلى عرش مصر ، وكان السجن فى حياة بولس هو « المركبة » التى حملته إلى الكرازة والبشارة للبعيدين ، وكانت تجارب أيوب القاسية من فقد أمواله وموت أولاده وأمراض جسده هى « المركبات الإلهية » التى حملته إلى التوبة واتضاع النفس وانسحاقها .

يجب أن تتعلم أن تنظر للأحداث التى تمر بك من هذا الإتجاه ، فرد فعلك يحدده اتجاهك الذهنى ، وموقفك الداخلى مما يحدث لك . فإذا تذمرت وضجرت ، وشكوت وتركت نفسك للحزن أو للرثاء الذاتى ، فسوف تتحطم تحت الآلام . أما إذا قبلت من يدى الله كل شىء باعتباره مركبة الله المرسلة لخلاصك وبناء حياتك ونموك فى الحب والنقاوة والخدمة ، فسوف **ترفعك** فى الحال للسماويات .

هناك قصة قديمة تحكى عن سيدة وزوجها كانا من الخدام البارزين فى كنيستهما . وذات يوم ، سافرا عبر البحر لمدينة مجاورة . واثناء عبور السفينة للبحر ، هبت زوبعة هائلة ، وتلاعبت الأمواج بالسفينة . وبدأ الخوف يدب فى قلبها ، وبدأت تصرخ وتبكى . فأسرع زوجها وجرد سيفه ، ووضع نصله على قلبها وسألها : « ألا تخافين » فأجابته « كلا » ، فقال لها : « ولماذا ؟ » ألا ترين السيف يلامس صدرك ؟ »فأجابت « نعم أرى ولكننى لست بخائفة لأن السيف فى يد زوجى » فقال لها : « وكذلك ابى السماوى يمسك الزوبعة ، فلماذا تخافين إذاً ؟! »

عزيزى ...
إن قلب الآب السماوى ينبض بحبك ...
وستجد انك سوف تغدو مطمئناً ، وسعيداً إن تعملت أن تثق فى شخصه الحكيم ، وحبه اللا متناهى . وسوف تجد حينئذ أن **كل** ما يقدمه لك من ظروف واحداث ـــ مهما كانت قاسية بحسب الظاهر ـــ **تخدم** خيرك وخلاصك وسعادتك بل وتخدم خلاص المحيطين بك .

قد تكون فى حياتك كلمة ... « **مع أنه** »
لكن هل اختبرت كلمة « **فإنى ابتهج بالرب** » ؟

الفصل الثانى

إله الضعفاء

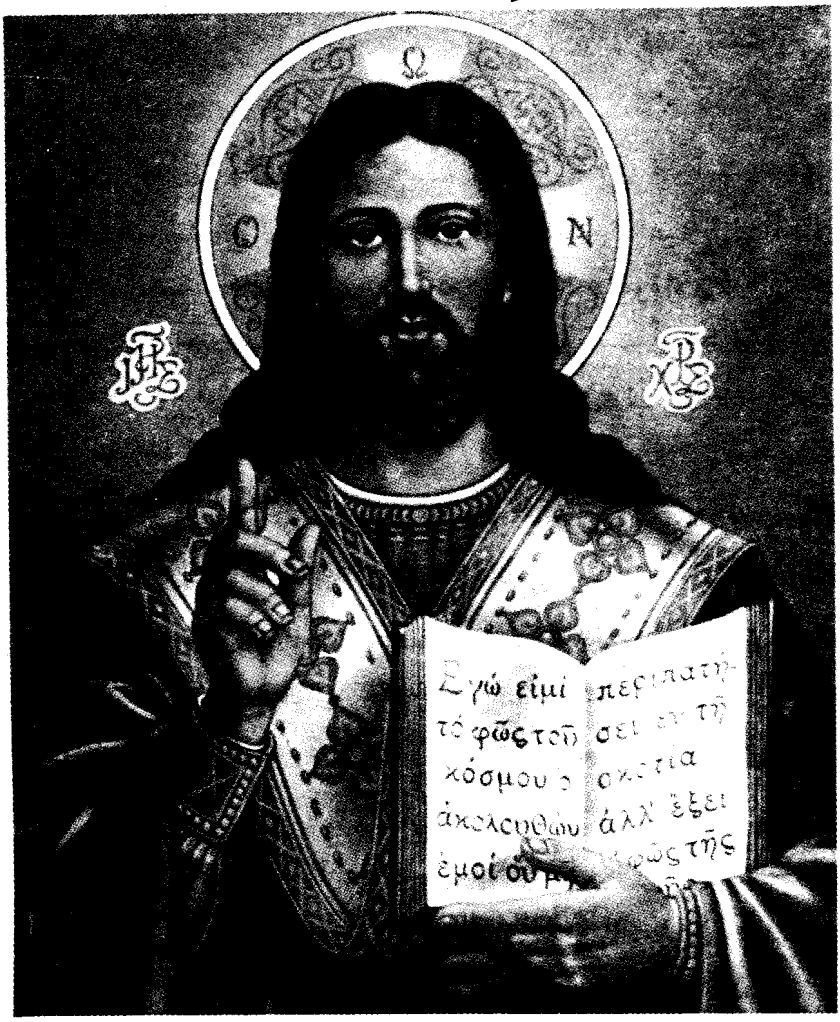

« إن كان الشيطان لديه هذه القدرة أن يطرحك أرضاً من العلو الشامخ إلى أبعد حدود الشر ، فكم بالأكثر جداً يكون الله قادراً أن يرفعك إلى الثقة السابقة ولا يجعلك فقط كما كنت ، بل أسعد من ذى قبل »

القديس يوحنا ذهبى الفم

اختار الله ضعفاء العالم ...
(١كو١ :٢٧)

١ ــ كنز فى أوانٍ خزفية

كنت اظن أن المسيحى المثالى يجب أن يكون مبتسماً من الصباح إلى المساء .. وكنت أظن أن المسيحى المثالى يجب أن يكون دائم الثبات والقوة ، وأن أقل ضعف أو تردد أو ضيق أو حزن يصيبه ، يسقطه من مكانته . وظللت أحتفظ بهذه الفكرة حتى قرأت ذات يوم قول الرسول بولس وكنت قد قرأته مراراً قبل ذلك ــ الآية الجميلة : « لنا هذا الكنز فى أوانٍ خزفية » (٢كو٤ :٧) .

لقد كنت أعرف الكثير عن **الكنز** ، ولكن لم اكن قد تعمقت فى فهم « **الآنية الخزفية** » **earthen vessels (K.J.V.),. Jars of clay (N. I. V.)**

إننا نعرف جميعاً عن امكانيات الله وقدراته ، ولكننا لا نثق أن هذه الإمكانيات يمكن أن تستعلن فى الإنسان الترابى . ونحن نؤمن أن الله يتعامل معنا وقت انشراحنا وقوتنا ، ولكننا نميل إلى الإعتقاد أنه فى وسط حزننا وضيقنا وترددنا وفشلنا يتبرم منا ويغيب عنا .

ولكن هذه الآية تقدم لنا المفهوم المسيحى **المتكامل** عن تعاملات الله معنا . فالكنز لا يستعلن فى **أوانٍ ذهبية** ، وأعمال الله لا تظهر مع قوة الإنسان وانتصاراته ، انما مجد الله يظهر وقت **ضعف** الانسان **وفشله** أو حتى **يأسه** .

نهاية الإنسان ... بداية الله

هل خطر ببالك أن بولس ييأس !!.

لعلك تتهمنى بعدم الدقة فى التعبير .

بولس ... ييأس ؟!

بولس ، رجل الإيمان ، الذى كتب نصف العهد الجديد بيديه ، والذى بشر ثلاثة أرباع العالم .. ييأس !! الرسول الذى « كان الله يصنع على يديه قوات غير المعتادة

حتى كان يؤتى عن جسده بمناديل أو مآزر إلى المرضى فتزول عنهم الأمراض وتخرج الأرواح الشريرة منهم » (أع١٩ :١١ ،١٢) **يفقد الرجاء !!**

i **نعم** ... لقد قال عن نفسه وسط الآمه وضيقه « أننا تثقلنا جداً فوق الطاقة حتى **يأسنا** من الحياة أيضاً »

we despaired even from life (N.I.V. - K.J.V.)

والعجيب أنه لم يتورع عن أن يكتب هذا عن نفسه ، وقد كان يمكن أن يحتفظ بهذا « السر » فى نفسه لئلا « يعثر » السامعين أو « يغير فكرتهم عنه » أو « يسىء » إلى سمعته كخادم أو شىء من هذا القبيل ...

لكننا نشكر الله من أجل أن بولس كتب هذه العبارة ، فهى تقدم لنا الانسان المسيحى ، ليس **كأسطورة** من أساطير الخوارق ولكن كإنسان معرض **للضعف والفشل** وفقدان الرجاء .

إن المؤمنين ليسوا طغمة من الملائكة منزهين عن الخطأ ، ولكن أجمل تعريف لأولاد الله أنهم « أناء خزفى يحمل الكنز » وجمال الكنز يبدو أجمل ما يبدو فى داخل أناءك الخزفى . فالله يشرق بأكثر وضوحاً وسط الظلام ، وسط اليأس والضعف . **ويحلو دائماً لله أن يبدأ حيثما إنتهى الانسان** ، ووقتما يشعر بالضعف والفشل .

اختيار الله

لعلك تمنيت ذات يوم أن تكون خادماً للمسيح .
ومثلك فى ذلك مثل شاب قابلته ذات يوم وكان فى حالة مريرة . فلما جلسنا سوياً ، أفضى لى بما فى قلبه . « أنا لا أصلح أن أكون خادماً ، أو حتى مجرد انسان مسيحى » فسألته عن السبب ، فقال لى أنه ذهب لأحد الخدام ، فأعطاه قائمة طويلة « بشروط » الخادم مثل : التقوى ، القداسة ، حياة الصلاة ، الدراية الشاملة بالكتاب المقدس ، محبة الاخوة ، النسك ، الأمانة ...

ولما كان الشاب لا يملك أى صفة من هذه ، فقد أصابه اليأس **والقنوط** ... وربما تكون مثله قد شعرت بالفشل من الحياة مع الله ، أو من خدمتك لان هناك قوائم معينة من الشروط المسبقة ، العالية بل **والمستحيلة** التى لا يمكنك تحقيقها ، وبذلك تعوقك عن الوصول لله .

لكن ...

هل تود أن تعرف القائمة التى يضعها الله **ليختار** أتباعه وتلاميذه وأولاده ؟ اقرأ إذن معى رسالة كورنثوس الاولى : « اختار الله **جهال** العالم ليخزى الحكماء واختار الله **ضعفاء** العالم ليخزى الأقوياء واختار الله **أدنياء** العالم **والمزدرى وغير الموجود** ليبطل الموجود . لكى لا يفتخر كل ذى جسد أمامه »
(١كو١ :٢٧ ــ٢٩) .

هل رأيت شروط اختيار الله ؟

نحن نجد خمسة شروط اساسية فى هذا النص ، يجب أن تتوفر فى تلاميذ المسيح :

١ ــ جاهل : وهى تترجم أيضاً : (٦١)

ــ رداءة badness

ــ حماقة stupidity

ــ فراغ ، تفاهة emptiness

ــ ضعف العقل thick headedness

ــ فقدان المعنى senselessness (ἄνοια)

ــ الإهمال ، الطياشة heedlessness (ἀφροσύνη)

٢ ــ ضعيف : weak

٣ ــ أدنياء العالم (K.J.V.) the base things ، وهى تترجم حرفياً unborn أى لم يولد بعد أو low-born وضيع المولد أو مشكوك فى نسبه أو فى أبوته (لقيط) (٦٢)

٤ ــ المزدرى أى المحتقر despised (N.I.V. , K.J.V.)

٥ ــ غير الموجود ، وهى تترجم حرفياً : الأشياء التى يعتبرها الناس كأنها غير موجودة (nonentities, things accounting as nothing) (٦٣)

ومن العجيب أننا حينما ندرس تصريف الفعل « **اختار** الله جهال العالم » فى أصله اليونانى ، نجد أنه لا يأتى فى صيغة الماضى كما يبدو فى الترجمة ، إنما يترجم بمعنى « يختار » فى الحاضر المستمر (٦٤) ، أى أن الله **لا يزال يفعل نفس** الأمر فى اختياره وحتى هذه اللحظة .

نقطة أخرى ، تثير الدهشة ، وهى أن الكتاب المقدس لم يقل إن الله « اختار

هؤلاء الناس **بالرغم من** ضعفهم ، أو من جهلهم ، ولكنه يقول أن الله **اختارهم هم بعينهم** ، بمعنى أنه ترك الاقوياء والحكماء جانباً ووجد ضالته **المنشودة** فى حفنة من المحتقرين والمرذولين .

ياللعجب !!

ويالفخر الإنسان وفرحة قلبه **بعمل النعمة** . من حقك إذن أيها القارىء العزيز أن لا تيأس أبداً ، أو تفقد رجاءك ، أو تفشل ، بإلهك هو إله الضعفاء والمحتقرين والمرذولين **وليس إله الأقوياء والناجحين** .

وإذ تسرع النفس الضعيفة لله وتستودع كل ضعفها بين يديه ، تتحول الضعفات بين يدى القدير إلى قوة ، والخطية إلى قداسة ، والفشل إلى انتصار « لأنى حينما أنا ضعيف (بذاتى) فحينئذ أنا قوى (بالمسيح) (٢كو١٢ : ١٠)

بقى بعد الصغير

ذهب صموئيل إلى بيت يسى البيتلحمى ليختار من بين بنيه ملكاً للرب يمسحه عوضاً عن شاول الملك العاصى . وقدّس يسى وبنيه ، ودعاهم إلى الذبيحة ، وبدأ يستعرض أولاده واحداً فواحداً . فلما جاء أليآب قال صموئيل « إن الرب أمام مسيحه » فقال الرب لصموئيل « **لا تنظر إلى منظره وطول قامته لأنى قد رفضته لأنه ليس كما ينظر الإنسان . لأن الإنسان ينظر الى العينين وأما الرب فإنه ينظر الى القلب** » (١صم١٦ : ٧ ، ٧) وتكرر الأمر مع أولاد يسى السبعة . وهنا ، سأل صموئيل يسى « **هل كملوا الغلمان** » فقال يسى « بقى بعد **الصغير** » (١صم١٦ : ١١)

وكان هذا الشاب الصغير ، أصغر إخوته هو داود مسيح الرب ومرنم اسرائيل الحلو ، والذى صار فى ما بعد مؤسس مملكة اسرائيل ، وكاتب المزامير والشخص الذى أتى من نسله المسيح .

عزيزى ..

هل تشعر أنك **الأصغر** دائماً ؟

هل تعانى من **الشعور بالفشل** ، واضطهاد المجتمع واحتقار الآخرين ؟

هل تقاسى من الشعور بالنقص أو باليأس ؟

أبشرك اليوم : إنك الشخص الذى **يشتهى** الله أن يعمل فيه . فانه دائماً يختار الصغير ، والضعيف .

فقد اختار هابيل الصغير وترك قاين (تك٤ :٤ ،٥) ، واختار اسحق الصغير وترك اسماعيل (تك١٧ :١٨ ،١٩ وغلا٣ :٣٠) واختار يعقوب الصغير وترك عيسو (تك٢٥ :٢٣ ، ملا١ :٢ ،٣ ، رو٩ :١٢ ،١٣) واختار يوسف أصغر أبناء يعقوب وترك روأبين البكر (تك٣٧ :٥ ــ ١١) ، واختار جدعون الأصغر فى بيت أبيه ليخلص به شعب اسرائيل (قض٦ :١٥) وليس هذا فقط ..

بل أنه اشتهى أن يعمل فى الصغار حتى وهم فى سنين الطفولة فعمل فى صموئيل الغلام وحدثه عن مشيئته بينما ترك عالى الكاهن دون أن يخاطبه (١صم٣ :١ ــ ١٤) ، ودعا إرميا للنبوة وهو بعد صبى وشجعه قائلاً « لا تقل إنى ولد لأنك إلى كل من أرسلك إليه تذهب وتتكلم بكل ما آمرك به » (إر١ :٦ ،٧) ، واختار أمنا العذراء مريم وهى صبية صغيرة ليصنع من خلالها خلاص البشرية كلها .

وتاريخ الكنيسة حافل بأسماء قديسين وقديسات بل وشهداء وهم فى سن الطفولة ، مثل الفتيات بيستس وهلبيس وأغابى ، القديس بونتيكوس **Ponticus** (٦٥) ، والشهيدة ديونيزيا **Dionysia** ، والقديس أبانوب النهيسى (٦٦) وغيرهم كثيرين ...

مبارك هو إلهنا ، المحب ، الحنون ...

مباركة هى محبته للضعفاء ....

ومباركة هى قوته التى تتمجد فى أوانى خزفية ...

إنه الرب القوى المقتدر الذى « أنزل الأعزاء عن الكراسى ورفع المتضعين ، أشبع الجياع خيرات وصرف الأغنياء فارغين » (لو١ :٥٢ ،٥٣)

ترى ... هل تفرح اليوم بضعفك ، وتشكر الله لأجله ، بل وتفتخر به مع بولس (٢كو١٢ :٩) ، مباركاً الرب ... إله الضعفاء ؟!

التوبة تدخل إلى مخادع الزانيات
وتلدهم من حضنها بتولـيين
للمسيح »
الشيخ الروحانى

٢ ـ إنه يحبك أنت ..

كانت على قسط وافر من الجمال ..
وكانت تملك مع الجمال ، الغنى الوفير الذى ورثته عن أبويها . ومع الغنى

والجمال ، كان لها قلب بسيط ، خدعه الأشقياء ، فأغروها لتفتح بيتها وتجعله ماخوراً للدعارة .
وهكذا سقطت **بائيسة** فى الخطية . ولكن قلب الله المحب ، كان يشتاق لخلاصها ، فحرك قلب رهبان برية شيهيت ليذهبوا للقديس يوحنا القصير لكى يمضى ويساعدها على خلاص نفسها . فلوقته قام وذهب إليها . فاستقبلته بائيسة وهى تظنه أحد طالبى المتعة .
وكان اللقاء المصيرى ..
ـ « إنه يحبك أنتِ ... »
ـ « يحبنى أنا ... أنا الدنسة الخاطئة ؟! »
ونفذت الكلمات كالنار فى قلب بائيسة ، وذاب قلبها وهى ترى دموع القديس يوحنا ، مختلطة بكلماته الحانية . واكتشفت بائيسة أن قلب الله **لا يزال ينبض بحبها** ...

فقامت للوقت وخرجت معه إلى البرية . ولما أمسى النهار ، نامت ، ونام القديس بعيداً عنها . ثم وقف ، كعادته ليصلى صلاة نصف الليل ، فرأى عمود نور نازلاً من السماء ، وملائكة الله يحملون روحها . فاقترب منها مسرعاً فوجدها قد ماتت ...

واحتار القديس يوحنا ...
لقد ماتت بائيسة بعد ساعات قليلة من خروجها من بيت الخطية .. فهل قبل الله

توبتها ؟ وقام ، ليصلى بحرارة ، وسجد مراراً أمام الله ليكشف له الأمر فسمع صوتاً من السماء قائلاً : « إن توبة بائيسة قد قُبلت **وقت توبتها** لأنها تابت بقلبها توبة خالصة ...

مبارك هو إله الخطاة والزناة والفجار ..
وحلو جداً هو اسم مسيحنا الذى لم يأت ليدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة (مت٩ :١٣)

هل يأست أيها القارىء العزيز ؟
وهل فقدت رجاءك فى الحياة مع الله ؟
ما أجمل أن تعرف أن الله يحبك أنت باسمك ... أنه يعرفك وسط ملايين البشر ، ويحبك محبة خاصة .

يدعو كلها بأسماء

لقد شك شعب اسرائيل فى حب الله .
وظن أن الله نسيه بسبب كثرة آثامه . فأرسل الله لهم إشعياء بنبوة رائعة يقول فيها « إرفعوا للعلاء عيونكم وأنظروا من خلق هذه من الذى يخرج بعدد جندها (يقصد هنا نجوم السماء) ، **يدعو كلها بأسماء** . لكثرة القوة وكونه شديد القدرة **لا يُفقد أحد** » (أش٤٠ :٢٦) .

لقد كان الله يعرف أسماء النجوم ، وهكذا كان يعرف اسماء أولاده ، كلٌ باسمه ، **لا يفقد أحد** .
هكذا حب الله لك ، حبٌ خاص ، لك **بأسمك** .
قد تكون قد عانيت من حرمان من الحب فى فترة طفولتك ، أو ربما بسبب فشلك المتكرر تشعر أنك فاقد لحب الناس . وربما تكون قد تصورت أن الله قد **رفضك** بسبب خطاياك المتكررة ، وما هذا إلا **اسقاط** لما فعله الناس بك .

لكن الله يحبك لا لشىء فيك ، إنه يحبك **فضلاً** (هو١٤ :٤) يحبك دون أن تقدم له **المقابل** ، بل أنه يحبك حتى لو أهنت حبه بخطاياك ، وتزداد محبته لك كلما **إزداد عصيانك** !! نعم ليس لأحد حب أعظم من هذا (يو١٥ :١٣) ! إنه حب **أعظم** من حب الوالدين ، أو الزوجة أو الزوج أو الأصدقاء !!

وحتى لو فقدت حب كل هؤلاء ، فسيظل هذا الحب يشبعك ويعوضك عن كل تقصير البشر . أنت معروف عند الله بإسمك ، حتى لو كنت مجهولاً من العالم أجمع .

لقد كان نثنائيل يظن أنه **غير** معروف عند المسيح ، فلما قابله قال له : « **قبل أن دعاك فيلبس وأنت تحت التينة رأيتك** » (يو١ :٤٨) وكان شاول يعتقد أن الله لا يدرى عنه شيئاً ، فظهر له الرب وناداه **باسمه** ، بل وأختاره رسولاً خاصاً له ليبشر الامم (أع٩ :٤ ــ ١٦) ، وكان زكا فوق الجميزة يظن ان المسيح سوف يعبر عليه فى موكبه المزدحم دون أن يُعيره التفاتاً ، فرفع يسوع عينيه إليه وناداه بإسمه ، بل وأقام فى منزله **طوال اليوم وبات عنده**(لو١٩ :٥ ــ ١٠) وكانت المرأة نازفة الدم تظن أنها لو لمست ثوب المسيح ، فلن يشعر بها وبآلامها ، فأوقف المسيح الجموع ، والتفت قائلاً : « من لمس ثيابى » ، حتى أن تلاميذه قالوا له « **أنت تنظر الجمع يزحمك وتقول من لمس ثيابى** » ولكنه ناداها ودعاها « **ابنته** » وصرفها بسلام بعد أن تم شفاؤها (مر٥ :٢٥ ــ ٣٤)

وبالمثل كان المريض ذو الثمانية والثلاثين عاماً فى المرض ، وحيداً ، متروكاً من الكل ، فذهب إليه يسوع وشفاه من دائه (يو٥ :١ ــ ٩)

نعم إنك بالنسبة للعالم شخص غير هام ، ولكنك بالنسبة للمسيح **أهم من الكل** ، يترك **لأجلك** التسعة والتسعين على الجبال ، ويفتش عنك حتى يجدك (لو١٥ :١ ــ ٥) ، بل ويحملك على منكبيه فرحاً ويصنع لاجلك فرحاً فى السماء **كلها** (لو١٥ :٥ ، ١٠ ، ٣٢)

نقاط الضعف

لكل واحد منا نقاط ضعف ، تعوقه عن الحياة المنتصرة ، سواء مع الله أو مع نفسه أو مع الآخرين . ومعظمنا يعتقد أن هذه الضعفات لن تزول بمرور الزمان ، بل وسوف تظل تتضاعف ، وتؤلمه ، وتقض مضجعه .

لكن هل تعلم أن هذه الضعفات ، هى **بعينها** التى سوف يعمل فيها الرب ليتمجد فى حياتك ؟

لقد كانت نقطة الضعف عند ابرهيم هى « **الاطفال** » . كان محروماً من النسل .. فظهر له الرب ، وغير اسمه من آبرام (ومعناه أب سام) إلى ابراهيم (ومعناه أب جمهور) ، بل وقال له : « اجعلك أبا لجمهور من الأمم ، وأثمرك كثيراً **جداً** وأجعلك أمماً وملوك منك يخرجون » (تك١٧ :٥ ــ ٨) .

وكانت مشكلة جدعون هى صغر النفس ، والشعور بالنقص ، فقال من ضمن ما قال للملاك « **أسألك ياسيدى بماذا أخلص اسرائيل ها عشيرتى هى الذلى فى منسى وأنا الأصغر فى بيت أبى** » (قض٦ :١٥) ولكن الرب دعاه « **جبار بأس** » (قض٦ :١٢) ، وظل يشجعه تارة بالكلام وتارة بالمعجزات حتى **هزم به** جيش المديانيين كله (قض٧)

أما بطرس ، فكانت ضعفته الرئيسية هى **التردد والشك** . فقد أنكر الرب ثلاث مرات أمام جارية (مت٢٦ :٦٩ ــ ٧٥ ، لو٢٢ :٥٤ ــ ٦٢) بل ومن فرط يأسه ، عاد للصيد مرة أخرى بعد موت المسيح ، ولم يكتف بهذا ، بل أقنع بقية التلاميذ بالعودة للحياة القديمة فى الصيد بعد أن دعاهم المسيح لصيد الناس (يو٢١ :١ ــ ٣) . فتحنن قلب المسيح ، وظهر له ، وأفرد له جلسة خاصة أعاده فيها إلى **مرتبته** كرسول بالحب والملاطفة (يو٢١ :١٥ ــ ١٨) بل وكرر عليه دعوته ليتبعه مرة أخرى وكأن شيئاً لم يكن (يو٢١ :١٩) .

ولما حل الروح القدس عليه ، أعطاه الرب أن يكون **أول** كارز بالمسيح ، وجعله يفتح باب الإيمان لليهود (أع٢ :١٤ ــ ٤١) وللأمم (أع١٠) ، بل وصيَّره عموداً من أعمدة الرسل (غلا٢ :٩) وهكذا اظهر الرب كنزه فى أناء بطرس الخزفى ، وحوَّل بطرس « **المتردد** » إلى « **قائد ايمان** » .

وعمل الرب فى قلب يوحنا تلميذه الحبيب . فقد كان يوحنا غضوباً منتقماً ، فطلب من الرب أن تنزل ناراً من السماء لتحرق السامريين عقاباً لهم على رفض المسيح (لو٩ :٥٢ ــ ٥٤) . ومازالت النعمة تتابع عملها فى قلب يوحنا ، حتى جعلته ذلك **الحمل الوديع** الذى كتب أروع آيات **المحبة** فى انجيله ، وفى رسائله الثلاث ، حتى سُمى « رسول المحبة »

وكانت ضعفة شاول هى **القسوة والعنف والبطش** . كان يضطهد كنيسة الله بإفراط ويتلفها (غلا١ :١٣) ، وكان مجدفاً ومفترياً (١تى١ :١٣) . وعمل الرب فى قلبه فاستخدمه للكرازة ولنشر الحب بين ربوع العالم ، حتى أننا لا نكاد نصدق أن الذى كتب « ملحمة المحبة » فى كورنثوس الأولى ١٣ والتى يقول فيها : « المحبة تتأنى وترفق .. وتحتمل كل شيء .. » هو بنفسه بولس الذى اضطهد كنيسة الله سابقاً !!

عزيزى : فى المسيح ، تتحول ضعفاتك إلى قوة ، وبنعمته تتحول اخطائك إلى انتصارات ، ويصير كل ما كان يخجلك فى الماضى ، مواطن افتخار وفرح .

نعم ... إنه يفعل ذلك لأنه يحبك .

هل قرأت سلسلة أنساب المسيح ؟

إن لم تكن قد فعلت ، فإرجع إلى أول اصحاح فى انجيل متى .

ولكن ...

قبل أن تقرأها ، استأذنك أن تجاوب معى هذا السؤال :

ماذا تفعل حينما تقابل انسان عظيم ؟ ألا تلبس أفخر ما لديك ؟ وماذا تفعل إن كنت تعرض سلعة معينة للبيع ؟ ألا تقدم للناس أجمل ما عندك ؟

وماذا عساك أن تكتب إذا أردت أن تنشر كتاباً ثميناً : ألا تكتب فى مقدمته أقوى الجمل وأبقاها أثراً لتشد انتباه القارىء ؟ فماذا إن كان هذا الكتاب عن شخص السيد المسيح له المجد ؟ ألا تقدم لهم فى أوله معجزاته وأمجاده وعظمته لترفع من شأنه أمام كل من يقرأه !

فإذا أردت أن تكتب للناس عن نسب المسيح ، فلا شك أنه يجب أن تقدم لهم ما يجعلهم يفتخرون بإنتسابهم إليه .

فإذا قرأت نسب السيد المسيح ، المدون فى انجيل متى ، فإنك ــ وللعجب الشديد ــ سوف تجد **اسماء ثلاث زانيات !**

هل قرأت هذه الجملة جيداً : **أسماء ثلاث زانيات فى نسب المسيح !!**

لقد كتب القديس متى نسب السيد المسيح لأمة اليهود وهم على دراية كاملة

بالأنساب . فاذا به يكتب فيه عن ثامار الزانية (متى١ :٣ ــ اقرأ قصتها كاملة فى تك٣٨ :١٢ ــ ٢٥) وعن راحاب الزانية (متى١ :٥ ــ اقرأ عنها فى يش ٢ :١ ــ ٢٤) وعن بتشبع زوجة أوريا الحثى (متى١ :٦ ــ اقرأ عنها فى ٢صم١١ :١ ــ ٥) .

ويحق لنا أن نتعجب : كيف سمح معلمنا متى لنفسه أن يكتب « أول » ما يكتب فى انجيله عن هذا النسب الذى **يقلل** من شأن صاحبه ؟ ولو كنت مكانه ، لكنت أخفيت هذه الحقيقة ، حرصاً على « شعبية » المسيح ، وعلى « سمعة » المسيحية !

إن بعض الذين يهاجمون المسيحية يُشَّهرون بهذا النسب ، ويأخذونه حجة دامغة للتطاول على شخص الرب المبارك . لكن القديس متى لم يكتب من نفسه ، إنما هو **الروح القدس** الذى قاد قلمه ، ليكتب ، وهو الذى دفعه دفعاً ليضع كل كلمة بل وكل حرف (٢بط١ :٢١) .

هل تعلم **لماذا** ؟

ان هذا النسب كُتب **لأجلك** أيها القارىء المحبوب .

إن **فخر** المسيحية ، أن مؤسسها **أحب** الخطاة ومات لأجلهم .

إنه يحبك أنت بكل ما فيك . وهو **يقبلك** حتى لو لم تقبل نفسك ، وحتى لو لم يقبلك الآخرون . وهو لا **يستحى** أن يدعوك أبنه ، حبيبه حتى لو خجلت أنت من نفسك ، أو حتى لو خجل المحيطين بك من الانتساب اليك . وهو **يضعك** بكل فخر فى **سلسلة أنسابه** ليعلن أمام العالم كله ، أن التوبة تنقل الناس من **الهاوية إلى بنوية المسيح** .

أيها الحبيب :

ان خطاياك لن تعوق الله عن حبه لك .

وحين يسكن فيك سوف يجعل **أسوأ** ما فيك **بركة** ، وسوف يحوِّل ضعفك الذى تخجل منه إلى انتصار وغلبة . فالرب الذى حُول المذود إلى عرش لسككناه ، هو الذى يقدر أن يحول قلبك الضعيف الملوث بالخطية إلى هيكل الروح القدس .

« ليقل الضعيف بطل أنا ..
(يوئيل٣ :١٠)

٣ ـ إله يعقوب

لم يجتمع اسمان غير متكافئين كهذين الإسمين « إله يعقوب » . لكنهما يدللان بشكل واضح على مثابرة الله وعمله الدائب أكثر من أى عبارة اخرى فى الكتاب المقدس .

الله ليس عنده عمل ناقص أو غير متمم ، وهو دائماً يكمل كل عمل يبدأه . وكان صبر مخلصنا ومثابرته من صفاته **الفريدة** التى وصفه بها الوحى « **لا يكل ولا ينكسر** حتى يضع الحق فى الأرض » (اش٤٢ :٤) وتترجم أيضاً هذه الآية هكذا « لن **يفشل** ولن **يفقد الأمل** ، حتى يثبت الحق فى الأرض » **He shall not fail nor be discouraged till he have set judgment in the earth (K. J. V.)**

وفعلاً لم يعرف مخلصنا الكلل . فبنو اسرائيل مثلاً ، أعاقوه ، وعصوه مراراً ، فواصل عمله فى وسطهم ، وظل يعمل فيهم حتى جاء متجسداً منهم فى ملء الزمان ، وإن كان قد تخلى عنهم لفترة إلا انه سيعود ويفتقدهم فى آخر الزمان (رو١١ :٢٥، ٢٦)

وبالمثل ، حينما بدأ الله عمله فى زمان العهد الجديد **أعاقه** تلاميذه الذين أحبهم وعقد عليهم الآمال . كانوا يحبونه ، غير أن ضعفهم وأطماعهم كانت تطغى على حبهم ، وفى ساعة صليبه ، تركه الجميع وهربوا ، وقام واحد منهم بتسليمه ، والآخر بإنكاره أمام جارية !!

لكن الرب لم ييأس منهم ، بل عاد واستخدم هؤلاء التلاميذ فانجز بهم مقاصده ، وتمم بهم كرازته للعالم كله .

نعم أيها الحبيب .

حتى إن يأست من نفسك ، فالله « لا يكل » ولا « ييأس » منك أبداً . **أنه يُصِرّ** على حبك ، **ويتمسك بك** ، وسوف **يتمم عمله فيك وبك** .

تعلقت بنفسى

هذه الآية صاح بها حزقيا الملك للرب : « **تعلقت** بنفسى من هوة الهلاك » (اش٣٨ :١٧) .

قد يكون من السهل أن نفهم قول داود النبى عن تعلق الإنسان بالرب « لانه **تعلق بى** انجيه » (مز٩١ :١٤) ، أما أن يتعلق الرب بنفوسنا فهذا ما لايمكن فهمه **بالعقل المجرد** !!

لكن حب الله لنا يفوق الأدراك . إن الله متمسك بك أيها المحبوب إن محبته لا تقاوم ، فهى لا تعرف اليأس أو الفشل ، بل وتظل تلهث وراء نفوسنا ، ليس فقط لتخلصها ، بل ولتقدسها وتخلق منها آنية للكرامة وللخدمة ولربح النفوس .

أحببت يعقوب

لقد أحب الله يعقوب (ملا١ :٣ ، رو٩ :١٣) لكن .. لماذا ؟ أن يكون الله « اله ابراهيم » أبو المؤمنين فهذا أمر مفهوم ، وأن يكون « اله موسى » النبى الذى تكلم مع الله وجهاً لوجه فهذا أيضاً أمر مقبول . وكذلك يمكننا أن نقبل تعبيرات « إله دانيال » أو « إله داود » . أما أن يكون الله « إله يعقوب » فهذا ما لا يمكننا أن نقبله بسهولة . والعجيب أن يسميه الكتاب « دودة يعقوب » (أش٤١ :١٤) !! أى شىء أضعف من الدودة ؟ لقد عاش يعقوب أيامه كلها فى الغش والخداع والطمع . فما الذى جعل الله يحبه ؟

دودة أم أمير ؟

مَنْ غير الله يقبل أن يختار يعقوب ؟ لقد بدأ يعقوب حياته بالاعتماد على الذكاء والحيلة البشرية ، فخدع أخاه عيسو مستغلاً جوعه ليأخذ منه البكورية (تك٢٥ :٢٤) ثم خدع أباه المسن وتنكر فى زى عيسو ليسرق البكورية (تك٢٧ :١ ــ ٤٠) ، وأخيراً خدع خاله لابان وأخذ منه كل غنمه (تك٣٠ :٣١ ــ ٤٣)

ولكن لابد قبل الإسترسال فى الحديث عن **أخلاق يعقوب الملتوية** ، أن نذكر كيفية نشأته . لقد أحس يعقوب أن أباه اسحق يحب عيسو أكثر منه ، « **لأن فى فمه صيداً** » (تك٢٥ :٢٨) . وهكذا ميز اسحق بين ولديه فى الحب . أما رفقه فتحيزّت ليعقوب (تك٢٥ :٢٨) ثم هى التى دفعته دفعاً ليخدع أباه ، وينتحل شخصية عيسو ، ويكذب على اسحق الكليل العينين ليسرق البكورية (تك٢٧ :١ ــ ١٧) وهكذا ساهمت الأسرة فى تكوين يعقوب وتربيته على عدم الأمانة . وتمزعت نفس يعقوب بين حب ابيه المتحيز لعيسو ، وبين محبة أمه رفقة المسيطرة ، وساهم فى ذلك كله عقلية يعقوب المداهنة والمراوغة .

يضاف لذلك كله ، عيسو الأخ الأكبر الذى احتقر كل ما هو روحى ، وعاش فى الزنا والاستباحة (عب١٢ :١٦) فباع بكوريته مقابل أكلة واحدة (تك٢٥ :٣٤) ، بل وبحسب تعبير الكتاب احتقرها (تك٢٥ :٣٤) !!

هذا هو الجو النفسى الذى نشأ فيه يعقوب !

أبعد هذا يمكننا أن نتصور اختيار الله لشخص بمثل هذه المواصفات ، ومن مثل هذا البيت ليكون أباً لشعبه ، بل وأميراً على المملكة التى سميت باسمه فيما بعد « مملكة اسرائيل » (٦٧) ؟! نعم لقد أختار الله دودة (اش٤١ :١٤) وصنع منه أميراً!!

فوق القوانين

يتفق معظم المفسرين على أن يعقوب عندما احتال على أبيه وأخذ منه البركة ، لم يكن شاباً ، بل كان رجلاً قد تجاوز **السبعين** من عمره . وقد عاش يعقوب بعد ذلك حياة طويلة بلغت المئة والسابعة والأربعين (تك٤٧ :٤٨) .

لم يكن يعقوب عندما عرف الالتواء والإعوجاج شاباً قليل الخبرة ، بل انساناً ناضجاً استقرت أساليب حياته . وظل سائراً فى إعوجاجه نصف أيام حياته . ولو سألت علماء النفس عن مثل هذه الشخصية ، لأجمعوا أنه لا يمكن أن يحدث تغييراً للأنسان فى مثل هذا السن الكبير .

ولكن الله لا **تحده** قوانين علم النفس . إنه **لا ييأس منا** حتى ولو يأسنا من أنفسنا . ليس لصبره نهاية وموارده لا تنضب أبداً .

إن قصة حب الله ليعقوب تعطينا جميعاً الرجاء الذى لا يزول فى أمانة الله التى تبدو كأجمل ما تكون عندما **تنعدم** أمانتنا (٢تى٢ :١٣)

حب من طرف واحد

إن حب الله ليعقوب هو رمز لحبه لكل نفس فينا . والعجيب فى هذا الحب ، أنه حب **من طرف واحد** ، هو الله . والأعجب ، أن الانسان لا يُرد على هذا الحب ، ولا يتجاوب معه ، بل وكثيراً ما يُرد عليه بالاساءة .

ترى ... من ذا الذى انكر المسيح ؟ ألعله أحد الذين شاهدوه مصادفة فوق جبال اليهودية ؟ أبداً ... أنه بطرس أكبر التلاميذ سناً ، وأكثرهم حماساً فى تبعية المسيح ! ومن ذا الذى سلَّم المسيح لليهود ؟ ألعله عدو من اعدائه الألداء ؟ بالعكس ... إنه يهوذا ، ذاك الذى أكل وشرب معه ، بل إنه التلميذ الذى ائتمنه المسيح على ماله وميزانية خدمته (يو١٢ :٦) .

وقصة الخيانة هى قصة علاقة الانسان بالله على مدار الزمان وكلما أحب الله الانسان ، كلما قدم له الرفض والجحود والنكران . فما هو مصير حب الله ؟ وماذا تفعل لو كنت أنت تحب انسان كل هذا الحب ، ثم يرفضه مراراً وتكراراً ، بل ويرد عليه بالجحود ؟ أقل ما فى الامر أن تتركه وشأنه ..

لكن .. هل تعرف ما هو مصير حب الله للنفس التى تجحده ؟ إنه يتضاعف !!

يقول الرسول بولس فى ذلك « **ولكن حيث كثرت الخطية أزدادت النعمة جداً** » (رو٥ :٢٠) !!

وكلمة ازدادت (abound K. J. V.) تترجم بدقة من أصلها اليونانى هكذا : « حيثما كثرت الخطية ، توجد النعمة **بأكثر وفرة** ، ثم تضاف كذلك ، **نعمة فوق هذه الوفرة ايضاً** !! »

«Where sin existed in abundance, grace was in superabundance and then some more added on top of that» (68)

هل لاحظت **كم مرة** ازدادت النعمة مقابل الخطية ؟!

نعم أنه حب الله الذى لا توجد فى لغتنا القاصرة تعبيرات تصفه . أيها القارىء

العزيز : أياً كانت حجم خطاياك ، وأياً كانت ضعفاتك وأياً كان وضعك النفسى أو الاجتماعى أو العائلى ، فإن الله **يحبك** . أنت محبوب جداً جداً لديه .

إن حب الله لك حقيقة راسخة ، يحبك لأنها طبيعته : فهو محبة(١يو٤ :١٦) وحب الله لك لا يعتمد على أى شيء فيك ، إنما هو حب من قلب **لا يعرف الا الحب** .

إنه يحبك رغم كل ما فيك ، بل وسيظل يحبك حتى لو لم تتجاوب مع هذا الحب !

الله يطارد يعقوب

لاسم يعقوب ، فى اصله العبرى ، معنيان (٦٩) ، وبدراسة هذين المعنين ، يمكننا أن نفهم الكثير من حب الله ليعقوب ، وسعيه الدائب لخلاصه .

١ ــ **المعنى الاول** : « المخادع » أو الكذاب . فأصل الكلمة « يعقوب مستمدة من نفس أصل كلمة « الكذب » أو « الخداع » (قارن أر٩ :٣ وتك٢٧ :٣٦ ــ كلمة « كذب » وكلمة « تعقبنى » مستمدة من نفس الأصل فى اللغة العبرية) . وهذا المعنى إنما يتحدث لنا عن « طبيعة يعقوب » الخاطئة .

٢ ــ **المعنى الثانى** : « يتعقب » ، وقد أُطلق هذا الاسم على يعقوب لأنه عند ولادته كان قابضاً بعقب عيسو . وهذا المعنى يحدثنا عن « طبيعة الله » المحبة . إنها صفة الله الذى ظل « يتعقب » يعقوب ويلاحقه بالمحبة تارة ، وبالتأديب تارة حتى خلق من هذا الاناء الخزفى ، أباً لشعبه . ولولا هذه المحبة الالهية التى ظلت خلف يعقوب ، لظل كما هو الانسان المحتال ، المخادع .

أن اسم يعقوب يحمل فى معناه التناقض الكبير بين جحود الانسان واحتياله ، وحب الله واحتماله !!

ملاحقة مستمرة

كان الله يريد أن يخلق من يعقوب إناء للكرامة . ولكن كيان يعقوب كان يحتاج إلى اعادة من الصياغة ، أو بالحرى إلى اعادة للخلق . وتتابعت مواقف التعاملات الإلهية مع يعقوب ، وظلت المحبة تلاحق يعقوب على مدار حياته ، ليعيد خلقته على صورة الله البهية . ويمكننا أن نرى تعاملات الله مع يعقوب فى المواقف التالية :

١ ــ لقاء بيت ايل :

حدث هذا اللقاء عندما سرق يعقوب البركة من عيسو وخدع أباه العاجز ، ثم قرر أن يهرب من وجه أخيه الغاضب ــ بإيعاز من أمه رفقه ــ ليذهب عند خاله لابان . لقد كان يعقوب آنذاك فى قمة ضعفه وحيرته وخوفه ، وكان إحساسه بالوحدة وتخلى الأهل يُمزق نفسه ، بالإضافة لجملة الخطايا التى ارتكبها . وفى وسط كل هذا الضعف قابله الله لأول مرة : لم يلقاه وهو يصلى أو وهو يخدم الآخرين ، بل وهو نائماً وسط الصحراء ، يعانى من الوحشة والألم والخوف . وفى وسط خطية يعقوب ، ظهرت رحمة الله ، بل وتجلت النعمة فى أبهى صورها : سُلَّمٌ منصوبة على الارض ورأسها يمس السماء وملائكة الله صاعدة ونازلة عليها » (تك٢٨ :١٢) . وتفاضلت نعمة الله جداً (١تى١ :١٤) : فلما ظهر له الرب لم يعاتبه بكلمة واحدة على حياته السابقة ، ولم يقل له كلمة توبيخ واحدة !! ولكن أنظر ماذا قال له : « الأرض التى أنت مضطجع عليها **أعطيها لك ولنسلك** . ويكون نسلك كتراب الأرض وتمتد غرباً وشرقاً وشمالاً وجنوباً . **ويتبارك فيك** وفى نسلك جميع قبائل الارض . **وها أنا معك وأحفظك حيثما** تذهب **وأردك** إلى هذه الأرض » (تك ٢٨ :١٣ ــ ١٥) .

نعم : كلها **وعود وتشجيعات وتعضيدات** ! ولمن ؟ ليعقوب الذى احتال وخدع وسرق ، ثم هرب خائفاً مذعوراً من وجه أخيه . إنها أمانة الله التى لا تعرف اليأس ، والتى لخصها الوحى المقدس فى عبارة رائعة واضحة قالها الله ليعقوب « **لانى لا أتركك حتى أفعل ما كلمتك به** » ! (تك٢٨ :١٥)

فلما استيقظ يعقوب ، صاح « **ما أرهب هذا المكان ! ما هذا إلا بيت الله وهذا باب السماء** » (تك٢٨ :١٦، ١٧) ، ثم نذر للرب نذراً أن يعبده ويتبعه ويبنى له بيتا ويعشر له كل مقتنياته إن أعاده الرب سالماً لبيت أبيه (تك٢٨ :٢٠ ــ ٢٢) والعجيب أن يعقوب **نسى** نذره فيما بعد ، ولم يتذكره حتى بعد أن عاد من عند خاله لابان وسكن مع عشيرته سالماً . فلم يحزن قلب الله ، بل عاد وذكره بلطف عن نذره القديم (تك٣٥ :١ ــ ٤) .

٢ ــ لقاء حاران

ذهب يعقوب إلى خاله فى حاران ، وهناك وجد فرداً جديداً من أفراد عائلته : لابان ، خاله الذى كان أكثر غشاً وخداعاً منه . وهناك كانت نعمة الله تنتظره . فبعد أن كان يعقوب إبناً مكرما فى بيت ابيه إسحق الواسع وجد نفسه يعمل عند لابان خاله **كخادم ذليل** . وضغطت يدا الرب الحانية على يعقوب بأكثر قوة ، فتركه للابان ليخدعه وليذيقه من نفس الكأس التى أذاقها لأخيه ولوالده .

فإن لابان كان قد وعده أن يعطيه راحيل زوجة له ، تلك المرأة التى أحبها يعقوب بسبب جمالها (تك٢٩ :١٥ ــ ٢٠) . وظل يعقوب يخدم كعبد عند خاله سبع سنوات انتظاراً لذلك اليوم . فلما أتت الساعة المرتقبة خدعه خاله وأعطاه **ليئة** ، الضعيفة العينين بدلاً منها (تك٢٩ :١٧ ، ٢١ :٢٥) ولكى يضمن بقائه سبع سنين أخرى ، ساومه على راحيل (تك٢٩ :٢٦ ــ ٢٩) وهكذا ظل عبداً عند خاله أربعة عشر عاماً من أجل امرأتيه !!

وهنا نجد نمط آخر من أنماط تعاملات الرب مع يعقوب ، هو نمط **التأديب** فقد كان يعقوب يحتاج هنا لنوع أقوى من التعامل . ولأن الله كان يحب يعقوب فقد اراد له أن يجتاز ظروفاً **صعبة ومؤلمة** ، ليغير بها أسلوب حياته . وبالمثل قد يتعامل الرب معك عزيزى القارىء : فالظروف العائلية الصعبة ، أو الإحتكاكات اليومية أو معاناة العمل ، أو خيانة الاصدقاء كلها تدخل ضمن نطاق محبة الله الذى يستخدم كل ما يمر بنا من ظروف الحياة ليعيد صياغة حياتنا الروحية ، وليقتلع منا كل جذور الآثام ، وليرسم فينا صورته المباركة . حقاً : إن الذى **يحبه** الرب يؤدبه ليجعلنا نشترك فى قداسته (عب١٢ :٦ ، ١١ ، ١٢) .

٣ ــ لقاء يَبُّوق :

خرج يعقوب من عند لابان خاله بعد أن أمضى فى خدمته عشرين عاماً ، « **أربع عشرة سنة بإبنتيك وست سنين بغنمك** » (تك ٣١ : ٤١) حسب تعبير يعقوب . وذهب يعقوب لانه شعر أن قلب لابان تغير من نحوه (تك٣١ :٢ ، ٥) . فقرر أن يعود الى أرض عشيرته وشجعه الرب على ذلك فى ظهورٍ خاص (تك٣١ :٣) .

ولكن كان كل تفكير يعقوب منصباً على أخيه عيسو الذى سيخرج للقائه عند عودته . ترى .. ماذا سيفعل بى ؟ هل لا يزال يذكر خداعى القديم له ؟ وماذا يكون مصيرى ومصير زوجتّى واولادى ؟

ولأن طبيعة يعقوب **القديمة** لا تزال تقوده ، لم يفكر للحظة أن **يتمسك بوعود الله القديمة فى الحماية والرعاية** (تك٢٨ :١٥) ، ولم يتذكر أبداً كيف حماه الرب من انتقام خاله لابان (تك٣١ :٢١ ،٢٩) ، ولكن للوقت ، تحرك ذهنه النشط **المخادع** ، **وتخطيطه البشرى** . فأرسل يعقوب أمامه مجموعات من العبيد ، يحمل كل منهم هدايا من الغنم والثيران ليستعطف وجه عيسو بالهدية السائرة أمامه (تك٣٢ :١٣ ــ ٢١) .

ولكن فى تلك الليلة حدث ما لم يكن يتوقعه أحد . فقد أكمل الرب مسيرة محبته نحو يعقوب ، وظهر له وصارعه طوال الليل فى مخاضة يبوق (تك٣٢ :٢٢ ــ ٢٥) لم يكن يعقوب هو البادىء بالصراع ، بل **الله** . وظل يعقوب يقاوم ، ولم يفهم أن الواقف أمامه هو إله الآلهة ورب الأرباب وملك الملوك (رؤ١٩ :١٦) كان الله هنا **يريد** أن يبارك يعقوب ، ولكن يعقوب لم يفهم . وعند الفجر اضطر الله فى حنانه أن **يضرب** يعقوب على حق فخذه ، فخلعه (تك٣٢ :٢٥) وانكسار حق فخذ يعقوب ، كان اشارة لضرب الذات الكبيرة المتعالية . وأصبح يعقوب منذ الليلة ... يخمع (يعرج .halt - K.J.V) على فخذه (تك٣٢ :٣١) ، وبدلاً من أن يستند على قدميه الصلبتين ، كان عليه منذ الليلة أن يرتكن على الله ويتوكأ على عكاز القدير (مز٢٣ :٤) . وأخيراً فهم يعقوب : فهم أن الله ظل يطارده طوال هذه السنوات الماضية من حياته . وهنا أمسك بكلتا يديه بذلك الذى صارعه وأبى أن يتركه إلا بعد أن ينال بركته . وظهر يعقوب **كأنه هو الذى يرغب الآن** فى البركة مع أن الله **هو الذى كان يسعى** ليبارك يعقوب طوال سنى حياته !!

ولكن .. قبل الحصول على البركة ، كان لابد ليعقوب أن يعترف بحياته الآثمة ، ويواجه بشجاعه نفسه المخادعة الخاطئة أمام الله . وهنا يسأله الرب « ما أسمك ؟ » فيجيب « يعقوب » . نعم .. **كلمة واحدة** تلخص لنا تاريخ حياة يعقوب المخجل ، وكأن يعقوب يعترف بجرأة وبشجاعة بإسمه الذى يعنى « الغش والتحايل » . ومنذ

تلك الليله غيَّر الرب اسمه فصار « اسرائيل » ، وهى كلمة تعنى فى أصولها العبرية « الله يصارع » أو « الله يكافح » . (٧٠)

هناك وصف لما حدث فى تلك الليلة الفاصلة فى حياة يعقوب ، فى سفر هوشع النبى يقول « جاهد مع الملاك وغلب . **بكى واسترحمه** » (هو١٢ :٤) لقد استطاع الله أن يجاهد مع يعقوب ، ليكسر قساوته ويغير قلبه ويشفى جراحات الخطية الرابضة فى أعماقه . وهكذا ، انكسر المخادع أمام القدير و« بكى » و« استرحم » بعد أن كان عنيداً مخادعاً .

وسيظل اسم اسرائيل يحكى لنا على مدار التاريخ قصة « كفاح » الله ليقدس رئيس شعبه ، ويقص لنا كيف غلب يعقوب الرب بإنساحاقه ودموعه ، فانتزع منه البركة . نعم .. إن الرب **يُغلب** من دموع التائبين ... ألم يقل الرب ذلك لعروس النشيد « **حوّلى عنى عينيك فإنهما قد غلبتانى** » ؟! (نش٦ :٥)

٤ ــ اللقاء الثانى فى بيت إيل :

ويكرر يعقوب قصة اعتماده على نفسه . فيقرر أن ينصب خيمته فى شكيم فى أرض كنعان ، وكأنه يكرر قصة لوط الذى اشتهى مدينة الشر سدوم واقام فيها (تك١٣ :١٢ ،١٣ وتك٣٣ :١٨ ،٢٠) وهناك أحاطت به الأزمات ، وتعرضت إبنته دينا لحادثة اعتداء من شكيم ابن حمور ، ثم قام بنو يعقوب وقتلا كل ذكور المدينة انتقاماً لأختهم . ودب الخوف فى قلب يعقوب لئلا يهب كل سكان البلاد المحيطة لينتقموا منه (تك٣٤ :٣٠) .

وكل هذه الاحداث المتلاحقة كان سببها أن يعقوب **نسى** عهده الذى قطعه مع الرب وهو فى طريقه إلى خاله لابان بأن يبنى له مذبحاً فى بيت إيل : وكنا بلا شك ، سوف نبرر الله لو أنه تخلى عن يعقوب الذى نسى عهوده ، بعد كل هذا الحب المجانى المقدم له . لكن الله ليس إنسانا مثلنا يغضب ويثور . فمحبته **ثابته ، لا تتبدل بتقلب الظروف** . وتَعطَّف الله وزاره مرة أخرى وقال له : « **قم اصعد إلى بيت إيل وأقم هناك واصنع هناك مذبحاً لله الذى ظهر لك حين هربت من وجه عيسو أخيك** » (تك ٣٥ :١) وهناك ظهر له الرب مرة أخرى ... وباركه . وسمع يعقوب للمرة الثانية تأكيدات الرب له « **لا يدعى أسمك فيما بعد**

يعقوب بل يكون أسمك اسرائيل » (تك٣٥ :٩) . نعم ... ليس هناك ما يثنى عزم الله عن أتمام مقاصده : لقد **أصر** الله أن يبارك الدودة الصغيرة ، فخلق منه أميراً لشعبه . ونجح الله بتعاملاته الحكيمة ، وتأدياته المباركة أن يقود يعقوب ليقف مع أبطال الايمان فى سحابة الشهود القديسين (عب١١ :٢١ و٣٣ وعب١٢ :١) .

++++++++++++

إن حياة يعقوب هى أقوى **دواء** ضد اليأس أو الفشل أو الحزن الذى يمكن أن يحاربك به الشيطان ، مقنعاً إياك بفساد طبيعتك أو ضعف حياتك . فإصرار الله على تغييرك **أقوى** من مملكة الظلمة **وأعظم** من أبواب الجحيم (مت١٦ :١٨) .

نعم ... يحق لنا بعد ذلك أن نرنم مع داود ترنيمته الخالدة ليرفعك اسم **إله يعقوب** (مز٢٠ :١) .. ملجأنا **إله يعقوب** (مز٤٦ :٧) .

الفصل الثالث

خطوات فى استخدام الحزن

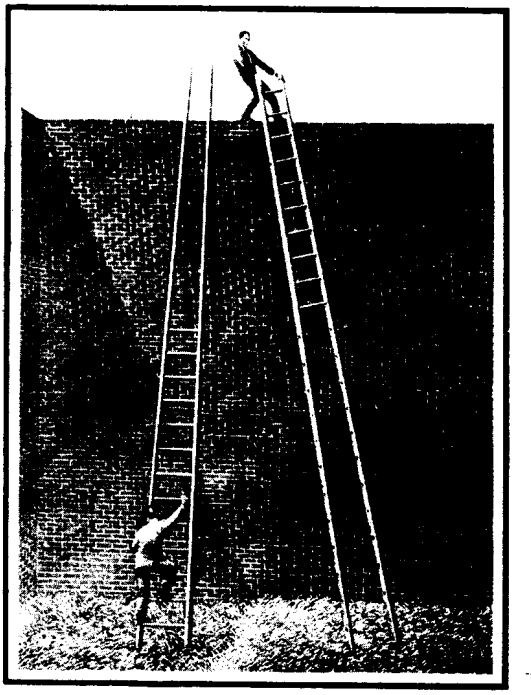

« كما أن الشمع لا يقبل الإنطباع بالصورة الملكية بدون تليين ، هكذا النفس لا تصلح لأن تنقش فيها صورة المسيح بدون أدب كثير ظاهر وباطن ورياضة وافرة ومحن شديدة »

القديس سمعان العمودى

ما من تجربة حلت بى إلا وانطقتنى شعراً

جيته الشاعر

ماذا تفعل إن **لم تستطع** التخلص من آلامك وأحزانك ؟ وكيف تتصرف إن طلبت من الله أن يرفع عنك الضيق **ولم تأتيك الأستجابة** ؟

- هل ستكتفى **بالرثاء** على نفسك ، **وبالشكوى** لكل من تقع عليه عيناك ؟
- أم ستغلق على نفسك الباب ، وتنطوى **وتنعزل** عن الناس وتستسلم للفشل واليأس والحزن ؟
- أم **ستهرب** من نفسك بكثرة الخروج ولقاء الأصدقاء ، وبالضحك والسخرية من الأقدار لتدارى آلامك الداخلية ؟
- أم ستجنح إلى **القسوة** والإنتقام من الآخرين ، ونقدهم وتجريحهم لتعوِّض فشلك ؟
- أم ستنحرف ، وتستسلم للخطية **وتثور** على المبادىء كلها وتتمرد على الله وعلى المجتمع وعلى كل قيمه ، وكأنك **تنتقم** من نفسك الفاشلة بإلقائها فى سعير الضمير المعذب بالإثم أو « **تنتقم** » من الله الذى سمح للضيق أن يبقى « فتعاقبه » بكسر وصاياه وتحدى أوامره ؟

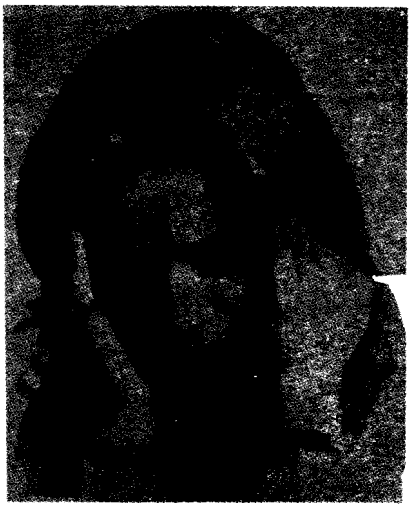

- أم ستسمع لنداء أصدقام السوء بأن **تنسى** ما أنت فيه بأن تشرب الخمر أو تتعاطى المخدرات فهى أقصر الطرق للهروب من واقعك ، وأسهل السبل الى نسيان الآمك ؟

فإذا إخترت أى طريق من الطرق السابقة ، فلن أثقل عليك بالحديث عن أضرارها ، لأنك أنت وحدك تعرف كم ستتكبد من الخسائر !

لكن فى المسيح هناك حل لما لا يمكن علاجه الآن : **يمكنك استخدامه**

يمكنك أن تجعل من الذى تسميه « فشل » جزءاً مما تهدف إليه ، وأن تستعمله فى أغراض أسمى فى الحياة .

النقص يتحول الى منفعة

يُقال فى الهندسة أن « البناء فى أى منطقة يقرره النقص فى المواد » فلأنهم يعجزون عن الحصول على تلك المواد يلجأون إلى استخدام مواد أخرى ، وهذه بالتالى تقرر نوعية البناء وهكذا ترى أن النقص « **يوجه** » طريقة البناء .

وفى استطاعتك ـــ بالمثل ـــ أن تفيد وتستفيد من النقص فتجعله يخدم إتجاهات جديدة فى الحياة .

إن قلة الجمال عند نساء كثيرات تدفع بهن إلى العمل **الخلاق** ، ولو كانت واحدة منهن جميلة لاكتفت بهذا دون أن تطمح إلى شىء آخر . ولكن لكونها غير جميلة ، فهى تعزم أن تحول طاقاتها إلى **إنجازات** .

وهناك الكثير من الإنجازات **بدأت** من النقص : فالفشل فى مجال من مجالات الحياة يمكن أن يتحول إلى نجاح فى مجال **آخر** .

إذن صمم أن تحول **نقائصك** إلى **تفوق** ، وستجد أن هذا التصميم وهذه المحاولة **أفضل** مما لو أتاك النجاح دون سابق تعب أو فشل : لأنك حينئذ تكون قد بنيت فى شخصيتك أهم جوانبها : **العزم والجدية والإيجابية وقوة الإنجاز** .

لا تكتف بمجرد الإحتمال

هل سمعت عن الإحتمال ؟

بكل تأكيد : فهذه الكلمة هى القاسم المشترك الأعظم فى حديثنا عن الألم . وأنا لا أشجعك على الإكتفاء بهذه الكلمة : فهى كلمة **مبتورة** إذا قيلت **وحدها** .

فنحن فى المسيح لا نكتف بمجرد احتمال الضيق والألم فهذه شيمة العاجزين والفاشلين ! وإن كنت تصمت أمام الآلام والأحزان ، لأنك لا تستطيع إلا أن

تفعل هكذا ، فهل حينئذ تكون قد فعلت شيئاً **جديداً** ؟

إن كثيرين من الناس يقبلون الآلام والمفشلات والتحديات قبولاً سلبياً ، على انها « حكمة الله » وأن « الله يريد هكذا » وأنه « لا شيء بيدى » وهكذا نساهم فى نعت المسيحية **بالسلبية** والإنزواء والضعف ، ونُدَعِّم الفكرة القائلة بأن المسيحية ديانة لا تصلح للواقع **العملى** !!

إننا فى المسيح لا نحتمل فقط ، وأنما نستطيع أن **نحول** كل ضيق وألم إلى **نجاح** . إننا لا نستقبل الآلام خانعين ، وانما نستقبلها بروح القوة والإنتصار المستمدة من مسيحنا الذى هزم العالم وكل ما فيه ! وهنا يكون الألم سبيلنا إلى النجاح . وشتان بين الطريقتين فى التعامل مع الألم : طريقة **السلبية والإستسلام** ، وطريقة **الهجوم والإستخدام** .

كنت أظن قديماً أن أسوأ ما فى الحياة هو الفشل ، ولكننى تأكدت أن هناك ما هو أسوأ : **الإستسلام للفشل** !

كيف تستخدم أحزانك ؟

بيدك أن تحول كل ما يطرأ عليك إلى **حجر** فى بناء **نجاحك** . وبدلاً من أن تصيبك الأحجار التى تلقيها الحياة عليك وتحطمك ، ستأخذها لتجعلها **جزءاً** من **بناء نضوجك** وسعادتك وإليك بعض الخطوات اللازمة لذلك :

أولاً : تعلم الايمان :

الخطوة الأولى فى هزيمة الحزن هى أن تؤمن . فالإيمان هو استدعاء قوة الله لتنضم إلى عجزك فتحوله لقوة . لقد سقطت أسوار أريحا المنيعة أمام شعب الله حينما آمنوا بإلههم (يش٦ :٢٠) وبالمثل تسقط أسوار الأحزان عنك إن آمنت بإلهك الحنون . والإيمان الذى يهزم الحزن هو إيمان فى ثلاثة اتجاهات :

١ ــ **إيمان بحب الله** : فالحب الالهى هو الذى يجعلك تطمئن إلى حنان الله وأمانته من نحوك وبأنه لا يفعل إلا ما **يفيدك** ولو كان مؤلماً .

٢ ــ **إيمان بحكمة الله** : فحكمة الله هى التى تجعلك **تثق** فى حسن تدبيره للأمور ، وحسن اختياره للأحداث من أجل تحقيق خيرك .

٣ ــ **إيمان بقدرة الله** : فقوة الله هى التى تدفعك **للحركة** الايجابية مستنداً على امكانياته لتحول كل ما يأتيك إلى الصالح .

ثانياً : شارك أحزانك ولكن لا تسمح بإنتشارها :

من المفيد أن تقص أحزانك على أب اعترافك أو على مرشدك الروحى أو على صديق تأتمنه وتثق فى خبرته .

فمشاركة الأحزان لها فوائد عديدة : فهى **تخفف** الضغط النفسى عنك ، وتعطيك رؤية **مجسمة** للحل ، وتفتح أمامك آفاق أخرى **للتفكير** ، هذا عوضاً عن الفائدة الروحية والسند الالهى الناشيء من الصلاة المشتركة للمشاكل ، ومن بركة حلول الروح القدس فى سر الاعتراف (فى حالة مشاركة أب الإعتراف)

لكن لا تسمح « بإنتشار » الأحزان بأن تقصها على **كل** انسان فهذا يصيبك **بالرثاء الذاتى** ، وبالقلق ، فضلاً عن أنه **يضخم** حجم المشكلة أمامك ويرسبها فى عقلك الباطن . كما أن انتشار المشكلة ، لا يحلها ، فهو يدر عليك **عطف** الناس وشفقتهم مما قد يجعلك « تفرح » بهذا وتستمر فيه : فبدلاً من توجيه الطاقة للحل ، **تستنفذ** الوقت فى استقبال كلمات التعزية والرثاء : وهى حيلة من الحيل النفسية المعروفة ، والتى بها يهرب الانسان من المواجهة الصادقة لنفسه .

ثالثاً : انتقل إلى موقف الهجوم :

اسوأ ما يمكن أن يحدث لك هو أن تستسلم لليأس أو للفشل أو للرثاء للنفس . **لا تقبل هذا الموقف أبداً** . فلديك ــ بنعمة الله التى تسندك ــ كل الطاقة اللازمة للإنتصار والنجاة ، لذلك :

١ ــ سلم حزنك لله واتركه هناك ، فإنه إن بقى فى قلبك يعكره أما إن تركته بين يدى الله ، يتحول إلى وسيلة نفع .

٢ ــ لا تصلِّ لأجل التحرر من الألم بل لأجل الحصول على **قوة لإستخدامه** وستجد أن الخلاص من الألم سيأتى كنتيجة **جانبية** .

٣ ــ واجه نفسك ، فالصراحة هى أول الطرق نحو تقويم السلوك . اسأل نفسك : « ما هى نقاط الضعف الكائنة فىّ والتى سببت حدوث المشكلة » . ولا تداهن نفسك أو تمالئها ، فالشجاعة فى معرفة عيوبك هى طريقك لإصلاحها . وهنا تكون المشاكل قد ساهمت فى تقويم شخصيتك ونموها .

٤ ــ اجمع الكسر : قال الرب هذه الآية لتلاميذه عقب معجزة اشباع الجموع (يو٦ :١٢) . ومبدأ « جمع الكسر » من أهم مبادىء التعامل مع الأزمات اسأل نفسك ما هو دورى الآ ن فى المواجهة ماهى النقاط المضيئة الباقية والتى يمكن منها التحرك لحل المشكلة ؟ وأريدك أن لا تستهين بأى دور بسيط مهما كان . لقد كانت المرأة التى صرخت إلى إليشع النبى لا تملك إلا « دهنة زيت » (٢مل٤ :٢) ولكن النبى أصرَّ أن تحضرها ، وبدأ منها المعجزة التى ملأت كل الأوعية بالزيت حتى فاضت (٢مل٤ :٣ ــ ٧) . فلجمع الكسر عدة فوائد : فهو يشحذ ايجابيتك وطاقاتك لتقوم بدورك مهما كان ضئيلاً ، وهو فى الوقت نفسه يؤكد لك كيف يبارك الله فى القليل الذى لديك طالما سلمته ليديه المباركتين ويخرج منه « اثنتى عشر قفة » (يو٦ :١٣)

٥ ــ ابحث عن البدائل : هناك طريقان لا ثالث لهما وأنت تفكر فى الحل ، فإما أن **تحاول** مرة ومرات أخرى لتقتحم المشكلة ، وإما أن تبحث عن طريق آخر .

وأنت تحتاج إلى حكمة كبيرة لتعرف **أى الطريقين تختار** . فالمحاولات المتكررة مطلوبة ولا شك ، ومن حكمة الله فى الفشل أنه **يتركنا نحاول** ، لتنضج حياتنا ونتعلم العزم والجدية ونعرف قيمة النجاح فلا **نفرط فيه** . ولكن هناك أوقاتاً يكون الفشل دافعاً للبحث عن أبواب أخرى يحقق فيها الإنسان ملء النجاح ...

+ + +

يذكر عن أحد العمال فى شركة للإستيراد فى ماريلاند بأمريكا أنه كان يود أن يكون كاتباً أديباً . فبدأ فى كتابة القصص وقام بإرسالها إلى شركة « بارامونت » السينمائية . ورُفضت قصصه الواحدة تلو الاخرى . وكان هذا الرفض أظلم لحظات حياته ولكنه صمم أن ينجح ، فنسى هذا الفشل ، واستأنف جهاده مصراً على النجاح .

هل تحب أن تعلم فى أى مجال نجح هذا الرجل ؟ لقد نجح فى الإشتغال بالسياسة . وهل تود أن تعرف اسمه ؟ أنه **فرانكلين روزفلت** رئيس الولايات المتحدة الأمريكية الأسبق !!

ولكى تختار ما بين تكرار المحاولة (بعد استيضاح أسباب الفشل الأولى والعمل على تجنبها) أو بين البحث عن البدائل ، قد تحتاج إلى وقتٍ كافٍ للتفكير ولإرشاد حكيم من مرشد روحى أو من أب مختبر .

وهناك دعاء شهير كتبه الدكتور « رينولد نايبر » الأستاذ بمعهد الإتحاد الدينى بنيويورك ، تجده معلقاً على حوائط معظم المنازل فى الولايات المتحدة ، يقول فيه :

« هبنى اللهم الصبر والقدرة لأرضى بما ليس منه بد
وهبنى اللهم الشجاعة والقوة لأغير ما تقوى على تغييره يدى
وهبنى اللهم السداد والحكمة لأميز بين هذا وذاك »

رابعاً : كلمة السر :

هناك « كلمة سر » يجب أن يتعلمها كل سائر فى طريق الحياة المحفوف بالأشواك والآلام والأحزان . لقد تحدث يسوع عن « أسرار ملكوت السموات » (مَت١٣ :١١) ، وتحدث الرسول بولس عن « سر الإنجيل » (أف٦ :١٩) . ترى ما هو هذا السر ؟ إن خلاصة أسرار الحياة الأبدية مكثفة فى هذه الآية : « أستطيع كل شىء فى المسيح الذى يقوينى » (فى٤ :١٣) . إنها كلمة السر فى حياة أولاد الله . نعم « **كل شىء** » !! كرر هذه الكلمة لنفسك إلى أن تصير ليس مجرد كلمة تملكها أنت ، بل **كلمة تملكك** . على هذا الأساس سوف تصبح معداً « لأى شىء » من **أى** مصدر كان ، ولن تخاف من **أى** أزمة مهما كانت ، بل تستطيع بنعمة الله أن تحولها للخير . ردد هذه الكلمة كثيراً « أستطيع كل شىء فى المسيح الذى يقوينى » قلها حين **تقوم** وحين **تنام** (تث٦ :٧) ، ورددها مراراً اثناء اليوم ، فتجد أنك صرت « تستطيع كل شىء » .

هذا هو « سر » حياة المسيحى ، فهناك الأمان المطلق والإيمان الكامل فإذا ما هبت عليك الريح **من أى جهة** ، فهى لا تفعل بك إلا شيئاً **واحداً** وهى أن تدفعك إلى الهدف !

خامساً : كيف لا تتعب أبداً :

هل يمكن للإنسان أن لا يتعب أبداً ؟

هناك تعب للجسد بسبب العمل المضنى ، ولكن هذا النمط يمكن التغلب عليه بنوم عميق لمدة ليلة واحدة . إنما الحديث هنا عن « تعب الفكر » ، والذى قد يتسلل بدوره ليصيب الكيان الانسانى كله بالارهاق . فهناك كثيرون منا يعانون من شدة الإرهاق بالرغم من بساطة الأعمال اليومية التى يؤدونها .

انما هناك راحة **ذهنية** ، يتحدث عنها الرب يسوع وهو يقول « **تعالوا إلىّ يا جميع المتعبين والثقيلى الأحمال وأنا أريحكم** » (مت١١ :٢٨) إن أكثر ما يتعب ذهنك هو **الصراعات** الفكرية التى تحتل الكيان . فأكثر الأعمال الشاقة لا يؤدى إلى إنهيار عصبى ابداً ، إنما السبب هو صراع باق ومترسب ، لم تأخذ فيه قراراً حاسماً بعد .

ولنفحص سوياً خطوات الخروج من تعب الصراعات العميقة :

١ ــ **تفحص اسباب الصراع** : وحلل أسبابه بأمانة وصدق . فالأزمة تزداد تعقيداً إذا تركتها دون فحص ودراسة متأنية لتعرف أبعادها . لكن احترس لئلا **تستغرق** فى التأمل الباطنى لذاتك ، فتصاب بالرثاء الذاتى والفشل . جيد أن تلقى نظرة **سريعة** على أسباب صراعك ثم تنتقل سريعاً لخطوات **الحل** . قرأت عن محاضر مشهور ألقى سلسلة من عشر محاضرات عن الإنهيارات العصبية ، وفى النهاية أصيب هو نفسه بواحد منها ! لقد كانت سيكولوجيته من النوع الرديء . لقد فكر كثيراً **بالأسباب** ولم يُصرِّح بالحقيقة بصورة إيجابية ، بل اكتفى بالتشديد على الجوانب المظلمة « فما يستولى على اهتمامك يستولى عليك » .

٢ ــ **اتخذ قراراً** : كلمة أزمة فى اللغة الانجليزية **crisis** ترجع الى أصل يونانى لكلمة (Krinein) (٧١) وهى تعنى « أخذ قرار » **to decide**

وهذا الدرس فى منتهى الأهمية .

إن الأزمات تنمى فى النفس القدرة على أخذ القرار ، والمواجهة الإيجابية للأحداث . فهناك أربع مواقف ممكنة تتعلق بالأزمة : الهرب منها ، التمرد عليها ، الإنطواء أو التكيف والمواجهة الإيجابية . أذكر دائماً أن سعادتك لا تنشأ مما حدث لك ، بل مما تحدثه وتفعله للأحداث . وتعلَّم دائماً أن تمسك زمام الأمور بيديك ، مستنداً

على نعمة الله ، ولا تدع الظروف أو الأحداث تتلاعب بك وتأخذ لك القرارات . ضع سلبيتك بين يدى الله ، وثق أن الله يسند كل ضعفك ، ويحول انزوائك إلى طاقة خلاقة ونشطة .

٣ ــ دع النتائج تتقرر بناء على المبادىء : إن حاولت التكهن بنتيجة الأزمة أو المشكلة أو الألم ، فسوف تجد نفسك **مرتبكاً** . لكن تعلَّم أن تفعل الحق اليوم ، وأن تأخذ القرار الحكيم فى ضوء معطيات اليوم . أقول « اليوم » ، لانه قد لا يمكن لك أن تعرف اكثر من ذلك . ضع أمامك المبادىء الصحيحة ، واستلهمها من حضرة الله فى الصلاة ، ومن كلمة الانجيل ، ومن ارشاد اب الاعتراف أو المرشد الروحى ، ثم خذ القرار ، واترك للنتائج ان تحدث فيما بعد دون أن تفكر فيها ، فسوف تمسى ثابت الجنان ، وهادىء الفكر .

سادساً : ابحث عن مجالات خلاقة

دعنا نتفق على هذه الحقيقة الهامة : إن الحزن يحرك **أقوى** الطاقات الإبداعية فى النفس . يقول الشاعر الألمانى جيته « ما من تجربة حلت بى إلا وانطقتنى شعراً » . وبالمثل ، كل طاقاتك العميقة سوف تتحرك بحثاً عن الخروج كلما تعرضت للضيق والأسى . تعلم إذن أن تقضى **بعض** الوقت فى التفكير فى حلول الأزمة ، ولكن اقضِ **معظم** الوقت فى الإبتكار والابداع والانجاز .

لقد ألقى الرومان بولس فى السجن ، كما رأينا سوياً ، فحول وقته كله للخدمة ، وللكرازة وكتابة الرسائل للكنيسة . أليس هذا ابداعاً ؟ فبدلاً من أن يغلق على نفسه فى الرثاء للنفس والأسف على الحرية المفقودة « أخرج » من أعماقه كل طاقة و« جسدَّها » فى الحب والعطاء .

اسمعك تسألنى : **وماذا أفعل ؟**

دعنى أسوق لك هذه القصة عن شابة قابلتها ، ولنقل أن أسمها « ماجدة » . وكانت هذه الفتاة تشكو لى من الأحزان العاصفة التى تجتاحها ، ومن عدة أزمات كانت تمر بها ، أهمها الفشل الدراسى . وبعد عدة مقابلات استطعت أن أعرف ملامح شخصيتها الرئيسية ، وأهم اتجاهاتها فى الحياة ، ووجدت أن هناك عدة نقاط جيدة تصلح أن تكون بدايات الحركة : فلقد كانت « ماجدة » تتمتع بقلب عطوف قادر على الاحساس بمشاعر الآخرين والترفق بهم ، كما كانت لها عدة هوايات أهملتها

منذ فترة الطفولة أهمها كتابة القصص والرسم . فاتفقنا سوياً على برنامج « مكثف » للعمل . وتركتها هى بنفسها تقرر ماذا سوف تفعل ، فكتبت أمامى مايلى :

١ ــ زيارة مرتين أسبوعياً لفتاة فى فصل الخدمة الذى تشرف عليه .

٢ ــ رسم لوحة تعبر عن إنسانة تواجه أزمة حادة ، وتحاول إيجابياً الخروج منها .

٣ ــ كتابة رسالة إلى صديقة ، تقدم لها عدة اقتراحات نحو مواجهة إيجابية للأحزان .

٤ ــ دراسة وافية لأزمة مرت بأحد اولاد الله فى الكتاب المقدس (واتفقنا أن تكون أزمة بولس فى السجن) .

ولسوف تندهش من النتائج !!

فبعد عدة محاولات ، بدأت « ماجدة » فى الخروج من ذاتها ، والإنشغال بالآخرين ، ثم نجحت فى دراستها بشكل يثير العجب ، فلقد تعلمت أن **لا تنسحب داخل نفسها** وتغلق على أحزانها ، بل تعلمت كيف تتجاوز أزماتها بإيجابية ، والأغرب من ذلك أنها بعد قليل أصبحت تحترف هواية الرسم ، بل وقالت لى أن كل موقف أليم تمر به ، أصبحت تحوله تلقائياً إلى لوحة فنية ، وهى تسعى جادة لإحتراف فن الرسم والإشتغال فيه كمهنة مربحة .

أيها القارىء المحبوب ، **هناك طاقات فائقة داخلك** ، يجب أن تتعلم كيف تخرجها للوجود أثناء آلامك ، وستجد أن فضلاً عن استثمار الوقت فى العمل ، أصبحتَ سعيداً بالإنتاج والإنجاز ، وسوف تشكر الله كثيرا أن الأزمة ساهمت فى نموك ونقلك من ذاتك إلى حب الآخرين وخدمتهم ، بل وأخرجت من اعماقك كوامن إبداعية لم تكن لتخرج لولا ذلك .

++++++++++++++++++++++

القارىء المبارك :

أدعوك اليوم لا أن تكون « محتملاً » فقط لأزماتك ، ولكن أن **تستخدمها** ، وتفيد منها ، **وتستخرج** منها بركات فائقة لا تدركها إلا النفوس التى تعلمت أن تثق فى شخص قائدها العظيم والحكيم ..

الفصل الرابع

استثمار السعادة

« لقد سلمك الرب بركات كثيرة أنت
ملتزم بإستخدامها وإضرامها »
القديس الأنبا أشعياء

يمكنك استغلال الوقت الذى تستغرقه فى استجلاب النوم فى التفكير فى إسعاد شخص »

ألفريد أدلر

حينما ضرب السيد مثل الوزنات ، وجاء ليحاسب عبيده وجد واحداً قد مضى وأخفى وزنته فى الأرض . وبالرغم من أن وزنته **لم تنقص** ، وبالرغم من أنه **لم يبددها** بل أعادها للرب ، قال عنه الكتاب انه عبد « **كسلان** » لأنه لم يستثمرها ...

وكانت النهاية أن الرب أخذ منه الوزنة (متى٢٥ :٢٦، ٢٧) وهناك قاعدة هامة فى الحياة الروحية ، بل وفى الحياة العملية أيضاً ، وهى أن **السعادة التى لاتستثمر تضمحل بمرور الوقت** . إن التدين الذى لا يدفعك لإسعاد الآخرين هو تدين يحتاج لمراجعة . إن مسيحيتنا هى ديانة الفرح القابل **للإنتشار** والتدفق ، ليس فقط الفرح « المعاش » ولكن الفرح « **المعدى** » . وأنت لا تملك شيئاً ما **لم تشارك به سواك !**

أسمعك تقول أن « ليس عندى ما اعطيه » . ولكننى أختلف معك ، فلديك الكثير لتعطيه .

لكن .. ما علاقة هذا بمواجهة أزمات الحياة التى تمر بها ؟

وهذه هى القاعدة الثانية فى الحياة الروحية ، وهى أن خروجك لتحمل أثقال الآخرين ، ولتوزع عليهم الحب والفرح ، يخفف **أثقالك وأثقالهم** معاً !! إن هذا هو عكس منطق البشر ، ولكنه قول الكتاب « احملوا بعضكم أثقال بعض » (غل٦ :٢) فماذا تكون النتيجة ؟ أن يحمل المسيح اثقالك واثقال اخوتك هو **بنفسه !!**

واستأذنك أن تصحبنى فى جولة سريعة لنستعرض سوياً ما يمكنك أن تشارك به الآخرين .

أولاً : شخص « المسيح » له المجد

إن مسيحنا هو « محور » كل مشاركة . تكلم عنه متى وجدت الفرصة سانحة ، واستخدم كلماته المعزية لتفيض على المكان بالسلام والتعزية والهناء .

وجه نظر كل من حولك إليه ، وقبل أن تتكلم ليكن سلوكك هو أقوى دليل على صدق حديثك . **كل** إنسان تقابله فى حالة **جوع** لكلمة الله ، وأنت هو الإناء الذى بواسطته تنتقل ينابيع الحياة إلى النفوس المحتاجه . والهك يستحق منك **أن تكرمه** وتشهد لأسمه بين أخوتك : « أخبر بإسمك إخوتى وفى وسط الجماعة أسبحك » (مز٢٢ :٢٢)

ثانياً : الصلاة :

متى وجدت الفرصة غير سانحة للحديث عن شخص المسيح ، الجأ الى **الصلاة** ... عوِّد لسانك أن يخاطب الله عن كل انسان تراه أو تقابله أو تجلس معه ، وعوِّد قلبك أن يمارس فن **الصلاة الداخلية** لكل الخليقة . الصلاة هى اقوى منهج لتنسى نفسك ، وتخرج نحو الله ونحو الآخر . والصلاة **تفتح** فى قلبك **أماكن لتستقبل فيها إخوتك** وتحتمل ضعفاتهم داخلك ، وهى تملأ قلبك حباً للكل ، وتمنحك القوة لتسعد الجميع على اختلاف شخصياتهم واحتياجاتهم . لذا صلِّ لك واحد بإسمه ، وصلِّ لتتعلم فن حب الناس وفن اسعادهم ، وصلِّ ليقتادهم الله لمعرفته ، فإن الصلاة هى القناة التى تنسكب منها السعادة من الله إلى الأخرين عن طريقك .

ثالثاً : الإهتمام :

ما أحوج الناس إلى الإهتمام فى هذا الزمان ...

فالجوع الحقيقى الذى يعانى منه الناس هو جوع للحب وعطش للإهتمام ، وكأننا نسمع صرخة مريض بيت حسدا تتكرر « ياسيد **ليس لى انسان** » (يو٥ :٧) . والإهتمام بالآخر عمل من أعمال الحب ، وأساس من أساسيات العلاقات الناجحة والخدمة المثمرة . وفيما

أنت تقدم الإهتمام للنفوس تذكر :

١ ــ أن تهتم بكل نفس أهتمام خاص ، فتقدم حباً **خاصاً** لكل من تعرفه ، حباً **مميزاً** له كفرد ، تماماً مثلما يقدم لك الله حباً خاصاً متميزاً وليس مجرد حباً عاماً .

٢ ــ انظر لكل انسان على انه مسكن لله ولروحه القدوس (١كو٣ :١٦) تذكر أن المسيح ساكن فى **كل** شخص تقابله مهما كان **ضعفه** وتقصيره وعدم ادراكه .

يحكى عن مايكل أنجلو أنه توقف طويلاً أمام قطعة من الرخام الخام ، حتى احتج عليه رفيقاً له كان يقف بجانبه . وطلب منه أن يمضى ، فأجابه مايكل أنجلو بحماس « **هنالك ملاك فى هذه القطعة الرخامية وسأحرره** » وعليك أن تتقن هذا الدرس : أن الله ساكن فى أخيك وعليك أن « **تحرره** » بنظرتك المملؤة حباً فإن فعلت هذا ، تكون قد اتقنت فن المحبة الحقيقية الصادقة .

٣ ــ تذكر أن يكون إهتمامك **صادقاً** وحميماً وتلقائياً وغير مفتعل . فاقرب طريق للقلب هو البساطة والاخلاص .

٤ ــ افتح اذنيك **لسماع** الآخر قبل أن تشرع فى الكلام : فالناس بحاجة لمن يسمعهم ويهتم بما يفكرون به . وقلما نجد اناساً مستعدين لسماع كل ما يتحدث به الآخرون . إن الله يسمع منك كل كبيرة وصغيرة فى الصلاة لأنه يحبك ، فلم لا تفعل ذلك مع **كل** من حولك فتعبر بذلك عن **حبك** لهم ؟

٥ ــ استلم من إلهك يومياً ، بل ولحظياً ــ بواسطة الصلاة ــ طاقة حب وقبول للنفوس ، فحبك المحدود لا يقدر أن يلبى احتياجاتهم المتنوعة . وأنت تحتاج دائماً أن تملأ مخازنك من غنى ودسم النعمة لتفيض بها علىّ الآخرين .

رابعاً : التشجيع والتقدير

وهذا الأمر من « أبسط » و« أقوى » الهبات التى تستطيع أن تعطيها لمن حولك دون أن تكلفك شيئاً يذكر . وقبل أن استرسل فى الشرح ، أود أن تعرف أن حاجة الناس « للتقدير » تُصنَّف ضمن الإحتياجات الرئيسية للنفس البشرية ، وقد تستغنى عن وجبة الطعام ولكنك لا تستطيع أن تستغنى عن حب الناس وتقديرهم .

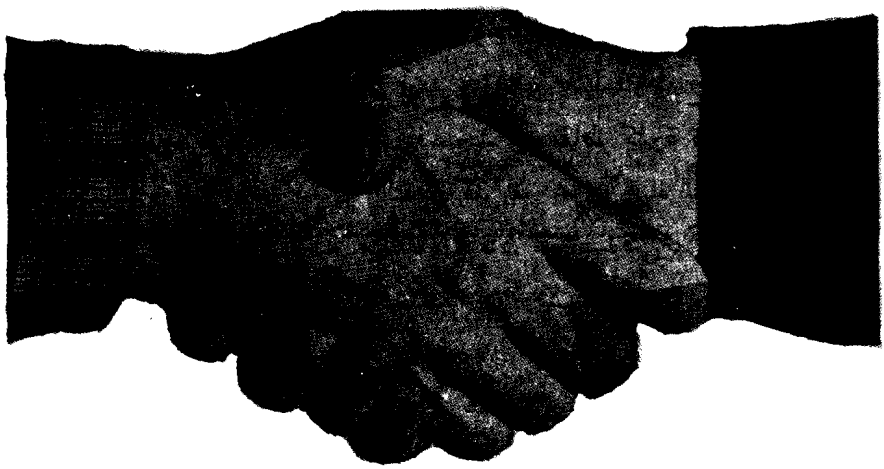

وتستطيع أن تساهم فى إسعاد الناس لو مارست « فن تشجيع الآخرين » وهذا التقدير له فعل السحر مع كل إنسان ، سواء أكان طفلاً أو كهلاً ، عاملاً بسيطاً أو أستاذاً فى الجامعة !! فالناس تتلهف على كلمات التقدير ، وتنتظر منك أن **تعترف بأهميتها** وبقيمتها بكلمات صادقة ومعبرة .

ولعلك تسألنى « ماذا سأجنى من وراء ذلك ؟ » ... أو يتحتم أن تجنى شيئاً ؟ ألا يكفيك أنك أسعدت نفساً طالما بحثت عن الحب والاهتمام ولم تجده ؟

لكننى أود أن أبشرك بخبر سار ، إن إهتمامك بالآخرين ينعكس عليك أنت أولاً فيجعلك تشعر بالسعادة الغامرة . وإن لم تصدقنى ، جرب أن تخرج اليوم ــ واليوم فقط ــ لتهتم بكل إنسان تقابله ، فتقدم عطفاً وتقديراً لصديق أو تبدى إعجابك بالطعام الذى أعدته والدتك ، أو تثنى على ذكاء أخيك أو أختك ... وستجد أن شعورك بالسعادة المتبادلة هو أقوى دليل على صدق هذا الأمر .

وحينما تسعى لممارسة هذا الفن المسيحى الإنسانى تذكر :

١ ــ الجنس البشرى بأكمله يتلهف على العطف ، ولا يُستثنى من هذه القاعدة أحداً ، سواء أكان صغيراً أم كبيراً ، وأقسى الناس قلباً يلين أمام كلمات الحب والتقدير .

٢ ــ النقد والتجريح لا يولد الى الأحقاد والآلام والبغض . وأنت أكثر الناس إدراكاً أن الحياة لا ولن تحفل بالناقدين . فلم لا تكف عن هذا المنهج الذى ملأ قلبك وقلوب من حولك بالتعاسة ؟

٣ ــ انظر إلى « الإنسان » الجالس بجوارك ، وتطلع إلى **المسيح الساكن فى أخيك** ، ولا تنظر إلى عيوبه وتقصيراته ، فلا أحد منا يخلو منها ، امتدح أقل شيء فيمن تقابل ، وأسبغ ثناءً مخلصاً لكل إنسان فستجد فيه نقاط كثيرة تستحق تقديرك .

٤ ــ تذكر أن « قليل » من الحب والتقدير قد يغير مجرى حياة الكثيرين .فما بالك لو كان التقدير سخياً والتشجيع متدفقاً !! فإن لم تصدقنى ، فأرجو أن تقلب صفحات الكتاب المقدس كله ، فستجد أن حب الله وتقديره لمجموعة من الضعفاء ، خلق منهم جبابرة الحياة الروحية . وسيبقى موسى وجدعون وزكا والسامرية وبطرس دليلاً أبدياً على صدق هذا الأمر . لقد أحب السيد له المجد مجموعة خطاة وأشرار ووثق فيهم **وشجعهم وقدرهم** فجعل منهم نوراً للعالم بأسره . فلم لا تكون مثله ، فستجد كثيرين ممن تقابلهم كل يوم فى حاجة ماسة لكلمات بسيطة فى نظرك ولكنها قادرة على اعطاء الحياة والسعادة لهم .

٥ ــ تعلم أن تنمى فى نفسك قدرة « امتداح الناس » ، فهذا فنٌ راقٍ ، وهواية سامية . ولكن كن صادقاً ومخلصاً وغير متكلفٍ . صلِّ بصدق قبل الحديث ، ثم املأ فكرك ولسانك بالتقدير والتشجيع ، وتعلم أن تشيع الأمل والسعادة فى كل من حولك ، فإنك بهذا تساهم فى الخطة الإلهية الأزلية ، وهى خطة « نقل السماء إلى الأرض » !!

٦ ــ أنت تحتاج إلى **الحكمة** فى المجاملة ، فأكثرنا حينما يكتشف أنه إلى اليوم لم يتعلم هذا الأمر ، يتحرك بصورة آلية **ومتكلفة** ليمدح الكل .

لكن هذا الأمر قد يسيء إلى الآخرين أكثر مما يشجعهم ، وقد تُتهم بأنك « منافق » أو « محترف كلام » . والعجيب أن الناس يمكنها أن تميز صاحب القلب الصادق ، من الآخر الذى لا يعرف إلا الكلام فقط ، وجيد أن تعرف أن كلمة « بكّاش » والتى نطلقها على محترفى الكلام ، هى كلمة قبطية الأصل من كلمة ⲕⲁϣ (كاش) وهى تعنى فى الأصل « قلم ، أو مزمار » ، ومنذ قديم الأزل تستخدم لتشير إلى الإنسان الذى « يتكلم كثيرا » أو « يغنى كثيراً » دون أن يفعل ما هو أكثر !! لكن فن الحب المسيحى يحمل أكثر من الكلام ، يحمل **العمل والحق** (١يو٣ :١٨) فليكن أذن كلامك صادقاً ، نابعاً من روح الصلاة ، ومصحوباً بالتشجيع **العملى** والمساعدة **الواقعية** كلما أمكن ذلك .

٧ ـــ احرص أن يكون مديحك عفوياً وتلقائياً ، وتعلَّم أن تبرز فى من حولك النقاط المضيئة فى شخصياتهم ، وبالذات النقاط **غير المعروفة** لديهم .

ولعل المجاملة التى يمكن أن تتخذ مثالاً يحتذى ، هى تلك التى وجهتها إحدى المستمعات ذات مرة إلى القائد الموسيقى الشهير « آتورو توسكانينى » فى أعقاب إحدى حفلاته الموسيقية . فقد قال « توسكانينى » فى هذا الصدد « لم تقل لى أننى أتقنت قيادة الفرقة الموسيقية ، فذلك ما يقوله لى **كل** الناس ، لكنها قالت لى أن ملامح وجهى فى أثناء قيادة الموسيقيين كانت قوية ومعبرة وصادقة » .

وهناك قصة أروع من هذه بما لا يقارن ، تلك التى حدثت مع جدعون ، الشاب الخائف المتردد ، حينما قال له ملاك الرب « الرب معك يا جبار البأس » (قض٦ :١٢) . لقد رأى فيه قوة كامنة حتى جدعون **نفسه** لم يكن يعرفها ، بل أنه انكرها على نفسه (قض٦ :١٥) . وهكذا خلق منه الرب شخصاً جباراً بحق .

خامساً : اللطف

اللطف هو وسيلة « انتشار المسيحية » والسعادة والإبتسام هما أسلوب « نمو البشارة فى العالم » . وتستطيع أنت أن توزع الكثير والكثير إذا اتقنت فن اللطف والبشاشة والإبتسام . إن مسيحيتنا مسيحية تعامل وعطاء وحب . ومسيحنا كان وديعاً لطيفاً **بشوشاً** ورقيقاً . فما أكثر ما أسأنا لإيماننا بقسوتنا وكبريائنا !!

صديقى .. ليكن وجهك باشاً ومبتسما أمام الكل ، فملامح وجهك **ليست من** « **حقك** » ، إنما هى من حق الآخر لأنه **هو** الذى يراها وليس أنت . أنت ترى وجهك فى المرآة كل يوم فى الصباح فقط ، أما المحيطين بك فيرونه **كل لحظة** طوال النهار ! **وليس من حقك** أن تواجههم بوجه عابس أو بمشاعر يائسة .

الإبتسامة هى اللغة العالمية التى لا يعسر على أحد فهمها : فالطفل يتجاوب معها والشاب ينتظرها ، والكهل يتلهف عليها . وتستطيع أن تقول لكل واحد أنك تحبه محبة خاصة ، وأنك سعيد بوجوده ، وأنك تقبله بكل عيوبه ، وأنك تتمنى له الخير والهناء دون أن تفتح فمك بكلمة واحدة ... يكفيك أن تكون **باشاً** فى وجهه وأن تبتسم ببشاشة عند لقائه !!

ولست أعنى بالإبتسام مجرد « علامة » ترتسم على الشفتين ، لاروح فيها ولا إخلاص .... كلا ... فهذه لا تنطلى على أحد ــ وإنما اتكلم عن الإبتسامة « المسيحية » النابعة من قلبك السعيد بوجود الله فيه .

لذا امتلىء من فرح السماء : إن كنت اخطأت فى حق الله فهو يسامحك ، وإن كنت قلقاً من جهة الماضى أو الحاضر أو المستقبل فهو يهتم بكل أمورك . اشبع من هذا الفرح أولاً قبل أن تخرج لتواجه الآخرين .

++++++++++++

قيل عن أحد الرهبان اسمه **إيسيذيروس** ، وكان معاصراً للبابا ثاؤفيلس البابا الثالث والعشرين ، وكان مشرفاً على إدراة المستشفى التابع لكنيسة الأسكندرية « حباه الله وجهاً **بشوشاً** وطبيعة **سمحة** ولساناً **عذباً** حبب فيه جميع الناس المصريين منهم والأجانب . وكان وجهه مضيئاً حتى كان كل من يراه يتعجب ، ويزداد عجبه حين يسمع أنه ناسك زاهد يقنع بالقليل من الخبز والماء » .

وقيل عن الأنبا **بيمن** أنه « كان رحيماً رقيقاًعلى جميع الناس حتى لُقب « بالأب الرءوف » واجتذب عدداً من الناس الى حياة القداسة ، بسبب رقته ورحمته اللتان اجتذبتا اليه الناس وحببتهم فى الحياة النسكية .. وقيل عنه كذلك أن كثيرين استهوتهم شخصيته بما يشع منها من **حنان** فتتلمذوا له متخذينه أباً ورئيساً روحياً . وأن كثيرين ايضاً أتوا إليه ليجدوا فى حكمته حلاً لمشكلاتهم النفسية .

ويحكى التاريخ لنا عن القديس **أبوللو** الذى ولد فى مصر فى النصف الأول من القرن الرابع الميلادى ، ويذكر أن وجهه كان يفيض بشراً وحبوراً إلى حد أن وجهه البشوش كان يجتذب اليه عدداً كبيراً من الناس ، ليتتلمذوا على يديه فى الحياة النسكية وكان يقول لرهبانه « **لماذا نجاهد ووجوهنا عابسة** ألسنا ورثة الحياة الأبدية ؟ **اتركوا العبوس** والوجوم للوثنين والعويل للخطاة أما الأبرار والقديسون **فحرِّى** بهم أن **يمرحوا ويبسموا** لأنهم **يستمتعون** بالروحيات » وكان مرح هذا القديس يتزايد على مر السنين ، حتى تخطى الثمانين ، وظل حتى النهاية باسم الثغر مضىء الوجه يتقبل الحياة فى تفاؤل وثقة .

عزيزى ... إن مسيحيتنا فيها من المرح والسعادة ما يكفى لأن يملأ العالم كله بهجة : فجهادنا ممتع ، وصلواتنا عذبة وسجودنا لذيذ . اننا نفعل كل ذلك فرحاً بإلهنا وحباً فيه .

ليتك تدرك أن العلاقة بالله فيها كل هذا الكم من الهناء لتقبل إليه وتجذب الآخرين — بفرحك — إلى هذا الطريق .

++++++++++++++++

أيها القارىء المحبوب : أضف الى تعاملاتك هذه الابتسامة المشرقة الصادقة حتى أمام اكثر الوجوه تجهماً : فلا يستطيع أحد أن يصمد أمام الحب .

وقبل أن اختم هذه النقطة تذكر قول الرسول بولس لأهل أفسس « كونوا **لطفاء** بعضكم نحو بعض شفوقين متسامحين كما سامحكم الله أيضاً فى المسيح » (أف٤ :٣٢) .

والعجيب فى هذه الآية هو أن الرسول كتبها من وراء جدران السجن ! **ترى** : هل كان الرسول يمارس فن اللطف والإبتسام للجنود القائمين على حراسته ؟!

خاتمة الكتاب

صديقى الغالى ...

هل عرفت الآن معنى الآية . « **وُهب** لكم لأجل المسيح لا أن تؤمنوا به فقط بل أيضاً أن تتألموا لأجله » (فى٢ :٢٩) ؟

هل تصدق أن آلام الحياة وضيقها يتحول فى المسيحية من فرض أو صدفة أو حظ عاثر أو نائبة إلى **عطية** (**هدية**)؟! وهل توجد هدية نستلمها إلا وتفيض علينا بالسعادة ؟

عزيزى : كل مدية لها نصل حاد ومقبض لتمسكها منه . فإذا رمتك الحياة بمدية ، وأمسكتها **من النصل** فسوف تصيبك بجراح الهم والقلق والرثاء والشكوى والتذمر . أما إذا أمسكتها **من المقبض** فسوف تستخدمها لصالحك وبناءك .

ترى ماذا فعلت بآلام الحياة ؟ ومن أى جهة أمسكت بها ؟

ترى .. هل قررت أن تصير أقوى من آلامك وأزماتك ، لا بأن تحتملها فقط ، ولا بأن تستخدمها لبينانك الشخصى فقط ، بل بأن توزع السعادة والحب لكل من حولك حتى وأنت فى قمة الألم ؟

إن الله يا صديقى لا يريدك فقط أن تختبر السعادة ، ولكن أن تستثمرها وتشارك بها الآخرين .

أيها المحبوب .. ضع آلامك بين يدى القدير ، وسلِّم أزماتك له وتعلم أن تفهم لغة الله فى تعاملاته معك .

اليوم أنت مدعو لأن تغير لغتك : فما كنت تدعوه « مقاومة » يصير « قيامة » ، وما كنت تسميه « عقبة » يصير سلم « ارتقاء » وما كنت تطلق عليه حزن يصير « فرح » ذلك لأن إلهنا المبارك هو الذى يحول أحزاننا إلى فرح « **أنتم ستحزنون ولكن حزنكم يتحول الى فرح** » (يو١٦ :٢٠)

هوامش الكتاب
Foot Notes

١ ــ د . ميلاد بشاى ــ معجم المصطاحات الطبية الحديثة ــ مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ــ ١٩٧٨ ــ ص١٣٤ وص١٣٩ .

2- Harrison's principles of Internal Medicine - MC Graw Hill Book company 11th Ed. - U.S.A. - 1987 - pp 1061 - 1068

3- Larousse de poche - Librairie Larousse - Paris - 1979 - p30 [Asthme est un maladie caracterisé par des accés de suffocation]
[الأزمة مرض يتميز بنوبات من الإختناق]

4- Harrison's pp 1061 - 1068

5- Maurice Sokolow & Malcolm B. McIlroy - Clinical cardiology Lange Medical publication - California - 1986 - p291

6- Harrison's pp 1061 - 1068

7- Ibid.

8- Ibid.

9- Ibid.

10- Ibid.

١١ ــ د . غسان يعقوب ــ أزمة الشباب والمراهقة ــ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ــ بيروت ــ ١٩٧٨ ــ ص ٢٥ .

12- Dr. Grant Martin - Transformed by Thorns - Victor Books - England - 1985 - p47.

13- Garry R. Collins - Christian Counseling - Word Book publishers - Texas - 1980 - p49

14- Ibid.

١٥ ــ كوستى بندلى ــ مواقف الآباء ومشاكل البنين ــ منشورات النور ــ ١٩٨١ ص ٥٤ اقتباساً عن Dr. H. Wallon - Les origines du charactre chez l'enfant, pp 222 - 224, P.V.F., Paris, 1954

16- Terry Faw - child psychology - Mc. Graw Hill Book company - U.S.A. - 1980 - p137-

١٧ ــ تسمى ايضاً هذه الأزمة أيضاً « عقدة أوديب » و« عقدة الكترا » Oedipal complex, Electra complex ولكنها تخضع لنفس مواصفات الأزمة التى سبق ذكرها ، ولذلك فضلنا كلمة « أزمة » على كلمة « عقدة » .

١٨ ــ كلمة « جنس » هنا لا تعنى « العلاقة الجنسية » بالطبع ، فالطفل فى هذه السن لا يدرك معناها ، ولكن فرويد يتحدث هنا عن « النزعة الجنسية » أو « الغريزة الجنسية » التى تولد معنا ، وتحركنا للبحث عن آخر نحبه ونمتلكه .

١٩ ــ سميت هذه الأزمة بأزمة « أوديب » نسبة إلى الأسطورة اليونانية القديمة ، والتى تقول أن أوديب قام بقتل والده ليتزوج والدته (وهو كان يجهل تماماً أنهما والداه) ، ولما اكتشف فعلته الشنيعة فقأ عيناه إنتقاماً من نفسه . وأسطورة الكترا أسطورة يونانية شبيهة ولكنها تتحدث عن محبة فتاة لوالدها ــ راجع « فرويد ــ حياته وتحليله النفسى ــ ا .د . أحمد عكاشة ــ مؤسسة المعارف للطباعة والنشر ــ بيروت ــ ص ٥٥ »

20- Arno F. Wittig - Introduction to psychology - Mc. Graw-Hill Book company, U.S.A., 1977, p240

21- Kagan and Havemann: Psychology: an introduction. Harcourt Brace Jovanovich Inc., U.S.A., 1976, pp 380-381

22- Arno F. wittig - Introduction to psychology - p240

23- Terry Faw: child psychology - pp251 - 252

24- Ibid.

25- Ibid.

26- Ibid.

٢٧ ــ د . غسان يعقوب ــ أزمة المراهقة والشباب ــ ص٢٧ نقلاً عن G.Cruchon: Psychologie Pedagogique Ed. Salvator, 1969, p13-15

٢٨ ــ المرجع السابق ص ٦

٢٩ ــ المرجع السابق

٣٠ ــ المرجع السابق ص٣٦ ، ص٣٧

٣١ ــ المرجع السابق ص٢٨

٣٢ ــ د . يحيى الرخاوى ــ د . عمر شاهين : مبادىء الأمراض النفسية ــ مكتبة النصر الحديثة ــ القاهرة ــ ١٩٧٧ ــ ص١٣٦

33- Garry Collins - Christian counseling - p225

34- Ibid - p64

35- See a) H. Norman Wright - How to have a creative crisis - Word Book inc. - U.S.A. - 1986 - p7

b) Garry Collins - Christian counseling - p48

c) Dr.Grant Martin - Transformed by Thorns. Tyndale House publishers - U.S.A. - 1985 - p47 derived from chinese calligraphy produced by Jonathan Pease, Department of Asian Languages and Literature, University of Washington, Seattle, Wash.

36- Dr. Clyde Narramore - Encyclopedia of psychological problems. Zondervan publeshing house - 21st printing - U.S.A. - 1981 - p106-107

37- Tim Lahaye - How to manage Pressure before pressure manages you - Zondervan publishing House - Grand Rapids - Michigans - U.S.A. - 1983 - p94,95

٣٨ ــ نيافة المتنيح الأنبا يوأنس اسقف الغربية ــ الإستشهاد فى المسيحية ــ الطبعة الرابعة ــ ١٩٦٩ ــ ص٢٣٦ ، ٢٣٧ .

٣٩ ــ نفس المرجع السابق .

٤٠ ــ نحن نقصد بالخدمة الفردية هنا لقاءات التوجيه النفسى والروحى ، الأمر الذى يمكن لأى فرد مدرب أو مؤهل أن يقوم بها . أما جلسات الاعتراف والتوبة فهى سر من أسرار الكنيسة ، لا يقوم بها إلا الكاهن ، مع ملاحظة أن الكاهن إذا قام بالعملين معاً (أى الإرشاد الروحى والنفسى ، وقبول الإعترافات) يكون قد حقق كمال خدمة الكهنوت وقمة غاياته .

41- Dr. Grant Martin - Transformed by Thorns - pp96-97

42- Ibid.

43- T.H. Holmes and R.H. Rahe, «The Social Readjustment Rating Scale» Journal of Psychosomatic Research, vol 11, pp.213-218

٤٤ ــ المقصود بالزواج هنا ، ما يعانيه الطرفان من مواجهة أعباء الحياة ، والإعداد للإرتباط ، والتكيف فى العلاقات ، وإعداد المنزل .

٤٥ ــ إعادة تعديل الأعمال Business readjustment تعنى التعرض لتغييرات فى مجال العمل سواء فى الداخل (مع الموظفين أو الإدارة) أو فى الخارج (العلاقة بالدولة أو الضرائب أو الممولين) تستلزم التعديل والمواجهة .

٤٦ ــ أحياناً يصاحب النجاح فى الحياة بعض الأزمات مثل الخوف من فقدان الفرح ، أو الخوف من عدم القدرة على مواصلة النجاح .

47- See: a) Tim LaHaye: How to manage Presure before pressure manages you - pp65 - 68

b) Keith W. Sehnert, Stress / Unstress, Augsburg Publi

48- See: a) Kenneth S. Waest - Wuest's Word studies - Eerdmans Publishing company, Grand Rapids Michigan - U.S.A., 1986, vol.III p.79

b) Pictorial Encyclopedia of the Bible - Merrill C. Tenney - Zondervan publishing house - vol I p.485

49- The pulpit commentary - Ed. H.D.M. Spence. Eerdmans Publishing company - Grand Rapids Michigan, U.S.A., 1983, vol 15, p280

50- Hal Lindsey, Hope for the Terminal Generation (Old Tappan, N.J.: Fleming H. Revell, 1976)

House, Minneapolis, Minn. 1981

٥١ ــ كتاب الخولاجى المقدس ــ نشر القمص عبد المسيح صليب ــ القاهرة ١٩٠٢ ــ أوشية المرضى ــ ص٦٠

٥٢ ــ اعترافات القديس اغسطينوس ــ ا . لويس برسوم الطبعة الرابعة ــ الجيزة ــ مصر ١٩٧٥ ــ ص٢٩

53- Pictorial Encyclopidia of the bible - Zondervan publication - U.S.A., vol III p.254 - 1976

٥٤ ــ الاستشهاد فى المسيحية ــ للمتنيح نيافة الأنبا يوأنس اسقف الغربية ص٩٩

٥٥ ــ المرجع السابق ــ ص١٢٠ ، ١٢١

٥٦ ــ أغريباس : ملك رومانى كبير كان قد أقبل إلى أورشليم ليسلم على فستوس (الوالى الرومانى على أورشليم) ورأى بولس وعرف قضيته .

٥٧ ــ فستوس : هو الوالى الرومانى على أورشليم فى ذلك الوقت ، والذى تولى محاكمة بولس قبل أن يطلب الرسول منه عرض قضيته على قيصر روما .

58- Pictorial Encyclopedia of the Bible - vol V, p1041

٥٩ ــ افخارستيا كلمة يونانية εὐχαριστέω معناها شكر أو حمد

٦٠ ــ هذا بالاضافة لمعانى هذا السر الأخرى من الثبات فى الرب والاتحاد به وغفران الخطايا والإتحاد ببقية الأعضاء فى جسد الكنيسة الواحد .

61- Pictorial Encyclopidia of the Bible - vol II- p.580

62- The pulpit commentary - vol 19-p8

63- Ibid.

64- Ibid.

٦٥ ــ الإستشهاد فى المسيحية ص٢٢٥ .

٦٦ ــ الإستشهاد فى المسيحية عن مخطوطة ٢٦٦ ميامر بدير السريان .

٦٧ ــ اسرائيل هو الأسم الذى أطلقه الرب على يعقوب (تك٣٢ :٢٨) وصار يطلق فيما بعد على شعب الله ككل (راجع تك٣٤ :٧ ، خر٣٢ :٤ ، تث٤ :١ ، تث٦ :٤)

68- Wuesr word studies from the Greek New Testament vol III - pp80-81

69- Pictorial Encyclopedia of the Bible - vol III p383

٧٠ ــ معجم اللاهوت الكتابى ص٦٨ ، دار المشرق ــ بيروت ــ ١٩٨٦ .

71- H. Norman Wright - How to have a creative crisis

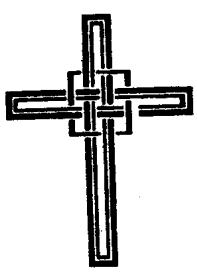

صدر من هذه السلسلة

١- يمكنك أن تهزم القلق.

٢- شخصيتك: اعرفها - اقبلها - طورها.
(جـ١)

٣- الأزمات النفسية.

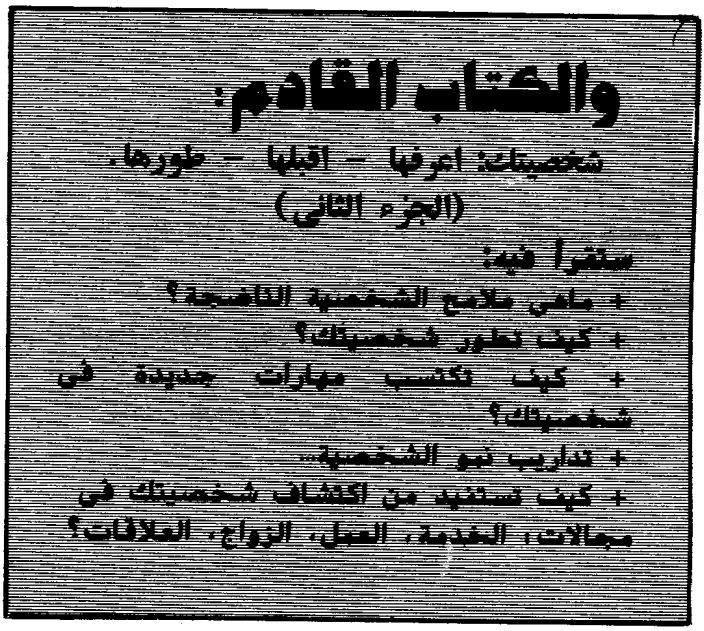

فهـــرس الكتـــاب

تقديم نيافة الأنبا موسى أسقف الشباب .....

مقدمة الكتاب ٧

الباب الاول : الأزمات النفسية

الفصل الاول : ماذا تعرف عن الازمات النفسية ؟ ١١

الفصل الثانى : الأزمات النفسية ... خطر أم فرصة ؟ ٢٥

الفصل الثالث : لماذا نفشل أمام الأزمات ؟ ٣٥

الفصل الرابع : أسباب الأزمات النفسية ٤٣

الباب الثانى : الأحزان والآلام ... لماذا ؟

لفصل الاول : الحزن .. لحن النداء الإلهى ٥٥

الفصل الثانى : حينما يغلق الله الباب ٦٣

الفصل الثالث : كيف تتعامل مع الفشل ؟ ٦٩

الفصل الرابع : هل للاشواك فوائد ؟ ٧٩

الباب الثالث : عندما يهاجمك الظلام

الفصل الاول : خلف القضبان ٩١

الفصل الثانى : الذهاب إلى قلب العالم ٩٧

الفصل الثالث : السجن ... منبر الكرازة ١٠١

الفصل الرابع : كيف تواجه الظلام ؟ ١٠٧

خلاصة الباب الثالث .....